من يجدنى ؟

التربية عند الرب يسوع والآباء

القمص
أنطونيوس كمال حليم

من يجدنا ؟

التربية عند الرب يسوع والآباء

القمص
انطونيوس كمال حليم

إهـــداء

إلـى إخـــوتـى الـكـهـنـة

وأمنـــــاء الخدمـــــة :

هذه الكلمات التى أكتبها

ليـــست لك وحـــدك،

إحـــفظهـــا فى قلبك

إقـــرأها من حين لحين

درســـهـــا لخـــدامك

إجعلها شـعـاراً لحيـاتك

الكتاب : من يجدنى ؟ : التربية عند الرب يسوع والآباء

المؤلف : القمص أنطونيوس كمال حليم .

كمبيوتر : چورچيت نصيف إبراهيم

الطبعة : الأولى ١٩٩٧ .

المطبعة : مطبعة الامل ت : ٢٣٤٤٤٩٩

رقم الإيـــداع : رقم الإيداع : ١٤١٤٩ / ٩٧

الترقيم الدولى : الترقيم الدولى I.S.B.N.

977-19 - 4859 - 8

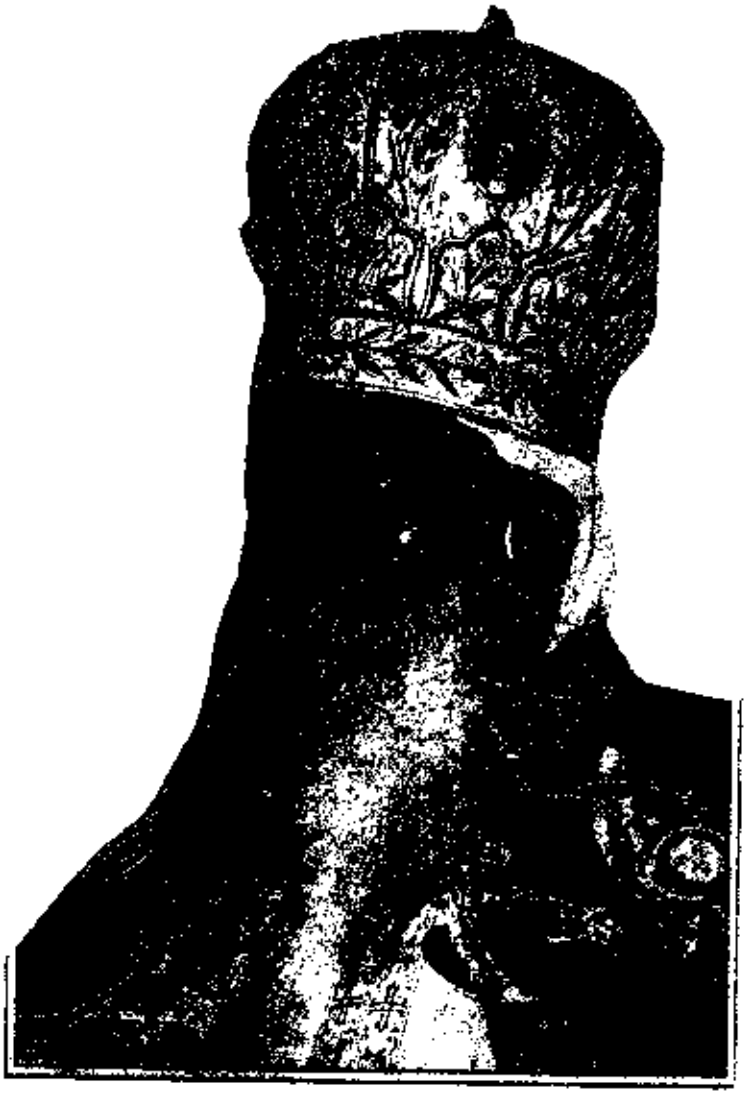

صاحب القداسة والغبطة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الحبر الجليل الأنبا صموئيل

أسقف شبين القناطر وتوابعها

وما قد سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً (٢ تي ٢: ٢)

هذا الكتاب

هو رحلة شيقة، تمتد منذ بضعة مئات من السنوات قبل الميلاد، حتى القرن الحالي، لتقدم تعريفات للفكر التربوي عبر العصور، وفيه مقدمة مختصرة لآراء أهم القادة والرعاة والآباء ذوى الأصالة الفكرية، الذين أسهموا في دفع حركة التعليم في عصورهم، وأثّروا فيمن جاء بعدهم.

يبدأ الكتاب في الفصلين الأول والثاني بتعريف بالمدارس التربوية عند اليونان واليهود حتى مجيء السيد المسيح، ثم يقدم في الفصل الثالث شخص المسيح كنموذج للتربية المثالية التي تتواءم مع العصر والبيئة. بعد ذلك يفرد الكتاب فصولاً متوالية للتربية عند الآباء الكبار في عصرهم الذهبي، بإختلاف إتجاهاتهم وطرقهم، كذلك يعرض الكتاب لتعليم الموعوظين والفكر التربوي الرهباني ومنهجه الشيق في التلمذة الروحية.

وينتهي الكتاب بفصول ختامية عن العصور الوسطى، وبداية حركة مدارس الأحد، ويثير قضايا تصلح لتطوير التعليم إستناداً على الحق الكتابي والآبائي، حتى نوصل الرسالة من جيل إلى جيل.

والكتاب في جملته يجمع بين العرض التاريخي للفكر التربوي والتطبيق المعاصر، فهو لذلك يصلح كمقدمة دراسية لكل من يريد أن يتصدى لمهمة التعليم بجدية وإخلاص.

ونحن نقدم هذا الكتاب لأخوتنا الخدام، وكلنا أمل أن يثير هذا البحث المتواضع مزيداً من التأمل والتفكير والتطبيق والتجريب والتخصص.

كذلك راعينا وضع التداريب وأسئلة المناقشة حتى يصلح الكتاب كدورة تدريبية للخدام وإعداد الخدام، طالبين من الرب بروح الصلاة أن يعيننا على خدمة كلمته وتربية أبنائه...

آمين.

المحتـــويات	الصفحة

هـذا الكتـــــاب

نظرة عـــامـــــة : منابع التربية المسيحية. ٧

الفـــــصل الأول : التعليم بالحوار. ١٣
التربية عند اليونانيين.

الفـــصل الثـــانى : التعليم بالمنزل. ٢٣
التربية عند اليهود.

الفـــصل الثـــالث : التعليم بالقدوة. ٣٨
الرب يسوع المعلم الأعظم.

الفـــصل الرابع : التعليم بالحجة. ٧٦
الكنيسة الأولى والكرازة.

الفـــصل الخـــامس : التعليم بالتأمل. ٩٥
المسيحية والفلسفة.

الفـــصل الســـادس : التعليم بالممارسة ١٠٨
فصول الموعوظين.

الفـــصل الســـابع : التعليم بالخطابة. ١٢٣
تعليم المؤمنين.

الفـــصل الثـــامن : التعليم بالتلمذة. ١٤٩
الرهبنة.

الفـــصل التـــاسع : كيف وصلنا إلى هنا؟ ١٦٧
من القرون الوسطى حتى الآن؟

الفـــصل العـــاشـــر : التعليم منذ الطفولة. ١٨٥
نشأة مدارس الأحد.

الفصل الحادى عشر: ماذا نريد أن نعمل ؟ ٢٠٤
التعليم بالتكوين وليس بالتلقين.
التعليم فى القرن الواحد والعشرين.

خـــــــاتمـــة : من هنا نبدأ. ٢٢٨
أحلام هل تتحقق ؟

نظرة عامة :

منابع التربية المسيحية

التربية المسيحية هى : تنشئة للفرد فى بيئة مسيحية، سواء كانت هذه البيئة فى الأسرة أو المدرسة أو الكنيسة.

والتربية المسيحية تعنى تعلّم كل من العقيدة المسيحية والسلوك المسيحى، وهذا ما حاول الرسول بولس أن يفعله فى رسائله التى احتوت على الشقين النظرى (العقيدى) والعملى (السلوكى). وقد أخذت الكنيسة الأولى هذا الإتجاه وتبنتّه فاهتمت بصحة التعليم كما اهتمت بحياة التقوى.

فالتربية المسيحية علاقة مع الله فى المسيح مبنية على عقيدة وشعور وسلوك فاضل، وبالتالى فالمدرسة لاتستطيع وحدها أن تقدم تربية مسيحية، ولكن هذا ممكن فقط من خلال الكنيسة والأسرة

الكنيسة — الأسرة

المدرسة

دور الأسرة

وقديماً كانت التربية، مهمة الأسرة الأولى، وقد ورثت الكنيسة هذا الإتجاه عن المجتمع اليهودى الذى أوصى بتعليم الأبناء التوراة فى الأسرة، ولم يكن يسمح بالتهاون فى هذا الأمر (تث ٦ : ٤ - ١٠).

وقد ذكر ذهبى الفم فى مقال عن تربية الطفل أنه: "على الآب أن يعلم إبنه وعلى الأم أن تعلم إبنتها ويدرسوهم التاريخ المقدس، فمثلاً يحكون لهم قصة الأخوين قايين وهابيل، أو يعقوب وعيسو. وحين يتعلم الطفل القصة، على الوالدين أن ينتظروا عدة أيام ثم يسألوه: قل لى قصة الاخوين، فإذا بدأ بسرد قصة قايين وهابيل، يقولون له: لا، إنما أريد أن أعرف قصة الأخوين الآخرين الذين أعطاهما أبوهما البركة، فإذا سرد الطفل القصة ننتقل إلى قصة أخرى." وهكذا فإن الأسرة كانت المربى الأول.

تعليم الموعوظين

ولم يكن يسمح للموعوظ بالتقدم للمعمودية قبل أن يتلقى التعاليم الكاملة، فالكنيسة وقداساتها وأسرارها كانت مغلقة أمام غير المؤمن، وكان الباب هو التلمذة والعماد.

وقد عيّنت الكنيسة معلمين يقومون بهذه المهمة، يأخذون نعمة أو رتبة خاصة، أو تفويض من الكنيسة (أع١٣:١ ـ ١كو ١٢:٢٨) (ديداخيه ١٣:٢، ١٥:٢)

ولكن سرعان ما انتقلت هذه الوظيفة لأهميتها إلى الأساقفة الملهمين أنفسهم. وعظات غريغوريوس النيصي وكيرلس الأورشليمي وثؤدور أسقف مبسويستيا تبين إهتمام أساقفة القرن الرابع بتعليم الموعوظين.

أما أوغسطينوس فقد كتب عام ٤٠٥ م مقالاً عن كيفية خدمة الموعوظين وجهه إلى الشماس ديوجراتيس بعنوان « كيف تبدأ التعليم الديني ؟ ».

ولم يكن التعليم الديني ينتهي بعد المعمودية بل يمتد عبر سنوات الحياة بجملتها متزايداً في العمق، وكانت الوسيلة إلى ذلك هي القراءات والعظات، التي كانت ولاتزال لها أهمية خاصة في القداس.

وقد بدأ التقليد المسيحي بصورة شفاهية، وكانت البشرى السارة تنتقل من فم لأذن، حتى دعت الضرورة لكتابة الأناجيل وتقنين الرسائل ووضع التعاليم المسيحية في صورة قوانين للإيمان، إلا أن دور التقليد الشفاهي لم ينته، وظلت التلمذة تنتشر من أب لإبن، ومن شيخ إلى مبتدىء، من جيل إلى جيل.

الكنيسة والعالم

وكان على المسيحيين الدفاع عن العقيدة ضد من اتهموا المسيحية بالإلحاد والفساد الخُلُقيّ، فنشأت طائفة من المحتجّين أو المدافعين عن الإيمان، كما كان على الكنيسة أن تقاوم الهرطقات وترد عليها بالكتابات العقيدية وقوانين المجامع.

أما العالم الوثنى والفلسفة العلمانية فقد بدأت الكنيسة بداية متشددة تجاههما. فقال ترتليانوس يوماً (Tert., Praescr ,7)

« أى شركة لأثينا مع أورشليم، الأكاديمية مع الكنيسة»

وقالت الدسقولية (١:٦ من ١-٦)

«لاشأن لك بالكتب الوثنية»

« فالكتاب المقدس يحوى لافقط الحياة العليا بل إحتياجات الإنسان الثقافية أيضاً.

فهل تبغي التاريخ؟ هناك أسفار الملوك، الفصاحة، الشعر؟ هناك ناموس الله المجيد، فضع جانباً جميع الكتب الشيطانية »

على أن القاعدة جاءت مختلفة قليلاً عن التطبيق، فلم يكن سهلاً على المسيحين الإعتزال التام عن المدارس الوثنية، أو عدم التعرض للفكر الفلسفى المعاصر، وبالرغم من أن أسماء الآلهة كانت ترد فى الأشعار التى يدرسها الطلبة، إلا أن ترتليان نفسه قد صرّح للأطفال بالتعلم فى المدرسة لأن الضرورة تدعو لذلك، ولكنه نهى المسيحى من الكبار أن يدرّس بهذه المدارس الوثنية.

وحتى حينما صارت الدولة مسيحية فإن بعض (السموم) كانت تعطى فى دراسة المثيولوچيا (الأساطير) وأشعار هوميروس المملوءة بالإنفعالات والشهوات. وكان الحل المسيحى هو إعطاء (الترياق) لهذه السموم بالكنيسة والأسرة حتى يستطيع الدارس التمييز والإفراز.

ولم تتبع الكنيسة هذا الخط الفاصل بين الثقافة العالمية والتعليم الدينى تماماً. بل أن هيبوليتس الرومانى، الذى كتب كتاب التقليد الرسولى، وافق على أن يشتغل المسيحى بالتدريس إن كان مضطراً إلى ذلك (التقليد الرسولى: ١٦)

واضطر أوريجانوس فى سن ١٧ سنة إلى فتح مدرسة إعدادية

Gramar School ليعول أسرته بعد استشهاد أبيه ليونيدس عام ٢٠٢. وفى العام التالى رقاه البابا ديمتريوس إلى رتبة معلم للموعوظين (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٦:١٢، ١٥ ـ ٣، ٨)

المدرسة اللاهوتية

ولكى تقاوم المسيحية الفلسفات بدأ بعض العلمانيين من المسيحيين فى منتصف القرن الثانى الميلادى فى إفتتاح مدارس لتدريس الفلسفة الحقيقية، ونالوا شدائد من المعارضين، ومن بينهم، لمع الفيلسوف الشهيد يوستينوس Justin Martyr

أما أوريجانوس فأسس مدرسة لتعليم الموعوظين، كما أوصاه بذلك البابا ديمتريوس، ولكنه عهد بها إلى تلميذه هيراكلاس تحت إشرافه. على أنه كان يقوم بنفسه بتدريس فصلاً آخراً دراسات متقدمة فى اللاهوت والتفسير.

ويوضح يوسابيوس فى تاريخ الكنيسة أن هذه المدرسة كانت تقوم على أساس قوى من الثقافة العامة، لاتقل عن نهاية المدرسة الثانوية. ومعنى هذا دراسة متعمقة للأدب والرياضيات والفلسفة يليها اللاهوت والكتاب.

لسوء الحظ انتقل أوريجانوس إلى فلسطين بعد خلاف شخصىّ وعقيدىّ بينه وبين البابا ديمتريوس (وكان لهذا الخلاف ما يبرره). ولكن كان من آثاره أن انتهت الدراسات العليا بسرعة من مدرسة الاسكندرية واستمر تعليم الموعوظين مزدهراً على يد تلميذ أوريجانوس ديديموس، (يوسابيوس تاريخ الكنيسة ٤:٢٩).

وكان لدخول المسيحية أثر ثقافى على البلدان الشرقية: فالسريان والمصريون والأرمن حاولوا كتابة الكتاب المقدس بلغتهم القومية، مما أثرى هذه اللغات التى كانت قبلاً تحتوى مفردات أقل، أو تستخدم شفاهاً بطريقة غير منطوقة.

حتى أن فرمنتيوس أسقف أثيوبيا الأول قام بتطوير اللغة الأثيوبية

ليُكتب بها الكتاب المقدس، وأدخلت كلمات كثيرة يونانية للغة المصرية حتى يمكن تطوير اللغة القبطية ليُكتب بها الكتاب المقدس، وقام (ميزروب) بجهد مماثل فى أرمينيا.

منهج الآباء

قد يصاب، بخيبة أمل، الباحثون عن منهج متكامل للتربية المسيحية عند آباء الكنيسة الكبار، فبرغم حصافة وزيوع شهرة هؤلاء الآباء، وتأثيرهم القوى وإنجازاتهم العملاقة، إلا أن واحداً منهم لم يتوصل إلى نظرة كلية للتربية، تشمل فى نظام واحد طرق التدريس المتنوعة أو التحليل العلمى للمستمع.

جاءت أغلب كتابات الآباء ردود فعل ملحة للمشاكل الكنسية، أو إستجابة عاجلة لإحتياجات المؤمنين، وخاصة فى مواجهة الهرطقات وتحديد بنود الإيمان. فهذا الطابع التلقائى لكتابات الآباء، يضاف اليه حقيقة أخرى وهى أن أسرار علم النفس الفردى لم تكن قد كشفت بعد، هو السبب فى نقص (المنهج) التربوى عند الآباء.

فهل يعنى هذا أن الآباء لم يكونوا على دراية تربوية؟!

والإجابة بالنفى، فقد كانوا على دراية تربوية غير قليلة، ولكنهم لم يكونوا مُلمّين بكل جوانب التربية، فقد كانوا مشغولين بالأكثر بتوصيل الحق الكتابى والتسليم الرسولى إلى الأجيال التالية. فعلينا إذاً إن أردنا نتبع المنهج التربوى للآباء أن نقوم بتجميع شذرات من هنا وهناك، تدل على عبقرية هؤلاء القادة الأوائل، والإلهام والبصيرة التى إتسمت بها مواعظهم ومواقفهم وكتاباتهم، ثم أنه علينا أن نتمثل بغيرتهم ونتعلم منهم هذه الإتجاهات:

١ ـ الحماس لخلاص النفوس ورعايتها.

٢ ـ الاهتمام بسلامة وفاعلية وصدق التعليم.

٣ ـ الاخلاص لرسالة الحب والقيادة والرعاية الواعية.

٤ ـ السهر الروحى على عمل الخدمة.

٥ ـ التوائم مع العصر ومحاولة حل مشكلاته.

كيف نقتدى بالآباء؟

ومن هنا نخلص بأننا إن اردنا إتباع منهج الآباء فإن ذلك لايعنى إتباع أساليب قرون ماضية فى التربية، فالآباء علّمونا أن نقبل أساليب العصر، ونأخذ منها ما يتفق مع الحق الكتابى ونقوّم ما لايتفق منها معه، كما علمونا التجديد والإبتكار والأصالة والعمق والتفانى.

وما قيل عن الآباء ينطبق بالأولى على راعى الرعاة، وأسقف النفوس، القائد العظيم والمعلم الأمثل الرب يسوع المسيح، فعلى دربه نسير، وإثر خطواته نمشى، ، وبقدوته نتقدم للأمام. وعبر فصول هذا الكتاب سوف نشرح منابع التربية الأولى عند اليونانيين واليهود ـ وعند الرب يسوع والكنيسة الأولى.

فنتحدث عن الكرازة وتعليم الموعوظين والتلمذة فى الرهبنة، وأخيراً نفرد فصولاً عن تطوّر التعليم فى العصور الوسطى حتى نشأة حركة مدارس الأحد، وحتى الآن.

لعلنا بهذا نعرف كيف وصلنا إلى هنا؟ وأين نحن الآن من المسؤلية التعليمية التى ألقاها الرب القائم على الكنيسة عبر العصور حين قال «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى ٢٨ : ١٩)

الفصل الأول
التعليم بالحوار
التربية عند اليونانيين

فهرس تحليلى

- كان سقراط يجمع التلاميذ ليحاورهم لا ليحاضرهم.
- أما أفلاطون فكان يؤمن أن التعلم عبارة عن عملية تذكّر لمعلومات عرفتها النفس في وجودها السابق.
- بمجيء أرسطو بدأ الإهتمام بالمعرفة عن طريق الحواس.
- إهتم الفلاسفة الكالبيون بالأسئلة الخطابية، وهى إفتراض سؤال وهمى ثم الإجابة عليه لإدارة الحوار.
- تداريب لإستخدام طريقة الحوار فى التعليم المعاصر.

الفصل الأول
التعليم بالحوار
التربية عند اليونانيون

فكر معنا

١ ـ لم تبدأ الكنيسة المسيحية خدمتها من فراغ ..... فقد ورثت تراثاً أدبياً وفكرياً وروحياً غنياً سواء من مجمع اليهود أو من الفلسفة اليونانية أو من الرب يسوع نفسه.

أكثر ما تعرفه عن هذه الخلفية الثقافية التي نشأت فيها الكنيسة استعن بكتاب "المسيحية في عصر الرسل" للمتنيح الأنبا يؤنس.

٢ ـ خذ على سبيل المثال بولس الرسول كمفكر ومربٍ مسيحي من الطراز الأول، وضح بناء على دراستك لخلفيته العلمية والدينية تأثير الثقافات المختلفة عليه. استعن بهذه الشواهد (أع١ :١-١٥) (أع١٦ :٣٧) (أع١٧ :٢٢-٣١ خاصة ٢٨)

٣ ـ تأمل الصورة في بداية هذا الفصل وهي لمدرسة أثينا الفلسفية من إبداعات رفائيل، ترى فيها أفلاطون وأرسطو وقد أشار أفلاطون إلى الحقيقة برفع أصبعه، حيث أن الحقيقة تسكن (أعلى) في نظره المثل ـ أما أرسطو فهو يشير إلى أسفل، إلى الواقع الملموس، حيث يبحث عن الحق في عالم الموجودات.

إنشغل الإنسان بالتعليم منذ نشأة الحضارة، فعلّم البدائيون أبناءهم الصيد وإشعال النار والزراعة والمعمار، كما أسس اليونانيون مدارساً مبكرة للفكر والفلسفة التي كانت تعد العمل الأول عندهم، ويعد سقراط من أوائل من ابتكر طرقاً تربوية لنقل المعرفة، فكان يجمع في مدرسته التلاميذ النابهين ويبدأ الحوار معهم متخذاً شعاره «أعرف نفسك»...، وكانت طريقة الأسئلة المتتالية التي يطرحها على تلاميذه، ويطرحونها عليه، هي الطريقة المتّبعة. ولم تكن هذه الطريقة ذات نتائج محددة أو نهايات مغلقة، فقد كانت الأسئلة تنشىء أسئلة أكثر مما تنشىء إجابات، وهذا بالضبط ما كان يقصده سقراط.

وأسمى سقراط طريقته بطريقة «توليد الفكر» وكان يعتبر نفسه ناجحاً إذ ما وصل التلميذ إلى نتيجة أنه «لايعرف» ، فبهذه الطريقة سوف يسعى لمعرفة أعمق ودراسة أوسع.

ولم يكن سقراط يقدم لتلاميذه كمًا من المعلومات، بقدر ما كان يعلمهم عملية التفكير والتأمل نفسها، وكانت الأسئلة التى كان يواجه بها تلاميذه من النوع المجرد المعقد نوعاً ما، ولذلك فقد كانت تحتاج إلى صلابة من التلميذ، بالإضافة لصبر المعلم وطول أناته. وقد سميت طريقته بطريقة توليد الفكر Induction method -

فإذا وصل المعلم إلى درجة يتحدى بها سكون فكر التلميذ، وثقته الكاذبة فيما يعرف، فإنه يكون قد نجح. ولاشك أن التلميذ سيعانى من بعض الإرتباك المؤقت قبل أن يصل إلى حقيقة معرفة النفس، وأنه حتى الآن لايعرف سوى القليل.

ولكن هذا الإرتباك المؤقت كان فى نظر سقراط أفضل من السكون الكاذب!

ونضيف ملاحظة أخيرة أن سقراط كان يستخدم كذلك الفكاهة والدعابة بما فيها من فوائد تعليمية وتحدٍ للواقع. وقد انتهى الأمر بسقراط بكل أسف أن يحاكم ويقدم بتهمة الإلحاد وإفساد الشباب. ولكنه تقبل الحكم بكل هدوء، مما دعا إلى الدهشة، بقدر ما دعى المزيد من التلاميذ إلى إتباعه.

أفلاطون وأرسطو

كان أفلاطون تلميذاً لسقراط وقد أخذ عنه فكرة أن المعرفة أساساً موجودة داخل النفس، وكل ما يحتاج إليه المعلم هو أن يستحضرها ويولّدها. والنفس عنده أبدية أزلية، وهى عارفة، والمعرفة تنشأ من التذكّر، فالنفس تتذكر ما سبق وعرفته فى وجودها السابق خارج الجسد.

أما أرسطو فكان تلميذاً لأفلاطون، واتفق كلاهما على أن الحكمة أو المعرفة الباطنية تسبق المعرفة العقلية وتنشئها، ولكن أرسطو أضاف تعديلاً هاماً على معلمه أفلاطون، حين جعل للحواس دوراً هاماً فى المعرفة، بينما لجأ أفلاطون إلى التأمل والإنسحاب عن العالم المرئى للوصول إلى الحقيقة.

الفيلسوف	الشعار	الوسيلة
سقراط	أعرف نفسك	طريقة توليد الفكر (أنا لا أعرف)
أفلاطون	النفس تولد عارفة	التذكر (التأمل)
أرسطو	الحكمة موجودة قبلاً	الحواس (المشاهدة)

ومن كتابات أفلاطون نقتبس من «فيدون» محاوراته التى أوردها على لسان معلمه سقراط، وفيها يسوق أفلاطون نظريته فى التذكر ليؤيد بها وجود الروح قبل حلولها بالجسد. وهو يقيم البراهين على هذه النظرية، وأول برهان يساق لذلك: أنك تستطيع أن تستنتج من الجاهل بعض النتائج الرياضية الصحيحة، بأن ترسم له شكلاً هندسياً وتأخذ فى سؤاله فيجيبك بالعلم الصحيح، ولايكون ذلك إلا أن يكون العلم الرياضى كامناً فى الروح، والبرهان الثانى ما للروح من مقدرة على ترابط المعانى، أى إستثارة بعضها ببعض، فترى « سمياس » مثلا فيذكرك ذلك بـ « سيبيس »، أو ترى صورة «سمياس» فتذكر بذلك «سمياس» نفسه، كذلك قد ترى القيثارة فتذكرك بالعازف عليها. ففى معرض حديثه عن خلود الروح والوجود السابق للنفس، نلاحظ أن نظريته فى أن التعلّم هو أساساً إستدعاء وتذكر للمعلومات .

ونقرأ الحوار التالى من فيدون ترجمة د. زكى نجيب محفوظ (الجزء ١٢)

" فأضاف سيبيس: كذلك لو صح مذهبك أيها العزيز سقراط، بأن المعرفة ليست إلا تذكراً لأقتضي ذلك بالضرورة زمناً سالفاً

تعلّمنا فيه ما نحن الآن ذاكروه، وقد كان هذا التذكر يستحيل لو لم تكن أرواحنا قبل حلولها فى الصورة البشرية، كائنة فى مكان ما ، وإذن فهذه حجة أخرى تؤيد خلود الروح

فإعترضه سمياس قائلاً: ولكن حدثنى ياسيبيس، ما البراهين التى تساق لمذهب التذكر هذا؟ فلست جازم اليقين بأنها الآن تحضرنى.

قال سيبيس : منها برهان ساطع تقيمه الأسئلة ، فإذا أنت ألقيت على شخص سؤالاً بطريقة صحيحة، أجابك من تلقاء نفسه جواباً صحيحاً ، فكيف إستطاع أن يفعل ذلك، ما لم تكن لديه من قبل معرفة ومنطق مُصيب؟ وأكثر ما يكون ذلك وضوحاً حينما يعرض عليه شكل هندسى، أو أى شىء من هذا القبيل .

قال سقراط : إن كنت لاتزال شاكاً ياسمياس، ساطلته، أفلا يجوز أن توافقنى إذا ما نظرت إلى الموضوع على نحو آخر؟ أعنى إذا كنت لاتزال متردداً فى التسليم بأن المعرفة عبارة عن تذكر؟

فقال سمياس: لست شاكاً، ولكنى أردت أن تعاد إلى ذاكرتى نظرية التذكر هذه، ولقد بدأت أذكرها وأقتنع بها مما قاله سيبيس، غير أننى مازلت أتمنى لو أدليتم بما لديكم فوق ما أعلم.

فأجاب : هذا ما سوف أدلى به، ولعلنا إن لم أكن مخطئاً متفقون على أن ما يتذكره الإنسان لابد أن يكون قد عَلِمه فى زمن سالف.

– جد صحيح.

– فما طبيعة هذا التذكر؟ إنما أريد بهذا السؤال أن أتساءل: ألا يحق لنا القول بأنه إذا لم يقتصر علم إنسان على ما قد رآه أو سمعه أو سلك إلى إدراكه أية سبيل أخرى، بل عرف شيئاً آخر معرفة تباين تلك، أفليس هو بذلك إنما يتذكر شيئاً يختلج فى عقله ؟ ألسنا على ذلك متفقين؟

– ماذا تعنى؟

– أعنى ما قد أوضحه بهذا المثال الاتى: أليست معرفتك القيثارة كمعرفتك الإنسان سواء بسواء.

– هذا صحيح.

– ولكن ما شعور المحبين إذا ما رأوا قيثارة أو لباساً أو أى شيء آخر مما كان المحبوب يستخدمه عادة؟ أليسوا من رؤية القيثارة يكوّنون فى عين العقل صورة للفتى صاحب القيثارة؟ وهذا تذكر، وكل من يرى سمياس قد يتذكّر بنفس الطريقة سيبيس، وهناك من هذا الضرب أشياء لايحدها الحصر.

فأجاب سمياس : نعم إنها موجودة حقاً ولاحصر لعددها.

فقال : وهذا الشيء وما إليه هو التذكر، وهو فى الأعم الأغلب عملية لكشف ما قد طواه النسيان بفعل الزمن والإهمال،فقال: هذا صحيح.

– ثم ألا يجوز كذلك أن تتذكر إنساناً من رؤية قيثارة أو صورة لجواد؟ أو قد تبعثك صورة سمياس على تذكر سيبيس؟.

– هذا حق.

– أو قد تنساق كذلك إلى تذكر سمياس نفسه؟

فقال : هذا حق.

– وقد يكون التذكر فى هذه الحالات جميعاً منبعثاً من أشباه الشيء أو مما يباينه؟

– هذا صحيح .

– وهناك سؤال لابد أن ينشأ، حينما يكون التذكر قد انبعث من شبيه الشيء، وهو: هل يكون شبيه الشيء المتذكر ناقصاً فى أى ناحية من نواحيه أم لايكون؟ "

أما فى العصر الحديث فقد استعاد بعض التربويين إستخدام طريقة الأسئلة الإستدراجية أو الموجهة Leading questions والحوار المفتوح بطريقة سقراط. لكننا الآن، إذ لانوافق أساساً على أزلية النفس ووجودها السابق على الجسد، ولهذا فإن التعلم ليس تذكراً فبالتالى فنحن نقترب أكثر من منهج أرسطو فى أن المعرفة تنشأ من الحواس، التى نستطيع من خلالها إدراك المجردات من المحسوسات، ثم نعيش هذه الخبرة فتصير حكمة.

التعليم بالحوار الإفتراضى

تطور فن الحديث عند الفلاسفة اليونانيين مع الزمن. وقد نشأت المدرسة الكالبية Cynical وهى حديثة نسبياً. وقد اهتمت الأخيرة بالخطاب الشعبى الذى يخلو من التعقيد الفلسفى والمصطلحات التى لايفهمها العامة. ونحن نعلم أن المدينة اليونانية لم تستطع أن تقاوم عوامل الضعف والإنهيار فيها، كما منيت بهزائم شديدة جعلت معظم الناس فى حالة من الإرتباك الفكرى، فنزل الفلاسفة إلى الشارع ليلقوا الأحاديث ذات الطابع العملى لتناسب السامعين، وترد على مشاكلهم. وكانت معظم هذه الأحاديث تأخذ شكل الحوار غير الرسمى الذى يتسم بالوضوح، ويقرب من إجابة الأسئلة عنه إلى المحاضرة. وقد تبنى هذا الأسلوب أيضاً الفلاسفة الرومان التاليين للعصر اليونانى أمثال : الرُواقيين ومنهم : زينو وسنكا وماركوس أوريليوس.

والنص التالى يعكس أسلوب التعليم بالحوار مع تطوير طفيف حدث له. فالخطيب اليونانى هنا يصنع حواراً وهمياً مع شخص آخر، أو مع فكرة معينة. وهو يضع الأسئلة المتلاحقة ثم يجيب عليها بطريقة تُبعد الملل وتزيد التركيز، ويسمى هذا النوع من البيان "تخاطب" Diatribe . ومن أمثلة العظة بطريقة الحوار الآتى :

١. عظة بايون البرثينى

Mc Donald,J.I.H, Keyrgma and didache, Cambridge 1980

«من أجل هذا لايجب أن نقاوم الظروف بل أن نتوائم معها، تماما مثل البحارة. فهم لايحاولون تغيير الرياح بل مراعاة حالة الجو، وقت السكون يجدفون وإذا جاءت الرياح يرسلون القلاع، فيتواءموا مع الظروف بنفس الطريقة. هل أنت مسن؟ لاتشتاق أن تعود صبيا. أم أنت ضعيف؟ لاتجارى الأقوياء. هل أنت فقير؟ لاتسعى فى طرق الأغنياء.»

٢ـ محاورة هوراس Horce

عن المرجع السابق صـ ١٦

عن أخطاء القريب :-

«هل تقع أحياناً في الخطأ؟ نعم وأنا أعترف بذلك،فبدلا من أن ندين أخطاء الآخرين وأخطاءنا يجب أن نفعل مثل العشاق الذين يرون الجمال حتى في القبح. ولكننا نفعل العكس فنجد الأخطاء وسط الفضائل. فإن أردنا أن يغفر لنا يجب أن نغفر، على الأخص الأخطاء الصغيرة. يقول الرواقيون ليس هناك أخطاء صغيرة، فالأخطاء كلها متساوية، ولكن الطبيعة نفسها إن لم تميز بين الخير والشر، فكيف يصير هناك قانون؟

لابد أن العقوبة تتمشى مع الجُرم. فإن كنت ملكاً، يقول الرواقيون، لكنت أعاقب بشدة. ماذا؟ بحسب مذهبك أنت كذلك ، فأنت تعلم أن الحكيم هو الملك الوحيد! نعم، والأطفال في الشوارع يصيحون خلفك بينما أنا الذى من الخارج استمتع بالإحترام والمودة كصديق حميم.»

نظرة كتابية

□ استخدم بولس الرسول أسلوب الحوار في ١كو ٦:١-٩ ، رو ٦:١-١٧

حدد في كل موقف :

- من هم الأشخاص أو الفئات الذين كانوا فى ذهن بولس الرسول حين كتب هذه الرسالة ؟
- بماذا رد عليهم في كل نص؟
- هل عرض فكرهم كاملاً؟
- هل كان الرد أقوى من الإعتراضات؟
- ما مدى فاعلية هذه الطريقة.

□استخدم الرب يسوع أسلوب الحوار مع السامرية يو ٤:٩ ـ ٢٦ ونيقوديموس يو٣: ١ ـ ٢١

- حدد في كل موقف هذه النقاط:
- من الذى بدأ الحوار.
- موضوع الحوار.
- معوقات الحوار.
- النتائج القريبة للحوار.
- النتائج البعيدة للحوار.

تدريب

الأسئلة المتلاحقة :

الهدف من هذه الأسئلة أن تقودك إلى إستنتاج حقائق محددة وإستكشاف خبرات معينة، وهى تفتح الحوار وتولّد الفكر. وقد أعيد استخدام هذه الطريقة القديمة ـ الحديثة حتى تكون ذات نفع فى المجموعات الدراسية، حتى بدون واعظ أو قائد، إذ يكفى أن يكون هناك منسق لإدارة الجلسات. حاول إستخدام هذا النموذج:

موضوع للحوار(٣٠ دقيقة)

التجارب

س ١ – هل التجارب من الله أم من الشيطان أم من الإنسان ؟

س ٢ – ما هى علاقة التجارب بالعناية الإلهية ؟

س ٣ – لمن التجارب: للكل أم للصدّيق أم للخطاة ؟

س ٤ – هل التجارب نافعة أم ضارة ؟

س ٥ – ماذا كان سلوك السيد المسيح وسط التجارب ؟

س ٦ – كيف نسلك إزاء التجارب؟

تدريب آخر

قم بعمل حوار حول الصداقة وهى فكرة شائعة، يُقبل العديد من المخدومين على مناقشتها.

لكن لاتدع الحوار مفتوحاً وإنما قم بتحديده بعض الشىء وأترك للمتحاورين فرصة كاملة للتفاعل.

قم بتلخيص النتائج والأفكار فى النهاية أو فى نهاية كل فترة. قدم رأيك وتقييمك فى النهاية، أو رأى خبير فى الموضوع.

حوار عن الصداقة

من هو الصديق الوفى؟

هل توجد صداقة بين الجنسين؟

هل يمكن عمل صداقة مع الرب يسوع أو القديسين؟ وكيف؟

حوار عن سفر نحميا

إقرأ سفر نحميا قراءة سريعة ولكن بتمعن، إهمل النقاط الفرعية وحاول من خلال دراستك إجابة هذه الأسئلة :

١ – ما هى المشكلات التى إعترضت نحميا؟

٢ – ما الذى أزاد حدة هذه المشكلات؟

٣ – ما هى الإمكانيات التى كانت متاحة لديه لحل المشكلات ؟

٤ – إستنتج ملامح شخصية نحميا ودوره كقائد من خلال الدراسة ؟

الفصل الثانى

التعليم بالمنزل

التربية عند اليهود

فهرس تحليلى

- الأسرة مجال لعمل الله وهى المربّى الأول فى العهد القديم.
- نشأت المدارس بقرب المجمع اليهودى لتعليم الأطفال مبادىء التوراة.
- استخدم المجمع اليهودى طرقاً متنوعة للوعظ لكل سبت هى : التفسير، والوعظ الليتورچى، والنبوى.
- ورثت الكنيسة عن المجمع كل هذه الطرق واستخدمها الرب يسوع.
- إستمر الآباء فى التركيز على أهمية الأسرة كمجال رئيسى للتنشئة والتهذيب والتربية الدينية، ويتضح هذا من عظة ذهبى الفم فى تنشئة الأطفال.

الفصل الثانى
التعليم بالمنزل
التربية عند اليهود

فكر معنا

- *علق على الصورة فى بداية هذا الفصل وهى تمثل أسرة يهودية معاصرة لازالت تحتفل بالفصح وتحافظ على التقليد.*

- *ما هو دور الأسرة فى التربية المسيحية.*

- *ضع خمسة أهداف محددة يحاول الوالدان الوصول إليها من أجل تربية مسيحية لأبنائهما.*

- *كيف يتم التعاون بين الأسرة والكنيسة للوصول إلى تربية مسيحية مثالية ؟*

التربية عند اليهود

امتازت مرحلة ماقبل السبى البابلى لليهود بالتركيز على النمط الأسرى فى التربية، كما يتضح ذلك من بعض النصوص مثل (تث٦ : ٤ ـ ١٠)

«فاسمع يا اسرائيل واحترز لتعمل، لكى يكون لك خير وتكثر جداً كما كلمك الرب إله آبائك فى أرض تفيض لبناً وعسلاً. اسمع يا اسرائيل، الرب الهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم"

فالجزء الأول من النص شبيه بقانون إيمان مختصر (الرب إلهنا رب واحد) مضافاً اليه قاعدة ذهبية مركزة للسلوك، نابعة من الإيمان نفسه (تحب الرب إلهك)، أما الجزء الثانى فيوضح مسئولية الأسرة المباشرة فى التربية الدينية. أما الوسيلة إلى ذلك فهى التواتر الشفاهى، الذى لاتقل قيمته عن قيمة النص المكتوب. أنظر أيضاً (يوئيل ١: ٣)

أما الوسيلة الأخرى للتربية الدينية فهي الاحتفالات الطقسية نفسها التي تستحضر الله في التاريخ المعاصر، ويشارك فيها الطفل والكبير، متعلمين جميعهم من الله نفسه، في جو إحتفالي مهيب، بما فيه من عناصر فنية وموسيقية أخّاذة ورموز عميقة معبرة.

كان الحوار هو الأسلوب المتبع بين الأب وإبنه :

«إذا سألك إبنك غداً قائلاً ما هي الشهادات والفرائض والأحكام التي أوصاكم بها الرب إلهنا؟ تقول لإبنك كنا عبيداً لفرعون في مصر فأخرجنا...» (تث ٦: ٢٠ ـ ٢١).

«إنما احترز واحفظ نفسك جداً لئلا تنس الأمور التي أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلّمها أولادك وأولاد أولادك» (تث ٤: ٩)

وتقوم الأم بنفس الوظيفة في البيت.

«اسمع يا ابني تأديب أبيك ولاترفض شريعة أمك» (أم ١: ٨)

وقد سمحت الأسفار المقدسة خاصة في الأمثال لابتعليم الأطفال فقط بل بتأديبهم أيضاً :

ـ «من يمنع عصاه يمقت إبنه ومن أحبه يطلب له التأديب» (أم ١٣: ٢٤)

ـ «أدّب إبنك لأن فيه رجاء ولكن على أمانته لاتحمل نفسك» (أم ١٩: ١٨)

ـ «رب الولد في طريقه فمتى شاخ أيضاً لايحيد عنه» (أم ٢٢: ٦)

ـ «الجهالة مرتبطة بقلب الولد. عصا التأديب تبعدها عنه.» (أم ٢٢: ١٥)

ـ «لاتمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بعصا لايموت. تضربه أنت بعصى فتنقذ نفسه من الهاوية.» (أم ٢٣: ١٣ـ١٤)

وقد كان واجب تهذيب الأبناء إلزامياً لدرجة أننا نسمع عن عالي الكاهن وكيف عاقبه الرب على تركه أولاده بدون تأديب.

مكانة الكلمة «التوراة» عند العبرانيين

لم تحمل التوراة مجرد وصايا في شكل أوامر ونواهٍ للشعب، بل كانت تمثل قلب الإيمان بالنسبة لشعب الله، كانت كلمة الله مقدسة وكانت تعني عندهم حضور إلهي. والأكثر من هذا

فقد كانت التوراة «عهداً» مقدساً بين الله والشعب، مؤداه أنه: إن ترك الشعب العهد، ترك الله الشعب.. ومن هذا نرى قدسية الكلمة وكرامة التعليم عند اليهود و تغلغله داخل الأسرة. وقد حَمِل الناموس في ثناياه وصايا مثل حفظ السبت والختان كعلامات تذكر الإنسان بالعهد بينه وبين الله، وتعتبر وسيلة تربوية فعّالة للبعد عن الخطية.

كما كان هناك وسيلة تربوية أخرى نشأت في عصر الأنبياء، وهي مدرسة الأنبياء، التي كانوا يتعلمون فيها كلمة الله ويمتلئون من الروح القدس.

مدرسة المجمع

ولكننا نلاحظ أنه بنمو التقليد اليهودي أُدخلت المدارس الابتدائية الملحقة بالمجامع التي يقوم فيها رجل الدين بتدريس مبادىء القراءة والحساب، وكانت هذه المدارس أشبه بكتّاب القرية. وكانت تسمى بيت التهذيب وبالعبرية «بيت هاميدراش»، أو تسمى بيت الكِتاب وبالعبرية «بيت سفير»، وذلك بجوار المجمع الذى كان يسمى بيت الصلاة.

واعتقَد اليهود أنه «طالما سُمع صوت «يعقوب» في المجمع والمدرسة فإن يد عيسو «أى المضطهدون» لن تسود. وعلى نحو ما كان المعلم عند اليهود يستمتع بمكانة كبيرة لأنه يقوم بمهمة إلهية، إذ يقول عنه التلمود «ينبغي للمعلم أن يُحترم مثل الله نفسه».

وفي تلك الأيام لم تكن الطباعة قد اخترعت بعد، وبالطبع لم يكن تلاميذ كتّاب القرية يستخدمون كتباً ، ولكنهم استخدموا ألواح الأردواز، أو أدراجا للكتابة،وهى قطع من البردى أو جلد الغزال التى تطوى فى شكل لفائف.

وقد كانت هذه الأدراج باهظة التكاليف، ولم يكن ممكنا ـ من الناحية العملية ـ أن يمتلك كل تلميذ واحدا منها، ولذلك فإن كنت تريد أن تدرس شيئاً، فعليك أن تحفظه عن ظهر قلب.

وكان على الصبى اليهودى عند ذهابه إلى الكُتّاب، أن يحفظ خمسة نصوص عن ظهر قلب:

أولاً : أول هذه الخمسة، كان عليه أن يحفظ الـ (شما)، وهى المبدأ الأساسى فى الشريعة الموسوية التى كان لابد أن تبدأ بها كل خدمة دينية فى المجمع اليهودى. وكلمة (شما) هى فعل الأمر (إسمع) = إشمع بالعبرية،وهى الكلمة الأولى من النص (إسمع يا اسرائيل....(تث ٦:٤).

ثانياً : كان على الصبى أن يتعلم «التهليلة» والتى تعنى حرفيا «تسبيح الله» وهى تتكون من المزامير من ١١٣ ـ ١١٨ وهذه المزامير تذخر بتسبيح الله.

ثالثاً : كان عليه أن يتعلم من سفر التكوين الإصحاحات (١ـ٥) والتى تحكى قصة الخلق وكيف أتت الشعوب المختلفة للوجود.

رابعاً : تأتى الاصحاحات الثمانية الأولى من سفر اللاويين.

فكان على الصبى أن يتعلم الشريعة ويعرف ما هو طاهر وما هو نجس، وكذلك فى الأطعمة ما يحل أكله وما لايحل، وأيضاً ما يحل لمسه وما لايحل ... أى أنه كان لابد أن يتعلم كيف يمكن للرجل أن يعيش طاهراً من وجه نظر الشريعة اليهودية .

خامساً : كان على الطفل اليهودى أن يقوم بعمل آخر شيق. فبالرغم من عدم توافر الكتب لديه، فقد كان هناك فى المدرسة مايسمى بالدرج أو الكتب الملفوفة التى يمكن للتلميذ قراءتها أو إستعارتها.

وكان عليه أن يبدأ البحث عما يسمى بالنص الشخصى. والنص الشخصى كان عبارة عن آية تبدأ بالحرف الأول الذى يبدأ به اسم التلميذ، وتنتهى بالحرف الأخير من اسمه، على أن تحتوى كلمات الآية الواقعة فى الوسط على جميع حروف إسمه الباقية. فإذا كان الإسم (سالى) فإن الآية التالية تعتبر نصا شخصياً

لها «سراج لرجلى كلامك ونور لسبلى» لانها تبدأ بالسين وتنهى بالياء كما أن الألف واللام موجودتان داخل الآية.

وكان مثل هذا التدريب يعتبر حافزاً للفتى على إستكشاف الكتاب المقدس. وفى أحيان أخرى كان المدرس يكافىء تلاميذه بطريقة طريفة:

فنحن نعرف أنه لم يكن هناك ورقا أو أقلاما فى ذلك الوقت، وإنما استخدموا ألواحاً من الإردواز وطباشير.

ولكن المدرس كان فى أحيان أخرى يكتب الحروف الأبجدية على الإردواز بعجينة من العسل والدقيق، ثم يُريها للتلاميذ متسائلا عن نطق هذا الحرف، فإن أجاب تلميذ ما بالصواب، كان يسمح له بأن يلعق هذا الحرف من على لوح الاردواز! ولعل فى هذا إشارة لقول المزمور «ما أحلى قولك بحنكى، أحلى من العسل لفمى» (مز ١١٩:١٠٣)

طرق الوعظ فى المجمع اليهودى

١ ـ التفسير الكتابى

وكانت صورة التعليم عند اليهود تختلف إختلافا بيّناً من حيث الشكل عن الحديث عند اليونانيين أو الرومان، وذلك لكون العظة اليهودية مبنية أساساً على نص كتابى وليس على حوار جدلى، فالنص قول مقدس وهو يحتاج بالطبع إلى التفسير والتعليق والتطبيق.

وكان اليهود يفسرون النص بطريقتين : الطريقة الأولى عبارة عن تفصيلات ناموسية للقانون الإلهى الموجود أساساً فى سفر اللاويين، وقد وضعت فى ما يسمى (بالهُلاكا) فيشرحون متى يبدأ السبت، وأى حمل يستطيع الإنسان أن يحمل فى ذلك اليوم وما يجوز عمله فيه.

أما الطريقة أو الأسلوب الثانى فهو متضمن فى كتاب يسمى (الحجادا) وفيها شروحات لباقى أجزاء التوراة، وتعليق على النصوص غير القانونية أو الطقسية. وفيها توجيهات

وإرشادات للبناء الخلقي، والقليل من العقائد اللاهوتية. ولكن الجزء الطقسي الذي إهتمت به الديانة اليهودية (الهلاكا) تطور بصورة أكثر من حيث الكم والكيف عن العظة الخلقية التفسيرية (الحجادا).

٢- العظة الليتورجية في المجمع

أما النص الذي يستخدم في المجمع اليهودي للعبادة فعادة ما يكون مركزاً غنياً بالتعليم، محورياً وليس هامشياً، ملىء بالتأثير والحيوية فهو إذاً مناسبة جيدة لالقاء العظة التي توحد بين كلام الله وحياة شعب الله، بين الماضي والحاضر، في وقت خشوعي مملؤ بالروحانية والتأثير. فالنص يرنم ويتلى في جو إحتفالي كإمتداد لحضور الله داخل الجماعة المقدسة حين تقرأ كلمته.

فالمجمع يجتمع للعبادة وتلاوة المزامير والصلوات، يتخللها قراءة فصول منتخبة من الأسفار الإلهية: التوراة الناموس والأنبياء وأسفار الحكمة. وكانت القراءات تسير هكذا:

الناموس : إقتباس من أسفار موسى الخمسة.

الأنبياء: إقتباس من الأسفار الأخرى.

الحكمة : مجموعة أقوال مأثورة أو حكم تختص بالفكرة الرئيسية المشتركة للقراءتين.

٣ـ العظة النبوية

اعتاد الرب يسوع أن يدخل المجمع كل سبت ، وفي (لوقا ١٦:٤) وقف الرب يسوع في مجمع الناصرة وقال بإختصار ووضوح «اليوم تم هذا المكتوب في مسامعكم».

ومنذ ذلك الوقت صارت العظة الليتورجية إحدى طرق التعليم المسيحي الذي يستحضر عمل الله المستمر من الحاضر والماضي.

إلا أننا نلاحظ في إستخدام الرب يسوع للعظة بعداً آخراً وهو البعد النبوي. فالنبوة أساساً كلام الله، أُجبر إنسان ما نبي أو معلم (في هذه الحالة

الرب يسوع يقرأ كلام أشعياء) على الإدلاء به سواء قُبِل أو رفض، سواء قوبل هذا النبى بالهجوم أو الموافقة. فالنبوة حديث له سلطانه، قد يكون مختصراً أو مطولاً، وقد يستخدم فيه الرمز أو القصة أو التجسيم التمثيلى. ولكنه فى النهاية يهدف إما إلى إنذار الجماعة لردها عن ضلال ما، أو تشجيعها بالوعود والبركات القادمة. وقد ورثت الكنيسة المسيحية عن اليهودية وعن الرب يسوع نفسه الحديث النبوى، بما فيه من قوة وإقناع، وإختصار وغموض، أو وضوح وبيان. فالكلمة النبوية لاتأتى منمقة منسقة، وإنما مباشرة متدفقة، بل متدفعة حاسمة فى أحيان كثيرة.

وخلاصة القول :

أن الكنيسة الأولى إبان نشأتها قد ورثت أنواعاً من الوعظ والتعليم عن اليهود.

١ ـ التعليم فى المنزل.

٢ ـ التفسير الكتابى.

٣ ـ العظة الليتورجية

٤ ـ العظة النبوية.

كذلك ورثت العظة بالحوار من المجتمع اليونانى.

أما التنشئة الدينية داخل الأسرة فلم تنقطع بل إستمرت فى التراث المسيحى فى الأجيال الأولى، وهى مستمرة حتى الآن. وعلينا أن نعطيها أولوية حتى على مدارس التربية الكنسية. ونرى كيف امتدح بولس *الرسول تيموثاوس لأنه تسلم الإيمان* عن أمه لوئيس وجدته أفينكى (٢ تيم ١:٤)،وطالب بولس الأسقف رعاية أبنائه الروحيين كإلتزام مسيحى بالدرجة الأولى (١ تيم ٣: ٥).

التربية المسيحية
مسؤلية الأسرة

للقديس يوحنا ذهبى الفم عظة هامة عن «الطريقة السليمة التى يربى بها الآباء أبناءهم» نشرها عام ١٩٥١ ليستنر M.L.W Laistner وتبين هذه العظة إستمرار التراث التربوى الدينى داخل الأسرة ونستطيع أن نقتبس بعض الأفكار من هذه العظة تحت عناوين :

- أهداف التعليم الأسرى.
- مبادىء التربية الأسرية.
- طرق التعليم الأسرى.

أهداف التعليم الأسرى

التنشئة المسيحية فى الأسرة فى نظر ذهبى الفم يجب أن تكون تنشئة للملكوت ، فتغرس فيهم الفضيلة ومحبة الله وضبط النفس ولاتكتفى بتعليمهم الفنون والآداب والعلوم.

إهتم ذهبى الفم بالوصية الأولى، فيجب أن نعلّم طفلنا أن يحب الله من كل قلبه وفكره ونفسه وقوته، وبالثانية أن يحب قريبه كنفسه. إذا ما إستطعنا أن نغرس هاتين الوصيتين فى حياة أولادنا، فإننا نكون قد نجحنا ، وكل شيء آخر سيوضع فى مكانه المناسب أثناء إستمرارنا فى العمل بتربية أطفالنا.

"فلنغرس فيه، إذاً هذه الحكمة وندربه عليها، حتى يحذر النزوات الجسدية وحب الثروة وحب الصيت والشهرة والنزوع إلى التسلط، بل ويزدرى بها، ويجاهد نحو ما هو أسمى. إن خوف الله والقدرة على رصد هذه الإهتمامات البشرية يكفينا لأجل الحكمة".

من المهم تعليم الطفل أن يقبل الخسارات الضئيلة الآن، لكى يستطيع أن يقبل ويتحمل الخسارات الكبرى عندما يشب رجلاً. ويجب أن يحاول التحكم فى غضبه وإنفعالاته، وأن يصير متسامحاً صفوحاً إذ حطم الآخرون ألعابه ، فيقول ذهبى الفم :

"قد يصير الأولاد عنيدين عندما يخسرون مثل هذه الأشياء، ويميلون إلى

تفضيل خسارة نفوسهم عن أن يذهب المتسبب في الخسارة بلا عقاب!.

«وإذا تعلم الوالد كيف يهذب أطفاله، فهم أيضاً بدورهم سيتعلمون تهذيب أولادهم فيما بعد!». فأى فرح سيكون للجدود! إن ذهبى الفم يقول إنه ليس فقط الأجيال *التالية ستستفيد من الأولاد المهذبين* جيداً بل العالم كله أيضاً هو المستفيد:

«إن جُلَّ همنا هو تربية وتعليم العالم كله!».

مبادىء التربية الأسرية :

تحتوى عظة ذهبى الفم على مبادىء تربوية هامة نذكر منها :

أ – مبدأ التدرج وعدم سرد القصص المخيفة :

إن القصة الواحدة تحوى دروساً عديدة (فقرة رقم ٤٤)، لذلك يجب أن تناقش كل المعانى فى جلسات متعددة. يجب أن نلاحظ الأعياد الكنسية والأصوام ليكون حديثنا عنها فى أوقاتها، وهذه قد تستغرق أيضاً عدة دروس.

وينبه ذهبى الفم إلى أن المناقشات العقيمة فى موضوعات الجحيم، وخطيئة سدوم وعمورة ، والعقاب .... إلخ يجب ألا تطرح إلا بعد أن ينمو طفلنا (٥٢).

ب – ويسجل ذهبى الفم تدريباً آخراً ، وهو *تعليم الطفل الأكبر* أن يفضِّل أخاه الأصغر فى كل شىء، فالنقطة التى يلفتها إلينا هذا القديس هى أننا ينبغى أن نحاول إزالة الميل لدى الطفل فى جذب الإنتباه إلى ذاته دون غيره.

جـ – لاتفسد الطفل! بل دعه يعتنى بحاجياته الخاصة دون أن يرتكن على الآخرين ليستجيبوا لكل طلباته: «إن هذا سيجعله قوياً وبسيطاً ولطيفاً»، كما يقول ذهبى الفم. هنا ينبغى أن يُعطى الطفل بعض الواجبات المنزلية المعقولة وبعض المهام الخاصة بالحياة اليومية. فمثلاً أن يحتفظ بحجرته مرتبة، وينظف المكان الذى لعب فيه بعد إنتهاء اللعب .... إلخ. أى إن إختيار الأعمال

التى ننصحه بعملها التى تُظهر ثقتنا فيه يمكن أن تساعده فى خلق الشعور بالمسئولية لديه. كما أن أداءه لبعض الأعمال اليومية الخفيفة يمكن أن يعلّمه الإعتراف بالجميل عندما يقدم له الآخرون المساعدة، وأن لايضيع الوقت هباء.

ء - ويقول لنا ذهبى الفم أنه يجب أن نهتم بتأديب طفلنا ، وكيف يجب ألا نتجاهل أهمية التأديب. إن طفلنا فى حاجة إلى التوجيه (١٦)، والتأديب والتنظيم، للبناء والإرشاد (٢٧)، يجب أن تكون كالملك والملكة فى مسئوليتنا عن نفس إبننا (٢٣). إذا كنا حقاً نهتم بحياته،

طرق التربية الأسرية :

تذكر العظة بعض الطرق العملية للتربية المسيحية منها :

١ - القدوة :

ويكرر ذهبى الفم مؤكداً أنه ينبغى على الوالدين أن يتأكدا أنهما بالفعل مثل طيب لأولادهما. إن تصرفاتنا تؤثر جداً في أخلاق أطفالنا (٣٦)، لذلك يجب أن نكون ثابتين ونامين فى الصلاة، متعلمين كل يوم شيئاً جديداً، لنكون مسيحيين حقيقيين.

ويحذّر ذهبى الفم من جهة خطورة تأثير الأصدقاء والجيران فى أخلاق أطفالنا، وينصح أنه يجب على الوالدين أن ينتبهوا جداً من جهة الناس الذين يحتك بهم أطفالنا، أصدقاؤنا ، أقاربنا، المعلمون. ويجب أن نتأكد أنهم مؤازرون لنا فى رفع المستوى الروحى لأولادنا لامعوقين لمساعينا (٣٧ و ٣٨).

٢ - الوحدة :

يعطى ذهبى الفم أهدافاً معينة لتعليمنا، ويركز على ضرورة الوحدة داخل الأسرة الواحدة، فهى تشكل الخطوة الأولى والأساسية لبناء المجتمع المتحد. هنا منبع وأصل التعليم العام للمجتمع (٥٤). هنا الصورة التى تكون عالماً أفضل إذا ما إهتمت الأسر بأعضائها. إن أطفالنا فى النهاية

سيبدأون فى تكوين عائلاتهم على النمط الأسرى الذى أعطيناهم إياه. ومثالياً، إذا خطونا الخطوة الأولى بالصواب، فإن العائلات التى ستتكون فى المستقبل ستعيش فى إنسجام وتوافق، وسنكون «أبناء الله»، تماماً حسب القصد الذى قصده منا أن نكون عليه عندما خلق الله العالم.

٣ - الممارسات الدينية والأسماء المسيحية :

وبعد أن شرح ذهبى الفم بإسهاب علاقات الأسرة مجتمعة، من جهة ذهابهم معاً إلى الكنيسة والصلاة العائلية والتسبيح والصوم الجماعى، فإنه يعود ويذكر أهمية تسمية أولادنا بأسماء القديسين والشهداء والرسل (٤٧و٥٠). وبذلك سيتصادق الطفل مع قديس أو قديسة، يكون له نموذجاً يحتذيه ليبلغ كماله المسيحى. ويطالب ذهبى الفم الوالدين بأن يحتفلا سنوياً بهذه الذكرى بقوة، وبأهمية أكثر من عيد ميلاد الطفل. وهكذا كلما ينمو الطفل ويشب، فإن هذا القديس سيكون بالنسبة له هو «البطل» بدلاً من أن يكون بطله هو ممثل .

تشبيهات آبائية :

لكى يوضح قيمة العملية التعليمية أورد ذهبى الفم ثلاث تشبيهات تبين الهدف من التعليم المسيحى وأهميته المطلقة.

فالتنشئة تشبه نحت التماثيل كما تشبه تدريب الأبطال (المصارعون) كما تشبه إعداد المواطن (السماوى). وغنى عن الشرح أهمية هذه الأنشطة (النحت والرياضة والسياسة) فى العالم القديم.

يقول القديس ذهبى الفم :

" إنه يجب أول كل شىء أن نرسخ فى أولادنا معنى الحياة، وهو أن نرضى الله وأن نحبه...، وعندئذ فإن الأسرة سوف تنال بركاته (فقرة ٩٠) وهى «ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢:٩). يجب أن نكون متحققين فى داخلنا أننا نربى أولادنا لا لنفرح ونتسلى بهم، نحن أو أجدادهم، ولاحتى

للمجتمع، كلا، بل الله فقط، لأنه هو جابلنا وهو أبونا الذى نحبه لأنه هو أحبنا أولاً. نحن الوالدون إنما نربى حكيماً مجاهداً، مصارعاً، مواطناً سماوياً (٣٩) مصارعاً لمجد المسيح (١٩)».

وقد عقد ذهبى الفم هذه المشابهة:

«إننا نشكل هذه التماثيل العجيبة (أى أولادنا) لتكون لله. الله يسكن فى طفلنا، ويجب علينا أن نرتفع بإبننا بلياقة ليكون لله (٢٨)، وكما يعمل النحات، هكذا يجب علينا أن ننزع ... ما هو غير مناسب ونضيف ما هو ناقص، بإضافة العادات الطيبة وإقتلاع الأخطاء (٢٢). لذلك علينا كل صباح وكل مساء أن نصلى لله ونسأله أن يعيننا لنسمو بأولادنا ليحبوه ويسلكوا فى طرقه ووصاياه. وفوق الكل، يجب علينا أن نعلّم أولادنا الحكمة لمخافة الله حتى يعرفوه ويحبوه، لأن «رأس الحكمة هى مخافة الله» (أم ١ : ٧)».

ويقول القديس ذهبى الفم :

«يجب أن نعتنى بهذه «التماثيل» الجميلة التى بين أيدينا .... لنشكلها لأجل الله، لأنها ليست جامدة مائتة، بل هو ملك الكون الذى أراد أن يسكن فيها. إذاً، فلنين الطفل بكلمات الله، لأنكم تربون فيلسوفاً (أو حكيماً لله) وبطلاً (يركض نحو ملكوت الله)، ومواطناً للسماء».

وأخيراً:

فإن ذهبى الفم يعلمنا بأن ما نزرعه ونتعب فيه فى مجال التربية سنحصده أيضاً، إذ سنأخذ أجرتنا من السماء، فيقول : «إنك ستكون أول من يستفيد إذا كان لك إبن صالح، ثم بعد ذلك الله. فأنت تتعب لنفسك» ، «أظهر إهتمامك بإبنك وستكون لك المكافأة بأنواع شتى».

ومن هذا العرض نجد أن آباء القرون المسيحية الأولى لازالوا يضعون على الأسرة العبء الأكبر فى التنشئة الدينية.

نظرة كتابية

الله أب مربٍ وقاضٍ

☐ إقرأ تث ٤:١-٤٠،

وتثنية ٣٠ :١٥ ـ ٢٠ وضح كيف أن الله يربى شعبه للخلاص عن طريق المكافآت والعقوبات.

دور الأسرة عند بولس الرسول :

لم يفت بولس الرسول أن يؤكد حقيقة تربوية هامة تتعلق بتأثير المناخ الصحى والديمقراطى فى داخل المنزل، وأثر ذلك على النمو النفسى والروحى للأبناء. فيقول بولس الرسول: "وأنتم أيها الآباء لاتغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا" كو ٣: ٢١

إحتوت رسائل بولس على مبادىء تعتبر نواة للقانون الكنسى فى صورته الأولى، ونلاحظ فى هذه المبادىء كيف أصبح إهمال تربية الأولاد معثرة يمنع من يأتى بها من الدرجات الشماسية والكهنوتية ومن الشركة المقدسة "ليكن الشمامسة كل بعل إمرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً (١ تيم ٣ :١٢)

"وإن كان أحد لايعتنى بخاصته ولاسيما أهل بيته فقد أنكر الإيمان وهو شر من غير المؤمن" (١ تيم ٥:٨)

"صادقة هى الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً ينبغى على الأسقف ... أن يدبر أولاده حسنا له أولاد فى الخضوع بكل وقار، وإنما إن كان أحد لايعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله" (١ تيم ٣:١-٤ ـ ٥)

تدريب :

١ – صمم عظة منزلية تدور حولها مناقشة بينك وبين أفراد أسرتك.

ابدأ بقراءة من العهد القديم،تليها قراءة من العهد الجديد،ثم حاول مع أفراد أسرتك إستخراج الحكمة المنطوية داخل القراءتين، وكيف يمكن تطبيقها على حياتنا.

٢ – إقرأ كتاب «تربية الأطفال فى تعليم القديس يوحنا ذهبى الفم» وإستخرج الخطوط العريضة لفكر القديس التربوى الخاص بمرحلة الطفولة.

الفصل الثالث
التعليم بالقدوة
الرب يسوع كمعلم

فهرس تحليلى

أولاً خطة الكرازة :

ـ كانت خطة الله الآب فى خلاص البشرية تشمل الإختيار لأشخاص معينين، يقومون بعمل كرازى لباقى المسكونة.

– وحين اختار الرب يسوع تلاميذه كان أهم ما يميزهم هو القابلية للتعلم، أما نقائصهم فكانت عديدة.

– صحح المسيح مفاهيم وإتجاهات تلاميذه بالمعايشة والقدوة والتعليم.

ثانياً محتويات الرسالة :

– كانت أهم الدروس التى تضمنتها رسالة السيد المسيح هى : البنوية لله، والصلاة، وعدم الرياء، ومحبة القريب، وتعاليمه عن الصليب.

ثالثاً شخصية المعلم :

– علّم المسيح بحياته الشخصية، فانطبعت أقواله على أفعاله.

– إهتم يسوع بكل إنسان وبكل الإنسان.

– إستخدم فى تعاليمه الكتب المقدسة والأحداث اليومية وربطهما ببعض.

– تنوعت طرق التدريس التى إستخدمها المخلص (١٨ طريقة).

الفصل الثالث
التعليم بالقدوة
الرب يسوع كمعلم

فكر معنا

تحدثنا فيما سبق عن المجتمع اليهودى والتعليم بالمنزل والمدرسة الملحقة بالمجمع، ورأينا أن الكتبة والفريسيين قد اهتموا بالتعليم اللفظى والشكلى للشريعة، والتفاصيل الناموسية والطقسية، وأهملوا جوهر العبادة : الحق والرحمة والإيمان.

لقد كان الرب يسوع يعلم كمن له سلطان بالقول والفعل، وكان الفعل عنده معجزة، كما كان القول معجزة، كان السيد هو المعلم الأعظم ولازال هكذا، فهو النموذج الكامل للخادم عبر الأجيال.

سنقسم هذا الفصل الهام إلى عدة عناصر حيث ندرس : خطة السيد فى الكرازة، ثم محتوى الرسالة، وشخص الرب كمعلم والوسائل التى استخدمها. والآن ندعوك أن تقضى عشر دقائق ممسكاً بالعهد الجديد فى يدك محاولاً أن تتأمل فى شخص الرب يسوع كخادم ومعلم فريد نموذجى

أولاً: خطة السيد فى الكرازة

ما هو الهدف من خدمة المخلص؟

إستخدم الله الآب فى القديم مبدأ الإختيار، فاختار نوحاً ولوطاً من وسط عالم شرير ليكونوا له شهوداً، واختار إبراهيم، كما إختار اسحق ويعقوب، واختار شعب اسرائيل من وسط الشعوب ليكونوا له شعباً وكهنة (خر١٩:٦)

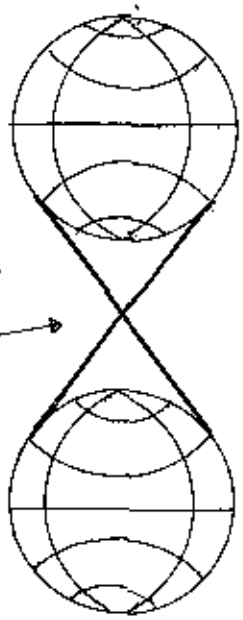

العدد يتناقص :

ولم يكن هذا الإختيار للخلاص فالله يريد للجميع أن يخلصوا، إنما كان الإختيار لمهمة يقومون بها، وهى الكرازة بإسمه وتوصيل صوته وسط الأمم.

لقد وصل إلى الحقيقة بعض المفكرين والفلاسفة من خارج الشعب الإسرائيلى، حتى أن إكليمندس الاسكندرى قال عن أفلاطون (إنه موسى يتحدث باليونانية). لم يصل أفلاطون لكل الحق، ولكن الله كان يتحدث بطرق مختلفة لكل الشعوب «الرب يعّد (أو يحدّث) فى كتابه الشعوب » (مز٨٧:٦)

كان إسرائيل حقل التجارب أو التربة النموذجية، مثل الصوبة أو المشتل الذى سينتقل منه الزرع المقدس ليملأ الأرض.

ليس غريباً أن يتخذ الآب منهجاً إنتقائياً، فيركز على قلة تزداد تناقصاً ولكنها تزداد أيضاً عمقاً ونضوجا.

«لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة» (أش ١ :٩)

ازدادت تقوى الأمة اليهودية بعد فترة العودة من السبى، ولكن الحرفية والناموسية،(والذين يبيعون ويشترون فى الهيكل)،ازدادت أيضاً. واستمرت عملية الاختيار حتى إختار الله العذراء مريم ليأتى منها المسيح بالجسد، وأخيراً جاء السيد المسيح الذى قال عنه أشعياء « مختارى الذى سرت به نفسى» (١:٤٢).

العدد يتزايد :

وأراد الابن الوحيد أن يعيد العالم كله إلى البنوة لله ويدخل الكل إلى حظيرة إسرائيل الجديد (الكنيسة)، واختار السيد المسيح الاثنى عشر "ليكونوا معه ولكى يرسلهم" (مر٣:١٤) وهو نفس عدد أسباط إسرائيل، ثم اختار سبعين آخرين، ويوم العنصرة كان عدد التلاميذ مائة وعشرون، وازداد بعد عظة بطرس إلى ثلاثة ثم خمسة

آلاف، والآن يعتنق المسيحية ١,٦ بليون نسمة أى ١٦٠٠ مليون مسيحى هم ثلث سكان الأرض (حسب إحصائية د.فرانك چانس في موسوعة Target Earth عام ١٩٨٩)، ولازال أمامنا أرضاً كثيرة لنمتلكها (يش ١٣:٢) وحقولا شاسعة لنستصلحها.

نستطيع أن نقول أن خطة الكرازة بالإنجيل قد نجحت نجاحاً ساحقاً، فالذين حضروا موت السيد لم يزيدوا عن شخصين من الرجال، وبعض النسوة كن يقفن من بعيد (مت ٢٧:٥٥). حقاً وقعت حبة الحنطة فى الأرض وماتت! ولكن الأرض كلها ستمتلىء من ثمرتها. وهكذا كانت خطة السيد فى الكرازة تتلخص فى :

- انتقاء.
- معايشة.
- تدريب.
- تفويض و إرشاد.
- متابعة.
- وكالة.

كيف إختار السيد الإثنى عشر؟

بدأ السيد المسيح خدمته (التى تدهشنا بقصرها وفاعليتها معا) بطريقة خفية ، فبقى فى دكان الناصرة حتى سن الثلاثين، وهو العمر القانونى الذى كان الكهنة واللاويين يبدأون فيه الخدمة (عد٤:٣). ثم انتشرت خدمته العلنية بسرعة فائقة كالنار فى الهشيم، أما فى السنة الثانية لخدمته فبدأ فى إعطاء نصف الوقت لتلاميذه فى جلسات منفردة، حتى جاءت الفترة الأخيرة التى اعتزل فيها تماماً عن الجموع، وكرس كل وقته وكل وجهده للتلاميذ فقط (يو ١٣:٥) (لو٥:١٦) (مت١٤:٢٣).

فإذا نظرنا إلى الفئات التى اختارها السيد للخدمة لانجد أنها هى الأفضل أو الأصلح، ولكنها كانت عينات متباينة من البشر، لايجمعها فكر واحد بل كانوا فرقا وشيعاً متناثرة، فسمعان الغيور كان ينتمى إلى طائفة تحمست للقومية اليهودية ضد الاحتلال

الرومـانى، ولم يكن يتـفق بحـال من الأحوال مع متى العشار الذى كان يقوم بالجـباية لصـالح الرومـان، أمـا الرب يسوع فكان يقبل جميع الفئات. ويعد دعوة متى أقام للرب وليمة دعا فيها أصـدقـاءه من العـشـارين والخطاة ليعرفهم بالسـيد الجديد، ولتكون فى الوقت نفسه حفل تكريم للمخلص. وقد أثارت هذه الروح المتحررة المتسامحة من المسيد الحقد والتساؤلات من اليهود والتلاميذ.

وكان التلاميذ فئات مختلفة فى طبقاتهم الإجتماعية، فزبدى أبو يوحنا ويعقوب كان له أسطول صيد صغير وبعض العبيد (مر ١: ٢٠) مما يدل على كونه ميسور الحال، أما البعض الآخر فكانوا من الصـيـادين البسطاء الذين يكتفون بصغار السمك (الذى لم يباع) كوجبة العشاء.

أما ثقافتهم فكانت متباينة أيضاً. فربما كان يهوذا أو متى على درجة من العلم، وكان لوقـا طبـيـبـاً وبولس ربيًا (معلما للناموس) وكان يتقن اليونانية ويقرأ الفلسفات والأشعار (أع ١٧: ٢٨).

أمـا من حيث الطباع فكان هناك بطرس المندفع، ونثنائيل المتحير، وتوما الشكاك، ويوحنا التـأملى. فكانوا فى جملتهم عينات تمثل البشرية كلها فى جميع تركيباتها وطبائعها، ولم يكن كلهم يتمتـعون بالروح النبيلة العالية فكان بينهم الحسـد وحب الظهـور والأنانيـة والإندفـاع والوصـوليـة بل والخـيـانة (مـــر ١٠: ٣٥ - ٣٧) (مت ١٧: ١-٤) (لو٢٢: ٤٨).

لماذا اختار السيد هؤلاء؟

كانت هناك صفة هامة تجمع بين التلاميذ هى رغبتهم فى التعلم وقابليتهم لذلك، وإخـلاصـهم فى البـحث عن الحقيقة، ومع ذلك فكان الطريق أمامهم طويلاً وشاقا:

١ - كـان عليـهم التـخلص من محدوديات الفكر اليهودى حتى يقبلوا الأمم الذين سيدعوهم الله على يديهم.

٢ - وكـان عليـهم أن يتـخلصـوا كذلك من حب الذات ويسيروا فى درب

الصليب، وكان عليهم أن يتسلحوا بإيمان قوى وثابت بقوة الله وفاعلية كلمته، وأن يثقوا فى أنه يستطيع أن يعتنى بهم، ويدافع عنهم، ويعمل من خلالهم.

٣ ـ لقد تمسك التلاميذ بالرب حتى حين تخلت عنه الجموع (يو٦:٦٨).

وكان إخلاصهم للرسالة يقتضى التفرغ لها. وقد كان الرب يريدهم أن يحتفظوا بأدق التفاصيل بما رأوه وسمعوه وعملوه، حتى يكرزوا بها بعد صعوده.

٤ ـ وكانت التلمذة تقتضى الطاعة والخضوع الإرادى للسيد الجديد ولإرادة الله.

إلى أى مدى كان عليهم أن ينكروا أنفسهم؟

وكان على التلاميذ التخلص من الرغبة فى التملك وجذب الإنتباه وحب الظهور، ويرى بعض المفسرين أن التلاميذ حين انتهروا الأطفال لم يفعلوا ذلك بدافع الشفقة على المخلص المُتعب، بل برغبة دفينة فى الحصول على مزيد من الوقت والإهتمام لأنفسهم من جانب السيد المسيح، فكانت توجيهاته لهم بضرورة جعل النفس فى مرحلة تالية، ووضع الخدمة فى المكانة الأولى، وذلك حين رأى السيد غيرتهم الطفولية من الصغار وحبهم بطريقة غير روحية للذات (مر ١٠: ١٣ ـ ١٤).

كانت التضحيات فى حياة السيد سلسلة لاتنقطع تبدأ بإنكار الذات والتخلى عن الملكية والإرادة الشخصية، والتضحية بالوقت والجهد والمال من أجل الهدف الأعظم، ثم تمر بوادى الإتضاع، والتضحية بالكرامة والمكانة، وتكمل بالألم واحتمال الإهانات، وتنتهى ببذل النفس حتى الموت، وقبول العار لأجل السرور الموضوع أمام الخادم.

ولم يكن يخطر ببال التلاميذ شيئاً من هذا كله. فظن بعضهم أن الخدمة كرامة أو مال أو سلطة أو بركات يأخذونها دون مجهود.

(مر ١٠ : ٣٥ – ٣٧)

(مت ١٧ : ١ – ٤)

فكيف صحح المعلم مفاهيمهم ؟

لكى يغير المخلص مفاهيم التلاميذ عن الخدمة نجده يعايشهم ويدربهم ويتابعهم :

١ - التعليم بالمعايشة :

لم يعط المخلص تعاليمه فى شكل قانون للإيمان، أو كتابات عقيدية منهجية، ولاجاء بوصايا مكتوبة مثل الوصايا العشر، بل أرادهم أن يروه فى تصرفاته اليومية وهو يستغل المواقف المختلفة لوضع التعاليم المناسبة، وما أكثر المرات التى أراد فيها المعلم تلاميذه أن يكونوا معه، وهذه الأمثلة للإيضاح وليست للحصر:

إتبعنى (يو ١ :٤٣)

تعال وانظر (يو ١ : ٤٦)

الصلاة قبل الخدمة (لو ٦:١٢)

تهدئة الرياح (مت ٨ : ٢٣)

إشباع الجموع (مر ٦ :٣٥-٤٣)

الخلوة بعد الخدمة (يو ٥ : ١٣)

إقامة إبنة يايرس (مر٥:٢١-٤٣)

التجلـــــى (مت:١٧-١:٨)

الدخول الإنتصارى (مت٢١:١-٨)

الفصـــح (مت ٢٦: -٣)

جثيمانـــى (مر١٤:٣٢، ٣٣)

٢ - التعليم بالتدريب :

رأى التلاميذ السيد يفعل أمامهم مايريد أن يعلّمه إياهم. كذلك أرادهم أن يفعلوا أمامه ما تعلموه. فأرادهم أن يجولوا مثله ببشرى الخلاص، وأن يشفوا مثله البشرية السقماء، وأن يطاردوا مثله روح الشر التى ملكت العالم القديم، وأن يشعروا مثله بالبركات التى يكلل بها الرب الكارزين، ويتهللوا معه بنشوة الفرح ويتثقلوا بالمسئولية والمهام الجسام.

لقد أستعاد العالم الحديث فى القرن العشرين استخدام طريقة

التدريب ولم يكتف المربون بالفصول الدراسية، واستحيوا المنهج القديم الذى يقوم على المشاهدة والتقليد والإتقان والخبرة العملية.

٣ـ التعليم بالمتابعة :

لم يكن ممكناً للتلاميذ أن يستمروا فى الكرازة دون متابعة،فحين بدأوا يفرحون بالنتائج الخارجية للخدمة وجههم لضرورة الإهتمام بخلاص أنفسهم حتى لاتشطب أسماؤهم من سفر الحياة، وحين ظنوا أن الخدمة تشريف ألح إليهم بصليب وشيك، وحين منعوا شخصاً لاينتمى إليهم من إخراج الشياطين وضّح لهم أن الخدمة ليست قاصرة على فئة دون أخرى، وحين تشاجروا عمن يكون الأعظم فيهم أعاد إليهم روح الإتضاع، وحين كادت نفوسهم تخور فى جسيمانى أبان لهم أنه يستطيع أن يطلب المعونة فى أى وقت فيدركها، وأن الإمتحان النهائى لابد أن يفربلهم، ولكن إيمانهم سيبقى رغم الصعوبات، فكان لمتابعة السيد لتلاميذه الفضل الأول فى إستمرارهم.

ثانياً : محتويات الرسالة

موت وحياة

ننتقل الآن من خطة الدراسة أو التلمذة، إلى المنهج الدراسى أو محتويات الرسالة التى أراد السيد المسيح أن يعلمها لتلاميذه، وقد أعطاهم دروساً متلاحقة عن البنوة لله والصلاة والرياء ومحبة القريب.

أما الصليب فقد إحتل مكاناً محورياً فى تعاليم المخلص تتناسب مع أهميته فى حياته وضرورته للفداء، كذلك أوضح لهم حقيقة القيامة التى كانت مغلقة عن أذهانهم.

ومرة أخرى نقول أن المنهج لم يكن نظرياً ولا أكاديمياً إنما كان منهجاً حياً، وضع النقاط الجوهرية فى المحور، وأصاب الهدف من أقرب طريق، وترك للدارسين حرية الإنصياع أو العدول عن موقف التلمذة.

الدرس الأول :

الرب يسوع يعلم عن البنوية لله.

لم يكن التعليم عن البنوية تعليما فرعياً فى المسيحية، فقد كان تعليماً محورياً، كما كان تعليماً جديداً فى الوقت نفسه، بالرغم من أن إسرائيل دعىَّ إبنا لله إلا أنه لم يطلب منه أن يردد ذلك فى الصلاة. وكما يتعلم الرضيع أجمل وأول كلمة لينادى بها رمز العناية الكونية (ماما)، فهكذا كانت أول كلمة يضعها المسيح فى فم مختاريه هى كلمة (بابا) وقد نطقها بالأرامية الدارجة، حين أوصى تلاميذه أن يسمّوا الله يا (أبا الآب)، وكانت نفس هذه الحروف هى آخر كلمة نطق بها فم المسيح على الصليب حينما قال «يا أبتاه» فى يديك أستودع روحى.

إن الدرس الأول فى المسيحية كان عن البنوية، وقد إحتجنا إلى الإبن حتى نصبح أبناءًا لله، فلسنا بعد عبيداً ولا رعايا لملك، بل أولاداً أحباء.

على أن التعليم بالبنوية إقتضى المصالحة، وهذه قام بها المسيح، إذ أعاد قلب الأبناء إلى أبيهم السماوى، وحنّ قلب الآب على الراجعين إليه، وأعلن أن الآب لم يكن غاضباً وهدأ، بل كان منتظراً بصبر عودة الضال، حتى يفرح ويُسر، وكان الثمن ذبيحة تقدم (العجل المثمن) ، والعلامة خاتماً وحذاءاً وحلة فاخرة (لو ١٥ : ١١ ـ٢٤).

الدرس الثانى :

الرب يسوع يعلم عن الصلاة :

جاءت تعاليم المخلص عن الصلاة عاكسة لإقتناعه بفكرة بنويتنا لله فقولنا يا أبانا (مت ٦:٩) وطلبنا بثقة ولجاجة (لـــو ١٨:١) وطلبنا طلبات روحية (مت٦:٣٣) كلها تؤكد إننا إن كنا أبناءاً فسوف نأخذ منه ومعه كل شيء.

على أن علينا أن نفرح بالمعطى وليس بالعطية، ونطلب بإيمان بدون شك أو تردد، وبهـــذا الدرس يكون الرب يسوع قد قرّبنا إلى الآب خطوة كبيرة، يحق أن نعتبرها العلامة المميزة للمسيحية عن أى ديانة أو فلسفة أخرى.

الدرس الثالث :

الرب يسوع يعلم عن الرياء :

كانت إحدى الفروق الكبرى بين تعاليم السيد المسيح وتعاليم اليهود تركيزه على الحياة الداخلية (ملكوت الله داخلكم) (لو١٧:٢١) وقد تبع ذلك ثانوية المظاهر والطقوس والإضافات الشكلية التي تراكمت عبر العصور حول العبادة. لم يكن الرب يريد أن يلغى السبت أو الناموس أو الطقس، بل كان يريد الناس أن يعرفوا المغزى الروحى من وراء هذا كله.

لم يكن الرب يكتفى بعبادة اللسان، إنما أراد أيضاً أن يشرك القلب والعقل فى تكريم الله (مت١٥:٨) فتكون العبادة بالروح والحق (يو٤:٢٤)

الدرس الرابع :

الرب يسوع يعلم عن محبة القريب:

لم يأت الرب بسلسلة متكاملة من التشريعات، إنما إكتفى بالقاعدة الذهبية التى تحكم السلوك كله، وهى أن تحب لقريبك ما تحبه لنفسك. وقد سار السيد المسيح فى هذا المجال على درب معلمى اليهود:

فيحكى أن فلاحاً جاء للمعلم اليهودى الشهير (هلل) وقال له «يامعلم أريدك أن تعلمنى الناموس وأنا واقف على قدم واحدة» (أى بإختصار). فقال له: "ما تكره أن يفعله الناس بك لاتفعله بأخيك" ثم أضاف: «هذا هوالناموس كله، والباقى تفسير!»

وإذا قارنا هذه القصة، التى وردت فى التلمود ، بقول السيد المسيح:

«كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» (مت٧:١٢) نجد أن الرب يسوع استخدم الصورة الإيجابية (ماتريدون) بدل الصورة السلبية (ماتكرهه).

كذلك وسّع الرب مفهوم القريب ليشمل الجنس البشرى كله، وليس اليهود فقط، ولكنه اتفق مع المعلم

اليهودى فى أهمية محبة القريب كجوهر للديانة الحقة.

الدرس الخامس :

الرب يسوع يعلم عن الصليب:

إحتل التعليم عن الصليب مكاناً محورياً فى حياة السيد المسيح فقد كان الصليب شغله الشاغل ومحور تفكيره، بل ومحبته، حتى كان الرب متجها نحوه بقوة وعزم لايتثنى.

١ ـ قَبِل الرب صليب الإتضاع حين اعتمد فى نهر الأردن من الأصغر منه، ومنذ هذه الساعة حارب الرب الشيطان بضراوة فى البرية.

٢ ـ حين أرادت العذراء القديسة مريم للرب أن يصنع معجزته الأولى قال لها: «لم تأت ساعتى بعد» (يو٢:٤) فقد كان يَعلَم أن بداية معجزاته العلنية ستقربه حتماً من العد التنازلى، الذى يقود إلى مصادمة تنتهى بالصليب.

٣ ـ أراد بطرس تنحية المسيح عن الصليب حين قال له «حاشاك يارب أن يكون لك هذا»، فإعتبر الرب هذا صوتاً من الشيطان وأصر أن يشرب الكأس التى أعطاها له الآب (يو ١٨:١١).

٤ ـ حين سألت أم إبنى زبدى الرب أن يجعل ابنيها عن يمينه وعن يساره ، أشار لموته وللصبغة التى يصطبغ بها، موجها إياها لإنكار الذات (مت ٢٠:٢٢).

٥ ـ تحدث موسى وإيليا مع الرب فى لحظات تجليه المجيدة عن خروجه (صلبه) فلم يشغل المجد الرب عن الإتضاع (لو٩:٣١).

٧ ـ حين سكبت المرأة الطيب على قدمى الرب، أشار إلى أن هذا العمل كان لتكفينه، وربط بينه وبين قصة الفداء على الصليب (يو١٢:٧).

٨ ـ كذلك كان هناك ربطا واضحا بين الفصح الأخير وبين آلام المسيح «هذا هو دمى» (مت٢٦:٢٨).

٩ـ قال الرب ليهوذا "ما أنت فاعله

فافعله بأقصى سرعة " (يو١٣:٢٧) مما يشير إلى تمسّك الرب بالصليب. فإن كانت الخيانة شرا مميتاً، إلا أن سرعة إتمام الفداء سيقود إلى خير مطلق.

وحين خرج الخائن نطق الرب بكلمات الراحة قائلاً «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه» (يو ١٣:٣١).

١٠ ـ حين تحدى اليهود الرب قائلين "إن كنت ابن الله انزل من على الصليب" لم يستجب لهم، فقد التصق بالنيّة بهذا الصليب الحبيب إلى قلبه حتى يخلّص جنس البشر.

وفى كل وقت وكل مناسبة كان الرب يبين لتلاميذه محورية الصليب فى حياته، وبالتالى فى حياتهم، حتى أصبح شرط التبعية والطريق الملوكى أن ينكر الإنسان نفسه، ويكفر بذاته، ويضيع حياته، ويحمله إلى مجد وفداء أبدى (لو٩:٢٣).

الصليب فى حياة الخادم

لم يكن الصليب ضرورة حتمية فى حياة الرب فقط بل كان كذلك فى حياة التلاميذ، فلم يكن ممكنا أن العالم الذى رفض السيد سيقبل رسله.

لقد أرسل المسيح تلاميذه حملاناً وسط الذئاب، لكن حين أكلت الذئاب لحم الحملان صارت هى نفسها حملاناً!

وكان على المخلص أن ينبه تلاميذه بما سيقابلونه من أتعاب ومشكلات، حتى لاتأخذهم نشوة الإنتصار، أو تثنيهم مشقة الطريق عن مواصلة السير، وقد فعل ذلك فى مرات عديدة بأسلوب صريح (مت ١٣:٢١) (يو١٦:٣٣).

إلا أنه يبدو أن سُباتاً عميقاً أخذ التلاميذ، فلم يفهموا الصعوبات التى ستواجه معلمهم، ولم يقدّروا خطورتها، فكان القبض على المخلص بداية النهاية بالنسبة لآمالهم، وكان الصليب هو الغربال الذى هز إيمان بعضهم حتى

النخاع! ونجد بطرس ويوحنا يصومان ذهاباً وجيئة أمام دار الولاية عند القبض على المخلص (لو ٢٢: ٥٤)

ولنا هنا أن نقف وقفة تأمل. فبطرس ويوحنا شخصيتان على طرفى النقيض، فبطرس رجل العمل والحماس، ويوحنا رجل الفكر والتأمل، ولكن الآلام صهرتهما فصارا قريبين من بعضهما البعض، حتى اقترن اسمهما فى سفر الأعمال بطريقة مستمرة فى خدمة المستقبل (أع١:١٣) (أع٣:١) (أع٣:١١) (أع٤:١٣)

أخبار أسعد من أن تصدق

فقد توما إيمانه تماماً. ويفسر بعض الدارسون قوله فى (يو٢٠:٢٥) بأنه حتى وإن رأى آثار المسامير ووضع يده فى جنب المخلص فلن يؤمن! ولم يصدق معظم التلاميذ ما رأوه وما سمعوه، فقد أعمى الحزن أعينهم، وطمس الشك قلوبهم، وهز اليأس أعماقهم.

ووسط كل هذه الإنفعالات المتأرجحة، والمشاعر المتأججة، تكلم الرب بصوت عميق ليعيد عليهم الدرس ويذكرهم بمسئوليتهم الرعوية، ويضع فوق أكتافهم المسئولية الخالدة بعد أن وثق من صلابة أعوادهم، وامتحن بالنار معادنهم فصاروا كالصخرة تتكسر فوقها مطارق الحاقدين.

وصار الرسل أنواراً، بقيت الشعلة الرئيسية منهم فى أورشليم، وانتشرت شظاياها، لتضرم العالم كله، وظل صوت الرب يرن فى آذانهم أن: «إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦:١٥)

ولم يسدل الرب الستار عن قصة إنتصاره على الشر قبل أن يمنح تلاميذه قوة من الأعالى.

تلك القوة ليست أقل من روحه الخاص، وحضوره السرى فى الكنيسة وسط المؤمنين ، ولمسته للقلوب حين تنفتح أفواه التلاميذ بالكرازة.

كيف أثرت شخصية المعلم في التلاميذ؟

هذا ماسنلتفت إليه في الجزء القادم. وقد تأملنا في هذا الفصل حتى الآن أهمية التلمذة وكيف اقتدى التلاميذ بالمخلص، واقتفوا آثار أقدامه، في حياته وموته وقيامته، ولنا الآن أن نلتفت قليلاً إلى شخصية المعلم وأسلوبه في التعليم.

ثالثا : شخصية المعلم

يقول السيد المسيح عن نفسه «أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك (يوحنا ١٣:١٣) كما قال له نيقوديموس يا معلم إنك قد أتيت من الله معلماً (يو ٢:٣)

وورد أيضاً أنه كان يعلم في المجمع وأنه كان يعظ، ففي الجليل «كان يعلم في مجامعهم» (متى ٢٣:٤). ولروعة تعاليمه فإن الإنجيل يقول عن مستمعيه أنهم « بهتوا من تعاليمه » وأنه كان «يعلم كمن له سلطان» وليس كالكتبة" (مر١:٢٢).

كان سر قوة الموعظة على الجبل أن الرب «ففتح فاه وعلمهم» (مت ٥:٢)، وقد ورد لقب المعلم في الأناجيل الأربعة حوالي واحد وستين مرة، كما ورد خمساً وأربعين مرة أنه كان يعلم.

وحتى من تبعوه لم يطلق عليهم الإنجيل لفظ أتباع أو مسيحيين أو أي لفظ آخر سوى (تلاميذ) لأنه هو المعلم.

وهو نفسه حين أرسلهم قال لهم «إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم »

(متى ١٩:٢٨)، وقد ورد لفظ التلاميذ فى الإنجيل حوالى مائتين وثلاث وأربعين مرة.

وإذا كان الأمر كذلك فيجب علينا، إذا أردنا أن نعمل فى مجال التعليم أو الخدمة، أن نحاول التعرف على صفات المعلم فى شخص السيد المسيح.

سوف نتناول فى دراستنا للمسيح كمعلم :حياته الشخصية، وإهتمامه بالإنسان، ومصادر تعاليمه، وأخيراً طرق التدريس:

حياته الشخصية:

كان الرب يسوع مؤمنا برسالته إلى الحد الذى جعله يُقدم على الموت ويشرب الكأس حتى آخر قطرة، ويجتاز الموت ليتحقق الفداء اللازم لإنقاذ البشرية. ولم يكن فقط مؤمنا بل أيضا شاعراً ومتأثراً بكل ما قال وبكل ما فعل. فبيّن الحق فى حياته، إذ كان هو نفسه الحق كما قال «أنا هو .. الحق». والحق ينتقل بالتقليد أكثر مما ينقل بالتدريس، وكما أن قدرة الفأس على قطع الخشب تتوقف على ثقلها، كذلك لايمكن أن تؤثر كلمات المعلم أكثر مما تؤثر حياته.

كانت أعمال الرب المثالية فى حياته تخلق الثقة فى تصريحاته فى قلوب سامعيه، فقد انطبقت أعماله على أقواله، فكان قدوة.

فعندما يقول «لاتخافوا من الذين يقتلون الجسد» يبذل هو نفسه دون خوف وعندما يقول "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» يرفض أن يخضع لاغراء الشيطان وهو جائع، ولايستخدم سلطانه فى تحويل الحجارة إلى خبز.

كان الرب يسوع مثابراً رغم قساوة قلوب سامعيه، ورغم الفشل الظاهرى الذى أحاط به حين تركه أغلب تلاميذه، ولم يتفهم الناس رسالته فظنوه يطلب ملكاً أرضياً، وكان يقول «إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض فإنها تبقى وحدها» (يو١٢ :٢٤).

كان شجاعاً صريحاً لايعرف المحاباة، فكثيراً ما صرخ فى وجه الكتبة

والفريسيين قائلاً الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون، لم يخشَ الحق لأنه هو الحق، واحتمل نتائج شجاعته فى إتمام مشيئة الآب حتى الصليب.

قدّس الرب يسوع نفسه، أى خصصها للخدمة (يو١٧:١٩) ليكون تلاميذه مقدسين فى الحق، وحين قال لهم «مجاناً أخذتم مجاناً اعطوا» (مت١٠:٨) كان هو نفسه مستعداً أن يعطى كل شىء، وغسل أرجلهم قبل أن يطلب منهم أن يغسلوا أرجل بعضهم بعضاً (يو١٣:١٤) وهكذا انطبقت أقوال السيد المسيح على أفعاله بطريقة حاسمة مؤثرة. ويكفى نظره واحدة لهذا الجدول لتأكيد هذه الفكرة.

أمثلة من حياته	أقواله
الميلاد فى مذود، غسل أرجل التلاميذ.	«تعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب» (مت١١:٢٩)
الصلاة قبل الصلب.	«صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (مت٢٦:٤١)
ذهابه ليوحنا ليعتمد منه.	من لم يولد من الماء والروح لن يدخل ملكوت السموات. (يو٣:٣)
صلاته من أجل مغفرة خطايا صالبيه	صلوا من أجل الذين يسيئون اليكم. (مت٧:٣)

إهتمامه بالإنسان (المتعلم)

أ- خاطب يسوع كل إنسان وكل الإنسان:

فقد جاء من أجل (كل إنسان)، للعالم أجمع، وأراد أن الجميع يخلصون وإلى البر يقبلون، كما اهتم (بكل الإنسان): عقله ومشاعره وإرادته،ودخل إلى قلوب الناس، وإلى حركات أفكارهم الداخلية «لأنه علم ماكان فى الإنسان» (يو٢:٢٥). فاهتم يسوع بإيقاظ ضمير السامرية حين طلب منها «إذهبى وادع زوجك» فأجابته بأن ليس لها زوج، فقال لها: «حسنا قلت ليس لى زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك» (يو٤:١٧-١٨).

وإهتم يسوع بما يدور فى فكر الكتبة عندما قال للمفلوج «مغفورة لك خطاياك». فقد قالوا أنه يجدف « فعلم

يسوع أفكارهم قال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟» (مت ٩:٤).

أما في حديثه مع نيقوديموس فقد كان يخاطب فيه العقل (يو ٣:٣). ومع المقعد كان يخاطب الإرادة «أتريد أن تبرأ ؟" (يو٥:٦) وهكذا اهتم يسوع بكل الإنسان، «لكى يكون إنسان الله كاملاً» (٢ تى ٣:١٧).

ب - إنشغل بالفرد كما إنشغل بالجماعة:

فكما رأيناه يخاطب الجموع فى مواقف عديدة، نراه أيضاً يتوقف وسط جموع كثيرة، لأنه شعر أن واحدة (فرداً) لمسته، فيتوقف ليشفى نازفة الدم، ويزور قائد المئة ليقيم عبده (مت٩:٢٠)، (مر٥:٢٥).

جـ - اهتم يسوع بالحالات الخاصة:

وكانت بين تلاميذه مثل هذه الحالات: فهذان هما يوحنا ويعقوب إبنا زبدى اللذان أطلق عليهما (إبنا الرعد)، كان يوحنا سريع الغضب فاحتدم غيظاً حينما لم يقبل السامريون يسوع، وطلب أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم (لو٩:٥٤)، لم يرفض الرب يسوع يوحنا لكونه سريع الغضب، بل احتمله وتعامل معه، حتى أصبح ذلك الشيخ المسن الذى يقول (من لايحب لم يعرف الله) (١يو ٤:٨).

وهذا هو بطرس المتسرع الذى يرفض أن يغسل يسوع قدميه (يو١٣:٩) ويقطع أذن عبد رئيس الكهنة (لو ١٨:١٠)، هذا هو نفسه بطرس الذى كسب للمسيح ثلاثة آلاف نفسا فى عظة واحدة. ومن بين التلاميذ أيضا نجد سمعان الغيور الذى كان عضوا فى حزب قومى متعصب، هذا أيضا صار سبب بركة وإنتشار لكلمة الله.

ء - وتميزت حلول يسوع وتوجيهاته بالإيجابية:

فلم يقض وقته فى فضح الخطايا، كما أوضح التأثير الوقتى للوعظ السلبى فى مثل الروح النجس المطرود الذى رجع إلى البيت الفارغ واحتله ثانية (مت١٢:٤٣ - ٤٥). فقد أدرك السيد

ضرورة التعليم الإيجابى وأن الحب للشىء الجديد يطرد حب الأشياء القديمة، وبناء على هذا المبدأ حاول أن يظهر للوارث الطماع أن الحياة أفضل من الأملاك (لو١٢:١٣)، وللسامرية الخاطئة أن هناك شبعاً أنبل وأعظم من الشبع الجسدى، حتى يستطيعوا أن يُبدّلوا حباً بحب.

مصادر تعاليمه :

وقد استخدم الرب يسوع فى تدريس مادته مصادراً أو مواراداً عديدة: استخدم إقتباسات من الكتاب المقدس بإقتدار وبراعة، واستخدم الطبيعة، واستخدم الحوادث اليومية فى تلك الأزمنة، ليضيف حيوية وبرهانا لأقواله وعظاته.

أما عن إستخدامه للكتاب المقدس فقد ظهر فى مناسبات عديدة منها تجربته فى البرية (مت ٤:١-١١) وحديثه مع تلميذى عمواس (لو٢٤:٢٧)، وفى أثناء خدمته العامة اقتبس من عشرين سفراً من أسفار العهد القديم على الأقل.

ونحن نرى دراية يسوع الكاملة بالكتاب المقدس موسومة على وجوه أساتذته فى الهيكل فى شكل دهشة وتعجب شديدين أمام صبى فى الثانية عشرة من عمره.

أما عن الطبيعة فقد كانت كلمات يسوع المألوفة مشبّعة وموسومة بجمال الأرض حوله والسماء فوق رأسه. وأفضل التشبيهات كانت هى المستمدة من الطبيعة فى أمثاله، فهناك أربعة أمثال تختص بالحيوانات: (الغنم والماعز والكلاب والنسور) - وسبعة تختص بالنباتات (من بينها الخمير والزوان والتينة والخردل)، وستة عشر تختص بأمور كالنور والتربة والشبكة والكنز المخفى. وقد استعمل ايضاحات أخرى كثيرة من هذه المصادر مما جعل تعليمه ملموساً شيقاً وحيوياً.

ولنعط بعض الأمثلة :

أ - إستعار الرب من البيئة بعض مظاهر الطبيعة مثل الشمس التى تشرق على الأشرار والصالحين، المطر

المنهمر على الأبرار والظالمين، والعاصفة التى تصدم البيوت،والصخر الذى يبنى عليه البيت فلا يسقط.

ب - إستعار أمثلة للحيوانات وطباع الحيوانات والطيور الموجودة فى البيئة : مثل العصفور الذى يسقط على الأرض، النسور التى تحوم فوق الجثة، حكمة الحيات، وداعة الحمامة، الكلب الذى يلحس القروح، جمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها.

جـ- إستخدم بعض الأشياء التى يستخدمها الناس فى حياتهم كمدخل لتعليمه مثل: زقاق الخمر - رقع الثوب العتيق - عجن السيدة للعجين - زرع الزارع للبذار - تنقية الكرّام للأغصان الكرمة - جمع الصياد السمك فى الشبكة.

أما عن الحوادث العصرية فقد استخدم الرب يسوع كثيراً منها كمدخل إلى تعاليمه. فعندما كان يشير إلى التوبة ذكر الجليليين الذين خلط بيلاطس دماءهم بذبائحهم، وسقوط البرج فى سلوام، قاتلاً ثمانية عشر شخصا. وفى كل حادثة قال إن هؤلاء لم يكونوا خطاة أكثر من سكان أورشليم الذين سيهلكون جميعاً إن لم يتوبوا (لو١٣:١-٥). وكان إستعمال الحوادث والملابسات يجعل تعليمه لذيذاً وفعالا ومتأصلا فى صميم الحياة.

طرق التدريس :

إستعمل الرب يسوع العديد من طرق التدريس ببراعة وإقتدار نعرض منها المحاضرة والقصة والأمثلة والأسئلة والمجادلة (المباحثة) والتدريس بالأشياء والتمثيل والمواقف التعليمية والعروض العملية والتدريب والمران والتدريس بالأهداف ومبدأ التدرج والفكاهة والسخرية وقانون الصلاة والإعلانات المختصرة والأسلوب الأدبى والتشجيع والتهذيب.

١- المحاضرة :

يعتمد أسلوب المحاضرة على حديث المعلم وحده، أو يتخلله إجابات قليلة من الطلاب، وقد إستعمل يسوع

المحاضرة كثيراً، ولاسيما فى النصف الأول من خدمته حين علّم الجماهير أكثر من الأفراد أوالجماعات الصغيرة.

وكان منبره سفح الجبل أو القارب الراسى على شاطىء البحيرة. تحدث فى الهيكل وفى المجامع، فى المدن وفى الريف، وكانت موضوعات محاضراته مختلفة منها: الغنى والطلاق والسبت ونشر ملكوت الله.

هذا وهناك ثلاث محاضرات تملأ كل واحدة منها أكثر من اصحاح وهى أهم محاضراته، وفى واحدة منها تعليمه عن الدينونة وهى تشغل اصحاحين (مت ٢٤ ـ ٢٥). فيها وصف لظروف مجيئه الثانى.

والأخرى هى تعليمه على الجبل الذى يملأ ثلاثة إصحاحات (مت ٥ـ٧). أما أطولهن فهى محاضرته الوداعية التى تملأ أربعة إصحاحات فى إنجيل يوحنا (١٤ـ١٧).

كانت محاضراته تثير التفكير وتفحص القلوب، وكانت عملية وحيوية، وهى تختلف عن بعضها البعض من حيث الأسلوب والطريقة وكانت جاذبة لإنتباه الناس ومرغّبة فى الإستماع، إلى درجة أن الجموع بهتوا من تعاليمه (مت ٧:٢٨) . وحتى الذين لم يؤمنوا به تركوه وهم يقولون «لم يتكلم قط إنسان مثل هذا الإنسان» (يو ٧:٤٦) ـ وكان لمحاضراته تأثير ثلاثى : على الفكر والعواطف والإرادة.

٢ - الامثلة :

استخدم الرب الأمثلة لتقريب وتجسيد الأفكار، كذلك أفادت الأمثلة كافة الثقافات والمهن والأمزجة ومختلف الشخصيات فمثلاً:

١ ـ شبّه ملكوت السموات بحَبّة الخردل التى أخذها إنسان وزرعها فى حقله، وهى أصغر البذور جميعا ولكن متى نمت فهى أكبر البقول (مت ١٣: ٣١، ٣٢)، إنه هنا يخاطب الزرّاع، وهم وحدهم يفهمون المقارنة بين حبة الخردل الضئيلة جداً وشجرتها المتفرعة حين تنمو بذرتها.

ب ـ شبه ملكوت السموات . أيضا بالخميرة التى أخذتها إمرأة *(١٣:٣٣ . ٣٤). إنه هنا يكلم السيدات، اللائى يعرفن قيمة الخميرة للدقيق، والتى بالرغم من ضآلة حجمها إلا أنها تخمر ثلاثة أكيال.

جـ ـ شبه ملكوت السموات. بكنز مخفى فى حقل وجده إنسان فأخفاه، ومن فرحته به مضى وباع كل ما كان له وإشترى ذلك الحقل (مت ١٣:٤٤)، إنه هنا يخاطب محبى المال، وبالطبع فإنه يعرف صدى هذه الكلمات عليهم، إن عقلية جامع المال ستفهم، حين تسمع هذا التشبيه، أن هذا الملكوت أغلى من أى مال.

د ـ شبه ملكوت السموات. بلؤلؤة واحدة، لما رآها التاجر باع كل شىء واشتراها. وهنا يخاطب العقلية التجارية التى تفهم كل شىء بلغة البيع والشراء، حتى الملكوت سيقول هؤلاء عنه أنه غال جداً حتى أن الفرد يبيع كل شىء ويقتنيه.... وهذا ماقصد السيد المسيح أن يوضحه ... فبالرغم من صغر حجم اللؤلؤة إلا أنها غالية جداً (مت ١٣:٤٥).

هـ ـ شبه ملكوت السموات بشبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع (مت ١٣:٤٨). إنه هنا يخاطب عقلية صيادى الأسماك.

و ـ كما شبه ملكوت السموات برجل صاحب عمل إستأجر فعلة لكرمة ثم كافأ الجميع مكافأة متساوية، ليوضح للجموع أن الذى يؤمن ولو كان الأخير سيكون له نصيب مثل الأولين تماماً (مت٢٠:١-١٧) وهنا كان يخاطب أصحاب الأعمال والعمال معاً.

ز ـ وأخيراً وبعد أن ضرب مثلاً يناسب تماماً طبيعة كل فئة من السامعين، ضرب مثلاً آخراً يصلح لمعظمهم، وهو تشبيه ملكوت السموات برب البيت الذى يخرج من كنزه جدداً وعتقاء (مت ١٣:٥٢)،ولابد أن يكون معظم الموجودين أرباب بيوت فيصلح لهم هذا التشبيه العام، لضمان فهم الجميع لما يقصده من الحديث.

٣ـ القصة :

أو المثل، كانت الأسلوب الذى اتصف به السيد فى تعليمه. ولاشك فى أنه كان أمهر قصاص عرفه العالم، وقد قال الأديب الإنجليزى الأشهر "شارلز ديكنز" أن مثل الإبن الضال هو أفضل قصة قصيرة عرفها التاريخ. كما قيل أن الأمثال كانت قمة فنه، وأنها استوعبت ربع كلماته المسجلة فى إنجيل مرقس، ونصف كلماته المسجلة فى إنجيل لوقا. وهى مستوحاه من الأشخاص والحيوانات والنباتات والأشياء غير الحية.

ومثالاً على إستعماله القصة ليبدأ بها درساً ، مثل الزارع وأنواع التربة وتجاوبها مع البذار (مت ١٣:١ـ٩). ومثالاً على إستعماله القصة كايضاح لحقيقة ذكرت قبلها: السامرى الصالح (لو ١٠:٢٥ ـ ٣٧) وهى إجابة عن سؤال (من هو قريبى؟). أما إستخدام المثال فى تقديم الدرس كله بواسطة القصة فهو حين أوحى الفريسيون والكتبة بأن يسوع كان يعاشر العشارين والخطاة، فأجابهم يسوع بثلاث قصص وهى الدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال (لو١٥).

كان يسوع يتقن هذا الفن بالفعل، وهو الشىء الذى جذب إليه الجماهير ـ فضلاً عن شخصيته العجيبة ـ وجعل تعاليمه تُذكر وتكرر خلال القرون.

٤ـ الاسئلة :

تعتبر طريقة السؤال والجواب من أقدم أساليب التعليم، وقد استعمله يسوع كثيراً فى تعليمه. ففى أول مشهد من حياة السيد بعد ولادته وطفولته نراه يسأل الأسئلة، إذ كان فى سنه الثانية عشرة «يجلس فى الهيكل وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم» (لو٢:٤٦) وقال أحدهم «أتى يسوع لا لكى يجيب على الأسئلة بل ليسألها».

استعمل يسوع الأسئلة لأغراض عديدة، ففى بداية الدرس استعملها لجذب الإنتباه واعداد العقول لما كان

عتيداً أن يقوله ، فمثلاً سأل تلاميذه «وأنتم من تقولون أني أنا؟ (مت ١٦:١٣ ـ ١٥) فأثار بهذا السؤال تأملهم في شخصه. ولما سأل الغنى «لماذا تدعوني صالحاً؟» (مر ١٠:١٨) كان يعده للجواب الصعب عن ماهية الحياة الصالحة.

وكان هدفه من السؤال أحياناً أخرى الحصول على معلومة كسؤاله ليعقوب ويوحنا «ماذا تريدان أن أفعل بكما؟» (مر ١٠: ٣٦). وأحياناً يلقيها ليساعد المتسائل على التفكير: مثل سؤاله إلى التلاميذ «فماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا» (لو ٧:٢٤).فلما رأى منتقديه يراقبونه ليشتكوا عليه وهو عتيد أن يشفي ذا اليد اليابسة قال لهم «هل يحل في السبت فعل الخير» (مت١٢:١٠). وسأل الكتبة «يقولون أن المسيح ابن داود» (لو ٢٠:١٠) وسأل الشاب الغنى «لماذا تدعوني صالحاً؟» (لو١٨:١٩). وإستخدم الأسئلة لتوضيح التعليم وتطبيقه: فلما إتهم الفريسيون تلاميذه بقطف السنابل في السبت أشار السيد بشكل سؤال إلى دخول داود وأتباعه إلى بيت الله وأكلهم خبز التقدمة الذى لم يحل لهم (مر٢:٢٣ ـ ٢٨). كذلك حين سأل الناموسى من هو قريبى فحكى له الرب مثل السامرى الصالح، ثم سأله «أى هؤلاء الثلاثة صار قريباً للذى وقع بين اللصوص؟ أجاب الناموسى أظن الذى صنع معه الرحمة»، قال له السيد « اذهب أنت واصنع هكذا» (لو١٠:٣٦ـ ٣٧).

كذلك استخدم الأسئلة كحجج، ومثال لذلك هذا السؤال: «فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان؟» (مت ٦:٣٠) .

وإلتجأ الرب إلى سؤال اشتمل على معضلة لكى يؤكد نقطته، فلما سأله الكهنة والشيوخ عن سلطانه على التعليم سألهم «معمودية يوحنا من أين كانت؟

من السماء أم من الناس؟» مت ٢١: ٢٥. فسكتوا إذ لم يستطيعوا الجواب دون الوقوع في ورطة.

من الصعب تمييز الأسئلة للتشديد والحجة عن الأسئلة للتطبيق والحث على العمل، فمثلاً كان سؤال «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها ؟" (لو ٩: ٢٥) من أقوى الأسئلة التى استعملها، وكانت أبلغ من كل تصريح. وكذلك استخدم السؤال مكرراً ثلاث مرات لبطرس «ياسمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء؟» حين أراد أن يشدد على حث بطرس على رعاية خرافه. وهكذا استعمل يسوع الأسئلة بطرق عديدة أعطت تعاليمه بعداً وعمقاً جديداً.

٥ـ المجادلة (المباحثة) :

هو أسلوب للبحث عن حقيقة يشترك فيه الطالب والمعلم معا وذلك عن طريق عملية الإستنتاج التى يقوم بها كلاهما وتبدأ عادة بأن يثير المعلم أفكار الطلاب ويرشدهم أكثر مما يعلمهم، فيكون بذلك المحرك الخفى، ولايقدم آراءه هو أولاً بل يساعد التلاميذ على تكوين آرائهم وحل المشكلة التى يطرحها عليهم. كما يساعدهم على ترتيب المعلومات والتركيز فى موضوع معين وأخيراً يتأكد من وصول التلاميذ إلى إستنتاج ما، ويحتاج هذا الأسلوب إلى مهارة كبيرة من المعلم.

كان يسوع عادة ما يستعمل هذا الأسلوب مع شخص واحد وليس مع جماعة. والمثل على هذا الأسلوب معاملته للسامرية عند بئر يعقوب، إذ كان يسوع فى حديثه معها يقود

تفكيرها، ويستخلص منها آراءها، ويقدم لها آراءه، ويساعدها على رؤية الحق الذى يقدمه لها، وعلى التجاوب معه.

وهناك مثل آخر فى تعليم السيد لنيقوديموس (يو ٣:١-١٢)، كان هذا فريسيا ورئيسا ومعلماً، وهو يشبه أستاذ جامعة أو قاضياً أو أسقفاً فى أيامنا، فكان له مركز شرعى وأدبى ومهنى. وقد دعاه الرب إلى ولادة جديدة، وكانت هذه الفكرة بعيدة عن ديانة نيقوديموس. فعاتبه المخلص بلطف لعدم فهمه مع كونه معلماً، ومن ثم وسع الفكر وشدد على أن عطية الله بيسوع هى لكى «لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

ومثال آخر عن المباحثة هو مقابلة يسوع للشاب الرئيس الغنى (مر١٠:١٧-٢٢). كان هذا الشاب متعلماً دارساً للناموس وذا أموال طائلة، وعضواً فى المجمع. وقد واجه السيد فى الطريق وركع أمامه وسأله ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية. وهكذا أثير موضوع المباحثة، فامتحنه المعلم إذ طلب منه أن يحفظ الوصايا، فأجابه الشاب أنه قد فعل ذلك منذ صغره. وعرف السيد أن الطمع أصل مصاعب الشاب فقال له «اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء ... وتعال اتبعنى» لكن تقدير الشاب لقيمة أملاكه رجح على الشعور بحاجته إلى يسوع، فمضى حزيناً، لكن المعلم سمح له أن يختار لنفسه ولم يجبره.

وهكذا استعمل يسوع أسلوب المباحثة مع المرأة الخاطئة والقائد المفتخر ببره ومحب المال.

٦ - التدريس بالاشياء:

فى هذا الأسلوب تستخدم الأشياء المنظورة التى ترمز إلى الحقيقة أو تلمّح إليها، ومنها النماذج والصور والرسوم والخرائط وأمثالها. ومن أبرز المناسبات التى استعمل فيها يسوع هذا الأسلوب كان إيقافه للولد الصغير فى الوسط لكى يعلم عن صفات من

يدخل ملكوت الله (مت ١٨:١-٤). ولما رأوا البساطة وعدم الأنانية والتواضع الظاهرة فيه، أخبرهم يسوع بأن عليهم أن يرجعوا ويصيروا مثل الولد قبل أن يدخلوا الملكوت . ثم قال «فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات» وكان هذا أعظم درس للبشرية عن شر الكبرياء وقيمة إنكار الذات.

ولنا أيضاً مَثل فى غسل أرجل التلاميذ (يو ١٣:١-١٥): اعتاد الناس فى تلك الأزمنة أن يستقبل خادم البيت الضيف بمغسل وماء ومنشفة، ليزيل عن قدميه غبار السفر، فأخذ السيد صفة الخادم وغسل أرجل التلاميذ ونشفها بطريقة طبيعية. كان هذا درساً منظوراً عن التواضع وكان من أكثر دروسه تأثيراً.

وفى مناسبة أخرى جربه ممثلو الفريسيين والهيروديسيين بالسؤال عن قانونية تقديم الجزية لقيصر. فلم يتأخر ولم يحاور، بل طلب معاملة الجزية فناولوه ديناراً فرفع الدينار أمامه وسألهم «لمن هذه الصورة والكتابة؟» فأجابوه «لقيصر» فقال لهم «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مت٢٢:١٥-٢٢)، وهكذا بواسطة الشيء المنظور حقق عملين : الأول جَذْب إنتباه الناس بأسلوب رائع، والثانى إغتنام الفرصة ليعلم مسؤلية دفع الضرائب ومسئولية العطاء لله أيضاً.

وفى حين آخر أعطى تعليمات للإثنى عشر أن ينفضوا غبار أرجلهم عندما يتركوا مدينة أو بيتا لم يقبلهم، وذلك إشارة إلى إكمالهم واجبهم نحو هذه البلدة (مت ١٠:١٤). وكان شفاء يسوع للمفلوج الذى حمل أربعة رجال برهانا منظوراً عن قدرته على مغفرة الخطايا (مر٢:٦-١٢). وكذلك بيّن لاهوته بشفاء العمى والعرج وغيرهم، لما أتى تلميذا يوحنا المعمدان ليسألا أهو المسيح أم لا؟ (مت ١١: ٢-٦). هكذا استعمل يسوع الأشياء المنظورة فأصبحت تعاليم جذابة واضحة ومؤثرة.

ب ـ التمثيل والطقوس :

من الأعمال التمثيلية التي اتصفت بها خدمة يسوع إخراجه الصيارفة من الهيكل (مت ٢١:١٢ـ١٦)، لقد وجد اليهود يسيئون إستعمال إمتياز بيع الحيوانات والطيور للذين لم يأتوا بذبائح معهم ، فإنهم كانوا يربحون من ذلك عوضا عن أن يقوموا به كخدمة. فأمسك سوطا من حبال وأخرجهم من المكان وشتت المواشى وأفلت الطيور وقلب موائدهم قائلاً «بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وهكذا بين عن طريق التمثيل قداسة الهيكل والعبادة، ولم يطهر الهيكل أساساً لأجل الهيكل، بل لكى يعلم الناس درساً آخراً عن الخشوع أمام الرب.

ودخل السيد أورشليم بطريقة تمثيلية كملك منتصر، دخلها بين أغصان النخل وهتافات الشعب. كما يرجع البطل المنتصر، إلا أنه ركب حماراً لا حصاناً ، وشيعه العُبّاد لا العساكر، ليوضح الملك الروحى لا السياسى (مت ٢١:٧ـ١١). وكان هذا العمل بارزاً ومدهشاً ومؤثراً أكثر من كل عمل آخر فى خدمته كلها.

ج ـ المواقف التعليمية :

استخدم الرب المواقف التعليمية لغرس المبادىء والقيم بصورة حية درامية، فحين نزل إلى نهر الأردن كان إتضاعه ظاهراً بطريقة لاتحتاج إلى شرح، وعند طرد الباعة من الهيكل أكد على قدسية بيت الله قائلاً: «بيتى بيت الصلاة يدعى» (مر١١:١٧)

فكان الموقف والقول يوضحان بعضهما البعض، ولما اتهم الفريسيون تلاميذه بكسر السبت عندما فركوا القمح وهم مارون فى الحقل، استخدم ذلك الموقف فرصةً ليقدم للفريسيين درساً عن الغاية من حفظ السبت، وعن قيمة الإنسان «إنما جعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» (مر ٢:٢٧).

ومن أكثر المواقف العملية تأثيراً غسل أرجل التلاميذ (يو ١٣:١ـ١٥)

كانت العادة أن اليهود يلبسون الصنادل وكان من الطبيعي أن المشي يغطي أقدامهم بالتراب فاعتاد خادم البيت أن يستقبل الضيوف بمغسل ومنشفة ليغسل قدمي الضيف ويجففهما، كما ذكرنا سابقاً. وفي هذه المناسبة لم يكن هناك خادم فأخذ السيد صفة الخادم وغسل أرجل التلاميذ ونشفها، وكان ذلك بهدف أن يكون للتلاميذ درس منظور عن التواضع «لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣: ١٤، ١٥).

كذلك حين أعطى الرب الفصح للتلاميذ فقد ربط بصورة مؤثرة بين موته الوشيك، ودمه الذي سفك بالنية، وبين كأس الخلاص التي قدمتها لهم يداه.

٩- العروض العملية :

وقريب الشبه بالمواقف العملية، طريقة التدريس بالعروض العملية إلا أن المواقف العملية تفرض نفسها، أما العرض فهو وسيلة أيضاحية يقوم بصنعها المدرس، لكي يبين آثار مبدأ ما أو تعليماً معيناً، وكمثال لذلك:

- لعن التينة (مت ٢١: ١٩)
- تهدئة البحر (مت ٨ : ٢٦)
- إقامة طفل وسط الجموع وطلبه من المؤمن أن يصير مثل الطفل.

١٠- التدريب والمران :

كان يطلب من تلاميذه أن يقوموا بالعماد عوضاً عنه، ويرسلهم ليشفوا المرضى، ويوزعوا الخبز لإشباع الخمسة آلاف، كما طلب منهم أن يدحرجوا الحجر عن قبر لعازر، وبإختصار فإن السيد المسيح كان يكلف تلاميذه بأعمال معينة أثناء تعليمه لهم.

كان يطلب من الأفراد ممن يطلبون منه بركة أو شفاء أن يقوموا بعمل ما، فنجده يطلب من الأعمى أن يغسل عينيه في بركة سلوام قبل أن يبرأ (يو ٩: ٧)، كما طلب من الشاب

الغنى أن يبيع كل ماله ويعطى للفقراء (مت ١٩:٢١) وقال للمرأة الخاطئة «إذهبى ولاتخطئى» (يو٨:١١). ومن جملة الأعمال التى طلب عملها من الجموع «قم، تعال، إتبعنى، إذهب إغسل، إفعل، إسهر، قدم، إكرز، علم، تلمذ، إعط طعاماً) فكان إنجيل الفكر والعمل والتدريب.

١١ـ التدريس بالاهداف :

كثيراً ما كان الرب يضع الهدف أمام سامعيه حتى يحملهم على آداء الفعل: كقوله للشاب الغنى «إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل مالك وإعط الفقراء وتعال واتبعنى» (مت ١٩:١٦-٢٧) فقد وضع أمامه الهدف الأعلى وهو الملكوت، وطريقة الوصول إليه. كذلك حينما قال: من أراد أن يخلص نفسها يهلكها (مر٨ : ٣٥) وكما قال إن أراد أحداً أن يكون لى تلميذاً فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى (مر٨:٣٣) ففى هذه المرات وغيرها وضع السيد الهدف أمام سامعيه، موضحاً نتائج التصرفات السليمة (أو الخاطئة) والخطوات العملية للوصول إلى الهدف.

١٢ـ مبدأ التدرج :

يتضح مبدأ التدرج فى التعليم فى كثير من مواقف السيد مع سامعيه، ولنأخذ مثالا لذلك المولود أعمى (يو٩) والسامرية (يو٤) وفى المثال الأخير نجد السامرية تقول :

١ – أنت يهودى وأنا سامرية.	١ – لم يغضب المعلم منها.
٢ ـ ياسيد لادلو لك.	٢ – وهو فى الحقيقة يملك كل شىء.
٣ – ألعلك أعظم من أبينا يعقوب.	٣ – بل أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب.
٤ ـ ياسيد أرى أنك نبى.	٤ – تحول عجيب من خلال جلسة تعليمية ناجحة.
٥ ـ أنا أعلم أن مسياً الذى يقال له المسيح يأتى وهو يخبرنا بكل شىء.	٥ – أنا الذى أكلمك هو.

وماذا كان على قمة التدرج؟

– لقد تركت جرتها (خطيئتها وحياتها الأولى - ماضيها المظلم) ومضت إلى المدينة.

– لقد تحولت إلى شخصية جديدة.

– لقد انتقلت من حياة الإستهتار (خمسة أزواج) إلى حياة التبرير.

– لقد تحولت التلميذة الخاطئة الفاشلة فى جلسة واحدة مع المعلم الصالح إلى كارزة طاهرة ناجحة. وإذ بالسامرية تقول للناس « هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت ألعل هذا هو المسيح».

– لقد خرجت الجموع، وتقابلوا مع يسوع، لقد دخل إلى قلوبهم لأنه سبق وأحبهم من كل القلب، ولما سألوه أن يمكث عندهم مكث هناك يومين.

– لقد نجحت المرأة فى أن تفتح أبواب السامرة المغلقة، فى الوقت الذى كان التلاميذ قد فشلوا فى ذلك، فطلبوا من الرب أن تنزل ناراً من السماء لتحرق السامرة، أليس هذا إمتيازاً لها ونجاحاً فى كرازتها؟

١٣- الفكاهة والسخرية :

ليس مستبعداً أن يكون الرب قد استخدم قليل من الفكاهة لجذب السامعين. فمرور جمل من ثقب إبرة قد يثير إبتسامة، لما فيه من مبالغة وروح مرحة ، وضّحت استحالة دخول الأغنياء من الباب الضيق. أما قصة زكا القصير القامة وهو يحاول صعود الجميزة وسط الزحام، فهى أيضاً لاتخلو من المرح. وقال البعض: أن المخلص وُجد مبتسماً ولم يوجد ضاحكاً.

إلا أن المخلص استخدم أيضاً السخرية والنقد اللازع حتى يهدم الأفكار الخاطئة فصورة المرائى الذى يخرج قذى من عين أخيه و ينسى الخشبة التى فى عينيه. كذلك صورة الكلاب وهى تلحس قروح ليعازر، أما الغنى فيتنعم بالطعام واللباس، كلها

صورة تهكمية مؤثرة توضح المعنى بطريقة التضاد والتجسيم.

١٤- قانون الصلاة :

استخدم الرب الصلاة المحفوظة مثل أبانا الذى، والجمل المأثورة مثل القاعدة الذهبية، لتكون نصوصاً سهلة الحفظ قوية التأثير لما فيها من تلخيص وإصابة مباشرة للهدف بطريقة تتناقلها الأجيال.

١٥- الإعلانات المختصرة :

مثل قوله : «من أراد أن يكون لى تلميذاً فلينكر ذاته ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى». (لو ٩:٢٣) وقوله: تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١:٢٨) «وإن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب» (يو٧:٣٧) وغيرها من الإعلانات القوية المختصرة، التى لايسبقها تمهيد ولا يليها شرح، إنما قيلت بطريقة نبوية، وكثيراً ما سبقتها جملة «الحق الحق أقول لكم».

وهى طريقة تبين السلطان الإلهى فى هذه التعاليم السابقة.

١٦ - الاسلوب الأدبى :

إستخدم الرب يسوع أسلوباً أدبياً فى حديثه، ولم يستخدم الصنعة أو التكلف الزائد، ولكنه إستعان بالوسائل المنتشرة فى عصره بطريقة بديعة ومن ضمن هذه الأساليب:

أ- الإقناع بالتعميم :

ومنها قوله «أنتم بالحرى أفضل منها» (مت٦:٢٦).

وهكذا قارن بين عناية الآب بالطيور وعنايته بالأولى بنا.

ب- الهدم لعدم الجواز :

ومنها هدمه حجة الفريسيين أنه يُخرج الشياطين ببعلزبول لعدم إمكانية أن شيطاناً يخرج شيطاناً (مر٣:٢٢-٢٣).

جـ- إستخدام أدلة الخصم :

مثل إقتباسه من الناموس قوله أنا قلت أنكم آلهة» (يو ١٠ : ٣٤).

فإن كان أبناء الله بالتبنى يسمون إلهه فماذا يمنع أن يقول المسيح عن نفسه أنه إبن الله.

د - التكرار بالتوازى :

بأن تكون الجملة الثانية مرادفة للجملة الأولى.

«وقال بماذا نشبه ملكوت الله أو بأى مثل نمثله» (مر ٤:٣٠).

هـ - التكرار بالتوسع :

بأن يكون السطر الثانى توسُّع للفكرة الموجودة بالسطر الأول ومثال ذلك (مت٢٣) حيث كتبت الويلات ثم أضيف شرح لكل منها.

و - التكرار بالتضاد :

بأن يحتوى الشطر الثانى على جملة عكس الشطر الأول:

«المولود من الجسد جسد هو،

والمولود من الروح هو روح»

(يو٣: ٦).

«لأن من له سيُعطى،

وأما من ليس له

فالذى عنده سيؤخذ منه»

(مر٤:٢٥).

«فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة

والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوه٥:٢٩).

«إن كان أحد يمشى فى النهار لايعثر لأنه ينظر نور هذا العالم،

ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل يعثر لأن النور ليس فيه»

(يو١١:٩ - ١٠).

«كل غصن فىّ لايأتى بثمر ينزعه،

وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر» (يوه١٥ : ٢).

ز - الموسيقى الداخلية :

وضح علماء الكتاب أن لبعض الآيات موسيقى داخلية إيقاعية إستخدمها الرب لجذب السامعين لأقواله. وقد ترجموا هذه الآيات إلى الأرامية بلهجتها الجليلية ليثبتوا ذلك. ومن ضمن هذه الآيات :

«لاتعطوا القدس للكلاب،

ولاتطرحوا دركم قدام الخنازير»

(مت ٧:٦).

١٧- التشجيع :

من مبادىء التعليم أن يشجع المعلم من يجيب بالصواب بعد الإجابة مباشرة، ويتضمن هذا التشجيع أن تكشف عن صحة إجابة التلميذ فوراً، لأن ذلك يثبّت التعليم الصحيح، وهو ما يسميه علماء النفس بتعزيز عملية التعلم، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك فى تعليم السيد حواره مع الناموسى الذى جاء يسأله « ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية؟» (لو ١٠:٢٥) فقال له السيد المسيح «كيف تقرأ ؟» فأجاب الناموسى إجابة صحيحة (لو ١٠:٢٦) وهنا قال له السيد المسيح «بالصواب أجبت» (لو ١٠:٢٨)، وبذلك كشف له عن صحة إجابته ليدعم له ما يعرفه، ونفس العبارة «بالصواب حكمت» قالها السيد المسيح لسمعان الفريسى بعد أن أجاب إجابة صحيحة (لو ٧:٤٣).

كما أن نفس التعبير قاله السيد المسيح للسامرية «حسنا قلتِ ليس لى زوج» (يو ٤:١٧).

كذلك فإنه من مبادىء التعليم أن يتقبل المعلم الإجابة غير السليمة بصدر رحب، دون تأنيب، بل يوجّه جهده إلى مساعدة المخطىء فى التعرف على أسباب خطئه، أو نواحى عدم الدقة فى إجابته. لاحظ معى موقف السيد المسيح من الفهم الخاطىء لنيقوديموس حين سأل نيقوديموس «كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد» (يو٣:٤) إن السيد المسيح لم يؤنبه أو يوبخه على فهمه الخاطىء، مع أنه له المجد يعلم أن نيقوديموس معلم للناموس بل أخذ بيده رويداً رويداً حتى علمّه.

١٨- التهذيب:

ويشمل بعض الطرق منها :

أ- التأنيب:

حين يطلب الإبن من أبيه سكيناً ليجرح به نفسه فإن محبة الأب يجب أن تمنعه من هذا الإيذاء، وفى الطرق التعليمية التالية سوف يستخدم الرب

الطرق الحازمة لمنفعة مخدوميه، ولقد كان التأنيب لدى الرب بمثابة وخزة فى الضمير. ولنلاحظ كلمة: «واحد منكم سيسلمني» (مت ٢٦:٢١) إنها وخزة لضمير يهوذا دون أن يحرجه أمام بقية التلاميذ ، ويعود فيقول له «أبقبلة تسلّم إبن الإنسان» (لو٢٢:٤٨)،إنها وخزة أخرى مباشرة له. ثم تلاحظ كيف انسحب الجميع من حول المرأة الخاطئة حينما قال لهم السيد المسيح:

«من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر» (يو ٨:٧)،لقد كانت تلك العبارة وخزة لضمائرهم الغافلة، فلهذا انفضوا عنها.

كما كان كلام السيد المسيح لبطرس حينما ظهر له عند البحيرة بمثابة تأنيب لبطرس،إذ ذكّره باسمه الأول «يا سمعان بن يونا» فهو هنا يؤنبه. لأنه بعد أن قال له من الآن تدعى بطرس أى صخرة، إرتكب بطرس خطأ إنكاره، وعاد لمهنته الأولى وهى الصيد، بعد أن قال له الرب من الآن أجعلك تصطاد النفوس. لهذا ناداه بإسمه الأول (سمعان) وهو إسمه حينما كان صياداً للسمك ليذكر بطرس بكل هذه الأمور. كما أنه قال له «أتحبنى؟» ثلاث مرات لأن بطرس أنكره ثلاث مرات، هكذا يؤنب السيد المسيح بطرس دون أن يحرجه. أو بالأحرى جعل بطرس يؤنب نفسه بنفسه حين يتذكر كل هذه الأمور من خلال وخزات الضمير التى وجهها له فى كلمات قليلة.

ب. التوبيخ :

إستخدم السيد المسيح أيضاً أسلوب التوبيخ والإنتهار لإفاقة الضمائر من غفلتها. وكمثالا لذلك رده: «جيل شرير فاسق يلتمس آية » (مت١٦:٤) «وكلمته أيضا لأحد تلاميذه «يا قليل الإيمان لماذا شككت» (مت١٤:٣١) كما أنه وبخ المدن التى صُنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تتب (مت ١١:٢٠).

جـ- الإنذار :

وهى درجة من المعاملة أقسى وأعمق من سابقتها، لعلها تُصلح سقم الضمائر ونوم الغفلة، ومن الأمثلة على ذلك:

* إنذار السيد المسيح لمريض بركة بيت حسدا «إذهب ولا تخطىء لئلا يكون لك أشر» (يو ٥:١٤).

* إنذاره لشاول الطرسوسى «شاول شاول لماذا تضطهدني صعب عليك أن ترفس مناخس» (أع ٩:٥)

* إنذاراته المتكررة للكتبة والفريسيين «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون» (مت ٢٣ : ١٣)

*إنذاره لمدن كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم وأورشليم (مت ١١:٢١ - ٢٥).

ء- العقوبة :

بعد أن كان السيد المسيح يؤنب ثم ينتهر ويوبخ، ثم ينذر، عندئذ تبدأ مرحلة العقوبة..... وقد إستخدم السيد المسيح العقوبة كثيراً، ولكنه لم يبدأ بها قط. وكأمثلة لإستخدام العقوبة طرد الباعة من الهيكل (لو ١٩:٤٦)، ومعاقبته لشاول الطرسوسى حين أسقطه على الأرض (أع٩:١-٤٢).

ومن المهم هنا أن نلاحظ أن العقوبة هى إحدى طرق الله لخلاص النفس الإنسانية – فهو يرسل روحه القدوس ليؤنب، ثم ينتهر، ثم ينذر بإنذار بسيط ، ثم يوقع العقوبة التى هى نوع من التأديب لهذا الإنسان الذى استهان بطول أناة الله عليه.

ولكن لنتأمل جيداً فى تجربة الله لشاول الطرسوسى لنفهم أن الرب لم يتركه بل حاربه وشفاه «ضارباً فشافياً»، إنها صدمة مؤلمة لكنها أبرأت نفسه الغارقة فى الظلمة، ثم بعدما نال البرء من الخطيئة، نال معه شفاء عينيه وعاد سليم البصر (العين الجسدية) والبصيرة (ضميره).

تدريب :

أسلوب المسيح فى القيادة

التفتنا فى الجزء السابق إلى المسيح كمعلم ومرب، وبقى فى هذا التدريب أن نستنتج أسلوب الرب يسوع فى القيادة :

والقيادة تختلف قليلاً عن التعليم، وعلى القارىء أن يضع بعض الشواهد أو الأحداث أو الأدلة التى تبين أسلوب السيد فى القيادة.

١ ـ جاء الرب ليصنع قادة وليس جموعاً:

.....

.....

٢ – بدأ مبكراً من أول يوماً فى إعداد قيادات وليس قبل إنتقاله:

.....

.....

٣ – صنع قيادات ١٢ ثم ٧٠ فى حياته وليس بعد مماته :

.....

.....

٤ – أعطى تلاميذه مسئوليات متدرجة الصعوبة ودربهم عليها:

.....

.....

٥ – شجع تلاميذه عندما نجحوا وصوّبهم عندما أخطأوا، أو تجاهل بعض عيوبهم مركزاً على الإيجابيات:

.....

.....

٦ – أشرك تلاميذه فى آماله وطموحه وأحلامه وأفراحه وأحزانه:

.....

.....

٧ – تابع تلاميذه بنفسه:

.....

.....

٨ – أعطاهم الثقة والقوة والإمكانيات للقيام بالعمل:

.....

.....

٩ـ أعطاهم نفسه مثلاً فى إنكار الذات:

.....

.....

١٠ – نمّى فيهم روح الفريق وحل الصراعات التى كانت بينهم:

.....

.....

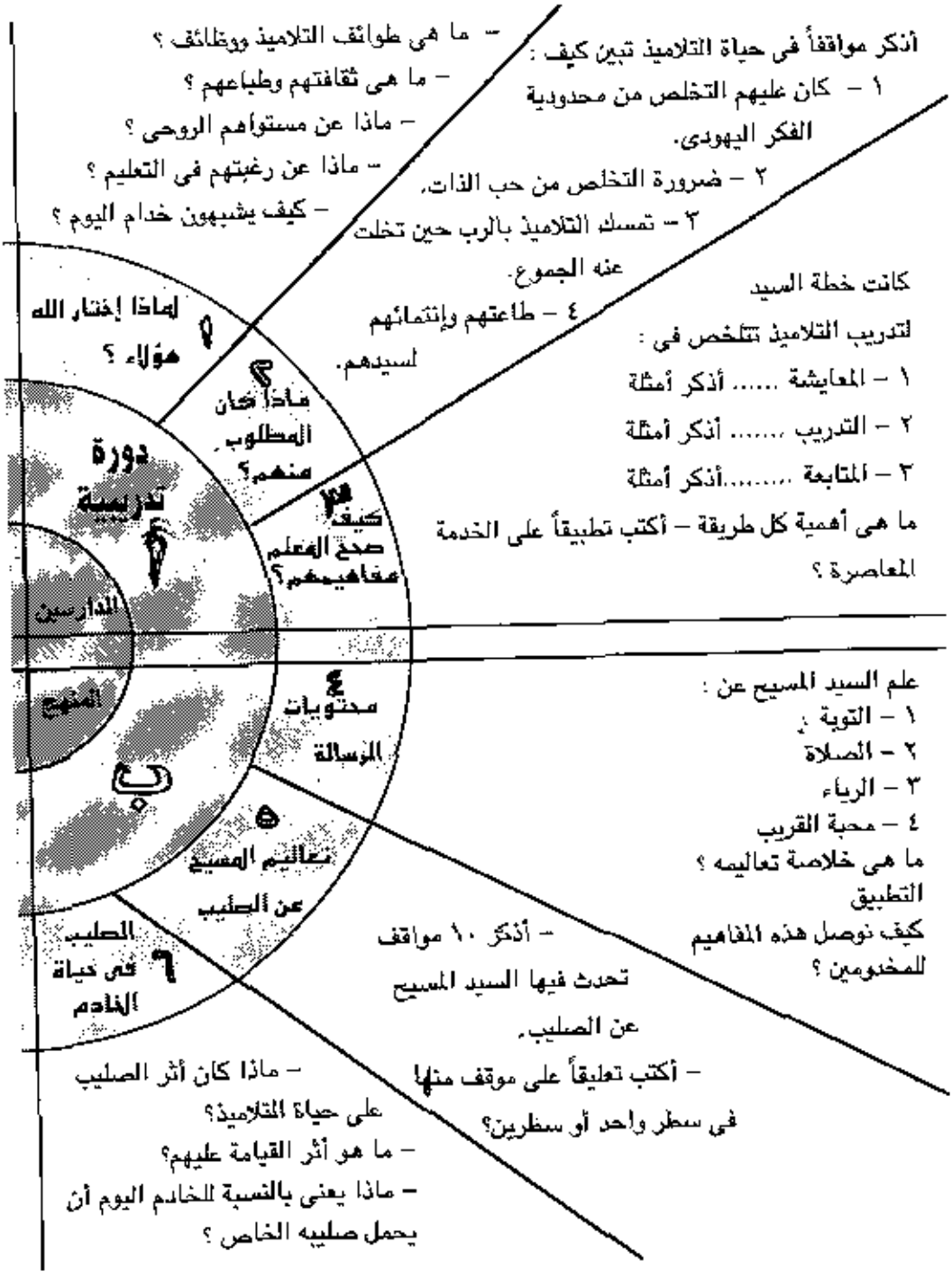
دورة تدريبية
١ لماذا إختار الله هؤلاء ؟
٢ ماذا كان المطلوب منهم؟
٣ كيف صنع المعلم مفاهيمهم؟
٤ محتويات الرسالة
٥ تعاليم المسيح عن الصليب
٦ الصليب فى حياة الخادم
أ الدارسين
ب المنهج
أذكر مواقفاً فى حياة التلاميذ تبين كيف :
١ – كان عليهم التخلص من محدودية الفكر اليهودى.
٢ – ضرورة التخلص من حب الذات.
٣ – تمسك التلاميذ بالرب حين تخلت عنه الجموع.
٤ – طاعتهم وإنتمائهم لسيدهم.
– ما هى طوائف التلاميذ ووظائف ؟
– ما هى ثقافتهم وطباعهم ؟
– ماذا عن مستواهم الروحى ؟
– ماذا عن رغبتهم فى التعليم ؟
– كيف يشبهون خدام اليوم ؟
كانت خطة السيد لتدريب التلاميذ تتلخص فى :
١ – المعايشة ..... أذكر أمثلة
٢ – التدريب ..... أذكر أمثلة
٣ – المتابعة .....أذكر أمثلة
ما هى أهمية كل طريقة – أكتب تطبيقاً على الخدمة المعاصرة ؟
علم السيد المسيح عن :
١ – التوبة .
٢ – الصلاة
٣ – الرياء
٤ – محبة القريب
ما هى خلاصة تعاليمه ؟
التطبيق
كيف نوصل هذه المفاهيم للمخدومين ؟
– أذكر ١٠ مواقف تحدث فيها السيد المسيح عن الصليب.
– أكتب تعليقاً على موقف منها فى سطر واحد أو سطرين؟
– ماذا كان أثر الصليب على حياة التلاميذ؟
– ما هو أثر القيامة عليهم؟
– ماذا يعنى بالنسبة للخادم اليوم أن يحمل صليبه الخاص ؟

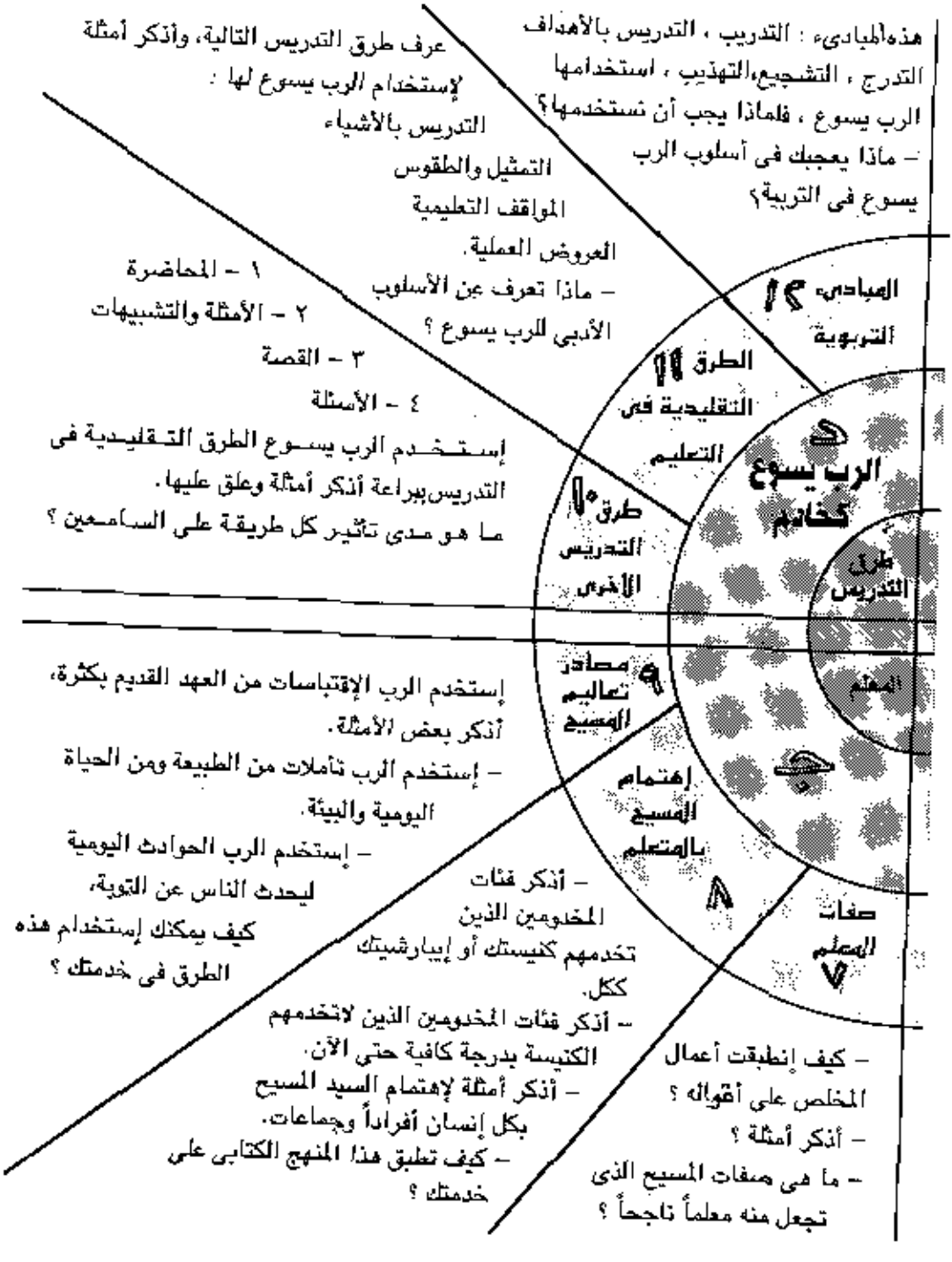
هذه المبادىء : التدريب ، التدريس بالأهداف
التدرج ، التشجيع،التهذيب ، استخدامها
الرب يسوع ، فلماذا يجب أن نستخدمها؟
– ماذا يعجبك فى أسلوب الرب
يسوع فى التربية؟
عرف طرق التدريس التالية، وأذكر أمثلة
لإستخدام الرب يسوع لها :
التدريس بالأشياء
التمثيل والطقوس
المواقف التعليمية
العروض العملية.
– ماذا تعرف عن الأسلوب
الأدبى للرب يسوع ؟
١ – المحاضرة
٢ – الأمثلة والتشبيهات
٣ – القصة
٤ – الأسئلة
إستخدم الرب يسوع الطرق التقليدية فى
التدريس ببراعة أذكر أمثلة وعلق عليها.
ما هو مدى تأثير كل طريقة على السامعين ؟
إستخدم الرب الإقتباسات من العهد القديم بكثرة،
أذكر بعض الأمثلة.
– إستخدم الرب تأملات من الطبيعة ومن الحياة
اليومية والبيئة.
– إستخدم الرب الحوادث اليومية
ليحدث الناس عن التوبة،
كيف يمكنك إستخدام هذه
الطرق فى خدمتك ؟
– أذكر فئات
المخدومين الذين
تخدمهم كنيستك أو إيبارشيتك
ككل.
– أذكر فئات المخدومين الذين لاتخدمهم
الكنيسة بدرجة كافية حتى الآن.
– أذكر أمثلة لإهتمام السيد المسيح
بكل إنسان أفراداً وجماعات.
– كيف تطبق هذا المنهج الكتابى على
خدمتك ؟
– كيف إنطبقت أعمال
المخلص على أقواله ؟
– أذكر أمثلة ؟
– ما هى صفات المسيح الذى
تجعل منه معلماً ناجحاً ؟
المبادىء التربوية ١٢
الطرق التقليدية فى التعليم ١١
طرق التدريس الأخرى ١٠
مصادر تعاليم المسيح ٩
إهتمام المسيح بالمتعلم ٨
صفات المعلم ٧
الرب يسوع كمعلم
طرق التدريس
المعلم
أ
ب
ج

الفصل الرابع
التعليم بالحجة
الكنيسة الأولى والكرازة

فهرس تحليلى

– كانت مهمة الكنيسة الأولى توصيل الإيمان لكل أجناس البشر.

– وكانت مدفوعة لهذا العمل بسبب العرفان بالجميل، وإذ قد حرر الرب الرسل من خطاياهم، وبسبب الإحساس بالمسؤلية نحو الآخرين.

– كانت الكرازة لليهود ثم للأمم وللمدن ثم القرى وللأشخاص الهامين حتى يؤثروا على غيرهم.

– أما طرق الكرازة فكانت فى المجمع والأماكن العامة بإستخدام النبوة والشهادة والزيارات المنزلية والمقابلات الشخصية.

– كانت على الكنيسة بعد الرسل مهمة شاقة تتلخص فى الرد على الفلاسفة واليهود والدفاع عن المسيحيين وتعليم الموعوظين ثم تعليم حديثى الإيمان.

الفصل الرابع
التعليم بالحجة
الكنيسة الأولى والكرازة

فكر معنا

حدد منطقة أو مرحلة عمرية تريد أن تخدمها في كنيستك المحلية (شارع، أو حي، أو فترة: إعدادي أو المسنين أو الحضانة .... إلخ)

أجب عن الأسئلة التالية :

١ – لماذا تريد أن تخدم هؤلاء بالذات؟

٢ – ما هي عوامل نجاح الخدمة في هذه المنطقة أو المرحلة؟

٣ – ما هي خطتك للوصول إليهم؟

٤ – ما هي مصادر القوة التي تتيح لك النجاح؟

٥ – أي المصاعب تتوقع ؟

٦ – ماذا ستفعل للتغلب على هذه الصعوبات؟

الكنيسة مؤسسة تعليمية هدفها توصيل رسالة الملكوت إلى كل إنسان، وتوصيل كل إنسان إلى الملكوت. وهي تصل إلى هدفها بطرق متنوعة منها العبادة والإعتراف بالإيمان، والمساعدة المعنوية والمادية لذوى الحاجات. على أن التعليم يعد أهم أسلحة الكنيسة التي بدونها تنتفي رسالتها، وتنكمش إمكانيتها. فالكنيسة لاتريد أن تعلم أبناءها فقط بل أنها تريد أيضاً أن تكسب البعيدين وتقنعهم بالدخول إلى الإيمان، وتجذبهم بشبكة النعمة وسلاح الكلمة داخل حظيرة المسيح. وقد أعلن بولس الرسول إستعداده أن يبشر الجميع (رو ١: ١٤-١٥) وأن يجتذب جميع الأجناس يهوداً وأمماً، بل أن يبذل نفسه ويكون محروماً من كل شيء حتى من النعيم لكي ينقذ نفساً واحدة من الهلاك،ونسمعه يقول :

رو(٩ : ٢- ٣)(إن لى حزناً عظيماً ووجعاً فى قلبى لاينقطع فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من

المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد).

وسوف نناقش هنا دوافع الكرازة وخطة الكرازة وطرق الكرازة فى الكنيسة الأولى:

أولاً: دوافع الكرازة:

أحسَّت الكنيسة الأولى بدافع شديد يحثها، بل يلزمها بالكرازة، ويمكننا تلخيص هذه الدوافع فى:

١- الإحساس بالعرفان بالجميل:

لم تكن الدوافع للكرازة عند الرسل إنسانية بل إلهية، أى نابعة من الله نفسه. فقد إنفعل التلاميذ الأوائل بشدة بمحبة الله الغامرة رغم عدم إستحقاقهم لها.

وتحدث بولس الرسول بأسلوب شخصى مؤثر عن إبن الله «الذى أحبنى وأسلم ذاته من أجلى» (غل٢:٢٠) كذلك تحدث عن محبة الله التى إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو٥ : ٥)،وقد أوضح يوحنا الحبيب نفس الأفكار بمنهج متكامل عن محبة الله فى الإصحاح الرابع من رسالته الأولى (١ يو ٤ ١٠ - ١٢ ، ٤ - ١٩):

«أيها الأحباء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغى لنا أيضاً أن نحب بعضنا بعضاً» كذلك يلخّص بولس الرسول مشاعره فى قوة قائلاً: «إن محبة المسيح تحصرنا» (٢كو ٥: ١٤).

٢ - الإحساس بالمسئولية:

فويل لى إن كنت لا أبشر هكذا شعر بولس الرسول بالإلتزام الذى يدفعه أن يصير لليهود كيهودى ولمن هم بلا ناموس كأنه بلا ناموس حتى يخلص على كل حال قوماً (١ كو ٩:٢٠). ولم تكن نفسه ثمينة عنده بل كان همه الأول أن يتمم الخدمة التى أخذها من الرب يسوع (أع ٢٠ : ٢١ - ٢٤).كان بولس مؤمنا أن النار ستمتحن عمل كل خادم والذى يثبت عمله سيخلص (١ كو ٤: ١١ - ١٥). وبعد أن تمم خدمته قال «أنى أشهدكم أنى برىء من دم جميعكم» (أع٢٠:٢٦).

٣ – الإحساس بالإهتمام بالنفوس :

يقول بولس الرسول :

«إنى مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء، فهكذا ما هو لى مستعد لتبشيركم أنتم الذين فى رومية أيضاً» (رو١: ١٤-١٥) ويقول الرسول يهوذا: "خلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار" (يهو٢٢). وقال بوليكاربوس فى محاكمته «أنتم تهددوننى بالنار التى تحرق ساعة وبعد قليل تطفأ ولكنكم تجهلون نار الدينونة الآتية والعقوبة الأبدية المعدة للأشرار» (إستشهاد بوليكاربوس).

ويقول ترتليان فى رسالته إلى إسكابيولا ٣ ، ٤ (3-4) Scapula «لاتنسى المستقبل،فنحن لسنا خائفون ولانريد أن تخيفكم، إنما نريد أن نخلص كل أحد إن أمكن بأن ننذره ألا يحارب الله، هكذا نهتم بأعدائنا فكم بالأحرى أصدقائنا !»

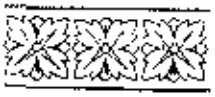

ثانياً خطة الكرازة :

أوصى الرب بالكرازة للعالم أجمع (مت ٢٨: ١٩)،ولكن كيف؟ وإلى أين؟ لم يكن الرسل يجهلون الإجابة تماماً، فكان روح الرب يرشدهم لإحداث أكبر تأثيراً، وأقوى فاعلية. ونستطيع أن نلمح خطة الكرازة فى أيام الرسل فى الملاحظات التالية :

أ – الكرازة لليهود والأمم :

كان الرسل يبدأون كرازتهم عادة لليهود، ولكنهم يجدوهم قساة القلوب، فيذهبون بعد ذلك إلى الأمم ويحدثونهم (أع ١٣ : ٤٦)،وكان هناك طائفة متوسطة هم الدخلاء وهم أمميون يريدون التهود وقد أعجبوا بالتقاليد العبرية وقدم كتابهم المقدس ونظرتهم للأسرة وإيمانهم بإله واحد، وكان هؤلاء سريعى التأثر والإقتناع بالدين المسيحى، لأنهم فئة باحثة عن الكمال ولها من حرية العقيدة ما يدفعها إلى إعتناق الدين المثالى. وقد رأى بولس أن القساوة التى حدثت فى قلوب اليهود

ليست رفضاً لهم أو إغلاقاً لباب الخلاص من دونهم، ولكنها قساوة جزئية (لبعض الوقت) حتى يدخل الأمميون إلى الحظيرة،وبعد ذلك سيعود اليهود ويقبلون الإيمان،وبهذا يكونوا قد طُعّموا فى زيتونتهم الخاصة (رو١١:٩).

ب – الكرازة للأماكن الهامة

يرى الباحث رولاند ألن Roland Allen أن كرازة بولس تركزت فى مراكز الإدارة والمقاطعات فى الإمبراطورية الرومانية، وأماكن الحضارة اليونانية، والمراكز التجارية وأماكن التأثير اليهودى.

جـ – الكرازة للمدن قبل القرى

نرى من رسائل سفر الرؤيا أن الكنائس السبعة كانت مدن هامة، وقد تأسست فيها الكنائس أولاً وكانت الكنائس السبعة يحيط بها طريق دائرى بنفس ترتيب مخاطبتها فى سفر الرؤيا. وكذلك يرى مايكل جرين Michael Green أن هذه المدن كانت مراكز تلقى البريد وتوزيعه على القرى، وقد اختار الروح القدس هذه المدن حتى تنتشر الكرازة من المدن الهامة إلى القرى المجاورة بسرعة وفاعلية أكبر.

ء – الكرازة للأشخاص الهامين

أراد بولس التأثير على رجال البلاط والجند والقادة مثل أغريباس وفستس وفيلكس،والقيصر نفسه،ورافق فيلبس مركبة وزير ملكة الحبشة (أع٨:٥ ـ ٣٨)

يرى المورخ المشهور هنرى شادويك Henry Chadwick أن الكرازة انتقلت من شكل دائرة إلى شكل بيضاوى:

فكانت الدائرة تتمركز حول أورشليم ولكن بولس أراد أن يصل بالكرازة لأن يكون لها مركزان، مركز دينى هو أورشليم ومركز مدنى هو روما

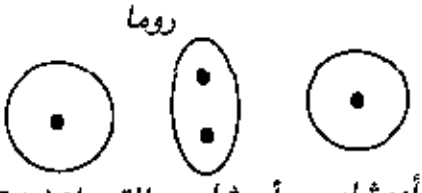

وفى النهاية أصبحت الأهمية الدينية متمركزة حول عاصمة الإمبراطورية، وهى روما، ثم إنتقلت إلى

القسطنطينية بإعتبارها روما الجديدة، لتكون المقر الدينى والسياسى للكنيسة والدولة المسيحية فى أيام قسطنطين، أى عادت الكرازة إلى شكل الدائرة مرة أخرى.

هـ - الإنتقال السريع إلى أماكن أخرى

يقول بولس الرسول فى رومية (١٥:١٩-٢٣) : "بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله. حتى أنى من أورشليم وما حولها إلى إليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح. ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا، ليس حيث سُمّى المسيح لئلا أبنى على أساس لآخر. بل كما هو مكتوب الذين لم يخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سيفهمون. لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجيء إليكم. وأما الآن فإذا ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ولى إشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم »

وكان بولس يفضل الإنتقال السريع دون البقاء لسنوات طويلة فى مكان واحد، وكان يضع فى كل كنيسة أشخاصاً نشيطين أمناء ليكملوا العمل الذى بدأه، وهكذا كان يعتبر العالم كله إيبارشية، ويسعى لكى يكمل الكرازة بالإنجيل فى العالم أجمع.

وسوف نفرد فصلاً (السادس) لدراسة لتعليم المؤمنين من المسيحيين، ولكننا يجب أن نلتفت قليلاً هنا لطرق الكرازة لغير المؤمنين :

طرق الكرازة

تعددت الطرق التى إستخدمها الرسل فى الكرازة، ويمكن أن نلخصها فى الآتى :

١ - الكرازة فى المجامع

يسجل لنا سفر الأعمال (١٣: ٤-٥٢) عظة مؤثرة لبولس الرسول فى المجمع اليهودى تبعها لقاءان فى السبتين التاليين، حتى إجتمعت المدينة كلها لتسمع كلمة الرب، وآمن جميع الذين كانوا معاينين للحياة الأبدية ولكن

المتعصبون من اليهود رفضوا الإيمان، «فجاهر بولس وبرنابا وقالا: كان يجب أن تكلّموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم».

وتكرر هذا النمط في مجامع أخرى ويرى رولاند ألن Roland Allen أن خصائص الوعظ البولسي في المجامع اليهودية كانت :

أ – تعاطف بولس مع السامعين فكرازته واضحة، فهو يقبل الجيد الذى يجده فيهم ويدرك الصعوبات التى يقابلونها.

ب – شجاعة بولس في إعلان الحق حتى وإن بدا غريباً أو غير منطقي.

جـ – إحترام بولس لعقلية سامعيه وإحتياجاتهم الروحية.

ء – ثقة بولس في قوة الحق المعلن في الكرازة بالإنجيل.

ولعل هذه الخصائص كانت سبباً في نجاح الكرازة.

٢ - الكرازة في الأماكن العامة:

كانت عادة متبعة في القديم أن يقوم الواعظون بالتعليم في الهواء الطلق وهذه الطريقة كان يصحبها بعض المعجزات أو الأشفية التى تجذب عدداً كبيراً من المستمعين، وكان الواعظ يستخدم فيها الجمل القصيرة، ويسجل تاريخ الكنيسة ليوسابيوس عظة لتداوس في خطاب له مرسل للملك أبجر ملك أوديسا Abger of Edessa

يقول فيها :

«سألتزم الصمت الآن لكن غداً أرجو أن تجمع لى جميع مواطنيك وسوف أعظهم، وأزرع لهم كلمة الحياة الخاصة بمجيء المسيح، وكيف حدث هذا، وعن إرساليته، ولماذا أوفده الآب، وعن قوته وإتضاعه، وكيف أنكر ذاته، وإخلائه لذاته من مجد اللاهوت، وكيف صلب ونزل إلى الجحيم المكان الذى لم يخترقه أحد منذ تأسيس العالم، وكيف أقام الأموات، فبينما نزل إلى الجحيم وحده عاد إلى الآب بجمع غفير»

(التاريخ الكنسى ليوسابيوس) (١، ١٣)

توضح هذه الرسالة – رغم شك البعض فى قانونيتها – إنتشار الوعظ فى الأماكن العامة وإستخدام الرسل الكلمات المحددة القوية المختصرة، وهذا يتناسب مع نقص التركيز أو الإهتمام الذى يكون موجوداً فى معظم الأحيان عند السامعين من المارة.

٣ – الوعظ النبوى :

إتهم كلسس المسيحيين بالتجول حول المدن ومعسكرات الجيش لنشر الإشاعات التشاؤمية والتنبؤ عن أشياء قليلة الأهمية وكشف الطالع، وقد رد عليه أوريجانوس فى كتابه ضد كلسس (٧ – ٩).ولعل هذه الصفات كانت تخص أنبياء الوثنية أو طائفة المونتانيين المتطرفة.

على أن الخدام فى القرون الأولى المسيحية مارسوا النبوة بطريقة هادئة، فكان الله يتحدث إليهم، ومن خلالهم، فنجد فى رسالة أغناطيوس إلى فيلادلفيا هذا القول «عندما كنت معكم كنت أحدثكم بصوت عظيم صوت الله» (فلا ٧ :١) مما يشير إلى ممارسة أغناطيوس للتنبؤ.

وفى عظة ميليتو الفصحية نجد تغييراً واضحاً فى نبرة الحديث إذ يتكلم المسيح على لسان ميليتو بضمير الحاضر بصوت نبوى هادىء ومؤثر:

«إن الرب بعد أن لبس الطبيعة البشرية وتألم لأجل المتألمين، وربط لأجل المربوطين، ودفن لأجل المدفونين بالخطايا، قام من بين الأموات وأعلن الكرازة بجلاء (وهنا ينتقل ميلتو إلى النبوة)

من سوف يجادل ضدى؟ دعه يقف أمامى. إنه أنا الذى أخرجت المدينون من الحبس، إنه أنا هو الذى أقمت الراقدين .

من سيحاججنى ؟

إنه أنا ، يقول المسيح، الذى هدمت الموت، إنه أنا الذى إنتصرت على العدو، ودست الجحيم. وربط القوى ورفعت البشر إلى العلاء، نعم إنه أنا يقول المسيح: فتعالوا يا جميع قبائل الشعوب المثقلين بخطاياكم وتقبلوا الغفران عن آثامكم، لأنى أنا هو غفرانكم.

أنا هو الفصح الذى يأتيكم بالخلاص،

أنا هو الحمل المذبوح لأجلكم، أنا هو نوركم، أنا هو خلاصكم، أنا هو ملككم.

إني أنا هو الذى يعطيكم القيامة، هناك سأظهر لكم الآب الأزلى. إنى سوف أرفعكم بيدى اليمنى هذه» ميلتو (بردية بودمر ١٣، فقرة ١٠٠)

٤ - الشهادة :

نقصد بالشهادة رواية الرسل عن عمل الله فى حياتهم الشخصية، فلم يكن الرسل يتلون أقوالاً نظرية، أو يكتبون كتباً أكاديمية، إنما كانوا يتحدثون عن خبرة شخصية بحماس وتأثر.

فنجد بولس أحياناً يتوقف عن الكتابة ليكتب بفرح «شكراً لله على عطيته التى لايعبر عنها» (٢كو ٩: ١٥) أو يتحدث بأسى عن «الخطاه الذين أولهم أنا» (١ تى ١ : ١٥)،وكان يشهد عن ناموس الخطية فى أعضائه (رو٧:٢٣ - ٢٥).

وتبعه فى هذا إكليمندس الإسكندرى فى رسالته إلى الوثنيين ليحثهم على الإيمان بالمسيح فى لهجة ممزوجة بالفرح بسبب ما صنعه المسيح لأجله قائلاً : «هذا هو موقفنا نحن الذين إرتبطنا بالمسيح ... فالله هو الحياة كلها للذين عرفوا المسيح» (Protrep 12) كذلك يقول تاتيان فى رسالته لليونانيين "إننى أعرف من هو الله وما هو عمله" (Orat. 42)

ثم يتحدث عن تحرير الله له من الخطية ورباطات الشر وعن «عشرة آلاف قيد كان يستعبده».

٥ - الشهادات المنزلية :

الأسرة نواة المجتمع ولها تاريخ هام فى الثقافة العبرية والرومانية. وقد كانت خطة الله للخلاص تعمل من خلال الأسرة، كما حدث فى قصة نوح وإبراهيم، ثم داود وأهل بيته. ونقرأ فى تثنية ١٤: ٢٦

«وكل هناك أمام الرب إلهك وإفرح أنت و بيتك» كذلك فى تثنية ١٢ : ١٢ «وتفرحون أمام الرب إلهكم أنتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم وإماؤكم»

فليس عجيباً أن يقوم الرسل بالكرازة والتعليم فى نطاق الأسرة رجالاً ونساءاً كباراً وصغاراً عبيداً وأحراراً: كما فى قصة ليديا وسجان فيلبى حيث "أعتمدت هى وأهل بيتها" (أع ١٦ : ١٥) " فقال آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك ، وكلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب (أع ١٦ : ٣١ - ٣٢).

٦ - المقابلات الشخصية :

من ضمن أمثلتها زيارة بولس لحنانيا ومقابلة فيلبس للحبشى، ومواجهة بولس مع فيلكس وأغريباس الملوك، وزيارة بطرس لكرنليوس.

وإستمر فى هذه الطريقة الجيل الثانى للمسيحيين، فنسمع عن تغير بوليكاربس بواسطة يوحنا الحبيب وتغير غوريغوريوس صانع العجائب بواسطة أوريجانوس.

المهام التعليمية للكنيسة الأولى:

وجدت الكنيسة الأولى نفسها أمام مهمة شاقة فكان عليها أن:

(أ) ترد على اليهود :

مثبتة صحة التفسير المسيحى لنبوات العهد القديم، محاولة جذب ولو القليل منهم إلى حظيرة الإيمان.

(ب) تجرى الحوار مع الفلاسفة :

وقد أطلعت بهذا الدور مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ومن قبلها ذهب بولس الرسول إلى أثينا عاصمة الفكر الفلسفى فى العالم مجاهراً بصدق الإيمان.

(جـ) تدافع عن المسيحية ضد الوثنية:

وقد قام بهذا الدور طائفة من آباء الكنيسة، يسمّون بالمحتّجين جعلوا همهم الرد على الإفتراءات التى أذيعت حول المسيحيين، وجعل المسيحية،وإن لم تكن مقنعة أو جذابة للأباطرة والرؤساء، فهى تبدو على الأقل غير مرفوضة تماماً.

(د) تعليم الموعوظين :

فى مدارس خاصة لتجعلهم تلاميذاً لطريقة الرب قبل العماد.

(هـ) تعليم المؤمنين:

لم تكتفى الكنيسة بتعليم الموعوظين حتى يتعمدوا، بل كانت تعطى وجبات أكثر دسماً لأولئك اللذين إستنارت قلوبهم وعقولهم بالأسرار الإلهية، فكانت تعلمهم العقائد العظمى عن التثليث والتجسد والخلاص، وتحتضنهم بدفء شديد بين جنبات صدرها الحنون.

الكنيسة ترد على اليهود :

تكررت محاولات الكنيسة لكسب اليهود بلا جدوى، فبالرغم من الخلفية المشتركة والتاريخ المقدس الذى يتفق عليه أصحاب كلتا الديانتين، وبالرغم من نشأة المسيحية فى بيئة يهودية كأنها أحد المذاهب أو الطوائف العديدة التى سمحت بها اليهودية، إلا أن اليهود أضمروا العداء للمسيحيين وطردوهم من مجامعهم بل وطاردوهم من مدينة إلى مدينة.

وعلى الرغم من هذا العداء الذى ناصبه اليهود للمسيحيين، إلا أن الكنيسة المسيحية استمرت فى محاولة إقناع اليهود وجذبهم للإيمان ، واضنىّ علماءها الجهدُ فى الحوار ومقارعة الحجج مع شعب معاند.

وكان إنجيل متى أول محاولة من الكنيسة الأولى لجذب اليهود بالحجة، وذلك عن طريق إستخدام الأدلة الكتابية لإثبات أن يسوع هو المسيح الذى شهدت له النبوات فى العهد القديم.

ومن بين اللذين كتبوا ردوداًمسهبه فى الرد على اليهود العلامة أوريجانوس (عام ٢٥٠ م) الذى يحكى كيف أجرى الحوار مع علماء اليهود بنفسه شفاهاً ، وليس فقط كتابةً.

وسبقه فى ذلك العلامة ترتليان (عام ٢٠٠ م) مبينا أفضلية "الأمة" المسيحية وأسبقية الناموس الطبيعى فى داخل الإنسان عن ناموس موسى الذى يعتز به اليهود.

كذلك نقرأ للفيلسوف الشهيد يوستينوس (١٧٠م) فقرات بليغة عن كيفية إقتناعه بالصدق والبساطة المسيحية.

كتب أوريجانوس حوالى عام ٢٥٠ ميلادية إحتجاجاً ضد كلسس ذكر فيه محاورة جرت بينه وبين اليهود قائلاً:

«أتذكر أنني إستخدمت هذه الحجة ذات مرة في محاورة مع بعض الرجال اليهود العقلاء، في وجود العديد من القضاة: أود أن تجيبوني عن سؤال، أيها السادة الفضلاء: يذكر التاريخ أن هناك رجلين عاشا مع الجنس البشرى وقاما بأعمال مدهشة تفوق قدرة الإنسان :

واحد منهما هو موسى الذى أعطاكم الناموس ، والذى كتب عن نفسه، والآخر هو يسوع معلمنا، الذى لم يكتب سيرة حياته بنفسه، ولكن وجد تلاميذه شهود له فى الأناجيل. فعلى أى أساس تؤمنون بأن موسى كان محلاً للثقة ، رغم أن المصريين إتهموه بأنه ساحر ومشعوذ. ولكنكم لاتصدقون يسوع الذى إتهمتوه أنتم؟ لأن لكل منهما شهوده: فاليهود شهدوا لموسى، بينما شهد المسيحيون الذين لاينكرون قوة النبوة المعطاة لموسى بل بالحرى يستخدمونها كنقطة بدء لإثبات حقيقة الأخبار التى وردت عن يسوع.

فصدقوا إذا العجائب التى كتبت عن الأخير بواسطة تلاميذه.

الآن إذا طلبتم منا برهاناً للمسيح، فإعطونا أولاً برهاناً عن موسى سلفه، لكن إذا ترددتم وتجنبتم أعطائنا إيضاحاً بخصوص موسى الذى أتى أولاً، فسوف نرفض نحن أيضاً الآن أن نعطيكم دليلنا.»
Sources Chrétiennes 132.192 .

وفى الجيل السابق لأوريجانوس تحدث ترتليان عام ٢٠٠م أو بعدها بقليل عن محاورة جرت بين أحد المسيحيين ودخيلاً يهودياً أورد فيها هذه الحجة:

١ ـ وعد الله الأمم بالخلاص بينما كان اليهود دائماً وثنيين بقلبهم :

"قال الرب لرفقه أن فى بطنها أثنين، أحدهما يقوى على الآخر، وكبير يستعبد لصغير (تك ٢٥: ٢٣). والآن يعد اليهود هم "الأكبر" من المسيحيين لأنهم الشعب الذى سبق المسيحيين من جانب، ولأنهم فى

الشريعة شعب الله المختار من الجانب الآخر. ولكى يتم ما جاء فى الكتاب المقدس، لابد أن يخدم اليهود أو الشعب "الأكبر" المسيحيين، الشعب "الأصغر"، كما أن المسيحيين أو الشعب "الأصغر" لابد أن يقوى على اليهود. لأن الكتاب المقدس يعلن كيف أن اليهود تركوا الرب ليعبدوا الأوثان وبهذا فقدوا إختيار الله لهم، بينما ترك المسيحيون الأوثان ليخدموا الله فكسبوا إختياره لهم. هذا هو السبب أن الشعب الأصغر قوى على الأكبر.»

Corpus Christianorum, Series Latina 2. 1343, 11345

٢ ـ إن ناموس الله هو الناموس الطبيعى الذى يتم تطويعه ليناسب جميع الناس فى ظروفهم الخاصة، يقول ترتليان (الذى كان يعمل محامياً):

«نحن نعلم أن شريعة الله موجودة قبل موسى ... أولاً، بالحقيقة فى الفردوس، وبعد ذلك بين الأباء. وحتى بالنسبة لليهود فقد إكتملت فى أزمنة معينة. وأعلن الله شريعة أخرى للأمم تلت شريعة موسى، شريعة جديدة وأفضل وعد بها الأنبياء، وقد أوضح الله أن شريعة موسى أعطيت لوقت محدود وأنها لابد أن تخطو لوقت محدود، ونحن لايجب أن ننكر على الله هذه السلطة وهى إعادة تشكيله للشريعة طبقاً لإحتياجات كل عصر بما يناسب خلاصنا"

Corpus Chrinstianorun, Series Latina 2. 1343/1345

الكنيسة ترد على الوثنية :

حاول بعض فلاسفة المسيحيين تقريب وجهات النظر بين الفلسفة والإيمان. وقد رأينا كيف إستطاع إكليمندس وتلميذه أوريجانوس ـ وكلاهما من أعمدة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ـ إستخدام بعض المصطلحات الفلسفية لجذب الوثنيين إلى الكنيسة. ولكننا فيما يلى سوف نعرض لمحاولة أخرى: وهى محاولة المحتجّين من قادة الكنيسة، وأغلبهم من المحامين، فى الرد على إفتراءات الوثنيين على المسيحيين. ثم محاولتهم الهجومية لدحض خرافات الوثنية وديانتها الباطلة. ولايُخفى كيف خاطر هؤلاء المحتجّون بحياتهم فى

سبيل هذا العمل التعليمى الجليل، فكانوا معلمين ومعترفين يحملون فى قلوبهم روح الشهداء، وتجرى فى عروقهم دماؤهم.

وسوف نلاحظ فى الإقتباسات التى نوردها قوة الحجة، ورصانة العبارة، وعلو الحماسة، وكفاءة التعليم.

مما يجعلنا نتساءل فى حسرة: أتعود تلك الأيام؟ أتستطيع الكنيسة أن تخرج من حدودها الضيقة ، وأن تعلم أعداءها مرة ثانية؟ أو تدافع على الأقل عن أبنائها الذين يتألمون، وتحميهم من تيارات الأفكار الجارفة أو الديانات المتطرفة.

فى واحدة من أكثر *الفقرات* قوة فى هجوم علماء المسيحيين على الفلسفة غير الحقيقية نقرأ لترتليان هذه الكلمات من كتابه (ضد تعقيد الكلام) يرد فيها على السفسطة والجدل التى لاتقود إلى الحق:

«توقفوا عن إستعراض كلمات الآخرين، وتزيّن أنفسكم كالغراب الذى يتباهى بريش ليس له. فلو استردت كل مدينة ما إستعرتموه منها فلن يبق لكم شيئاً، تسألون من هو الله ولاتعرفون ما هو داخلكم، تقفزون إلى السموات وتقعون فى حفرة صغيرة، تشبه مكتبتكم المتاهة، ولكن قرّاؤكم كالغربان....

لماذا تكون كلماتى مرفوضة، إن كنتم أنتم على إستعداد تام لرفض كل شىء آخر؟ ألم تولدوا مثلنا؟ وتشتركون فى معيشة هذا العالم، لماذا تقولون أن الحكمة لكم وحدكم بينما تستمتعون بنفس الشمس ونفس النجوم كالآخرين، ولم يكن ميلادكم مميزاً أكثر، أو موتكم أفضل من باقى الناس، قد بدأ عدم التمييز لديكم مع مدرس المدرسة الإبتدائية، وبينما تقيمون حكمتكم الخاصة، وجَدتم تنفصلون عن *الحكمة الحقيقية*.

سميت مدارس الحكمة عندكم بأسماء الناس. أنتم لاتعرفون الله، لكنكم تحطمونا بعضكم بعضاً متحاربين فيما بينكم. ولذلك فأنتم لاشىء مطلقاً. أنتم تسرقون كلمات بعضكم، وتتجادلون كرجل أعمى مع آخر أصم ...

وعندما وجدنا أنكم أناس من هذا النوع، تركناكم، فنحن لم نعد مهتمين بأدبكم لكننا نتبع كلمة الله » .

Texte und untersuchungen 27.

ونقتبس من رد أوريجانوس ضد كلوس الآتي : «وأشياء أخرى كثيرة يمكن أن توجد في موسى والأنبياء، وهم أقدم ليس فقط من أفلاطون بل هوميروس أيضاً وأقدم حتى من إختراع الكتابة في اليونان،إن كتاباتنا تستحق نعمة الله وهي مليئة،تحمل الفكر المتسع، فلم يستعر كتّابنا من أفلاطون ـ كما يعتقد كلسس ـ كيف يمكنهم أن يتأثروا بشخص لم يوجد بعد؟ ... والآن يقتبس كلسس عبارة أخرى لأفلاطون عن أن "الإستنارة تأتي لأولئك الذين يستعملون طريقته الإستقرائية بالسؤال والجواب" حسناً، الآن دعونا نثبت من الأسفار المقدسة كيف تحثنا كلمة الله على إستعمال الجدل: فقد قال سليمان في موضع "حافظ التعليم هو في طريق الحياة ورافض التأديب ضال." أم١٠:١٧ *(وقد ترجمها أوريجانوس كالآتي: "التعليم بدون عملية طرح الأسئلة لايجدي نفعاً)* حكمة ١٨:٢١ "معرفة الجاهل لاتفحص القول ».

Sources Chrétiennes 147. 222.

Sources Chrétiennes 147.192.

وكذلك يقول تاتيان

«عندما وجدت نفسي وحيداً، كنت أتساءل كيف يمكنني إكتشاف الحقيقة وبينما كنت أبحث بإجتهاد، حدث أنني عثرت على بعض الكتابات البربرية (الكتاب المقدس) وهو أقدم من تعاليم اليونان وأقدس من أن يشاركهم أخطاءهم. وقد أمنت بها نتيجة لبساطة لغتها وعدم تكلف كتّابها، وللسرد المؤثر لأحداث الخليقة، والتنبؤ لأحداث مستقبلة، والوصايا التي تفوق العادة، وشهادتهم بأن كل الأشياء هي تحت حكم إله واحد. ولأن روحي تعلمت من الله، فقد فهمت أن أدب اليونان يقود إلى الدينونة، بينما كتابات المسيحيين تحرر العالم من العبودية».

Texte und untersuchungen 29.

ولعل في الدفاع التالي فصولا رائعة تبين قوة الآباء في الإقناع بصدق المسيحية، يقول ترتليان:

«سوف أصف بنفسي الآن أنشطة الطائفة المسيحية حتى،كما إستطعت أن أنفي الإتهامات الباطلة التي قيلت عنا، أستطيع

كذلك أن أثبت القول الصحيح عنها وأن أكشف الحقيقة.

نحن جماعة مترابطة بفهم للدين، ووحدة القانون وبرجاء مشترك، لقد جئنا إلى الله مجتمعين كمجموعة متحدة من المتآمرين لأن الله يحب هذا النوع من العنف. نحن نصلي من أجل الأباطرة والوزراء والحكام، من أجل إستقرار العالم وحياة هادئة، حتى لاتأتي النهاية بسرعة.

نحن نجتمع لنتأمل الكتابات المقدسة، إذا كانت الأحداث الجارية تحتاج إلى تفسير أو إلى إنذار بالكلمات المقدسة ، فنحن ننعش الإيمان، ونثبت الرجاء،ونرسي الثقة، وبطريقة مماثلة نقوّم السلوك بغرس تعاليمنا في الأذهان، وهكذا نثبّت التلاميذ.

وأنك لتجد في إجتماعاتنا النصح والتحذير والعقاب والحكم العادل، فالعدالة عندنا أمر جد خطير، إذ نعلم تماماً كيف يرى الله الكل. وأن أحكامنا سابقة تُنبيء بقوة بمجيء الدينونة الآتية، فقد نحكم مثلاً علي شخص ما، بسبب الخطيئة، بالعزل من وسطنا، وعدم مشاركتنا الحديث أو حضور إجتماعاتنا أو أية إحتفالات مقدسة.»

Corpus Christianonum, Series Latina 1. 137_1.150

«ويترأس الجماعة شيوخ، معتبرون يكتسبون مكانتهم ليس بالمال بل بحياتهم المشهود لها. إن أمور الله لاتباع، وإن كان لدينا صندوقاً لكنه لايملأ بالرسوم الجبرية كأننا نشتري ديانتنا. ولكن كل واحد يساهم مساهمة صغيرة في يوم محدد من الشهر، أو حينما يريد، وفقا لما يريد وعندما يكون قادراً، فليس هناك شخص مجبر، بل يُعطى كلٌ حسب إختياره، وتمثل هذه العطايا "الإعتمادات" التي تنفق في التقوى. ولعله يهمكم أن تعلموا أننا لا ننفق هذه الأموال في إحتفالات يسودها التبذير أو حفلات الشرب أو متعة الشرهة، ولكنها تذهب لإطعام الفقراء، لدفنهم، للأولاد والبنات اللذين حرموا من الوالدين والممتلكات، للخدم الذين شاخوا على العمل، لعاملي السفن، أولئك الذين بسبب إيمانهم أصبحوا معتمدين على كنيسة الله. لكن أعمال الحب الفائقة هذه في نظر البعض تعتبر سلاح ضدنا فهم يقولون (أنظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً) لأنهم هم يكرهون بعضهم البعض. فكيف تجدهم

مستعدين للموت من أجل أقرانهم! - أما هم فإنهم مستعدون للقتل. إنهم يغضبون بشدة عندما يسمعون كيف يطلق علينا لقب "إخوة" لا لسبب، في إعتقادي، سوى ظنهم أن تعبير القرابة يُخفي محبة زائفة. إننا إخوة لكم أيضاً حيث أن الطبيعة أمنا كلنا، بينما أنتم، كأخوة أردياء، لستم رجال على الإطلاق.

فكم بالحري يليق بالذين يعتبرون الله أبا لهم أن يدعوا إخوة، الذين يستقون من روح القداسة الواحد (١كو١٢:١٣) الذين خرجوا بوقار من أحشاء الجهل الواحد لنور الإيمان المشترك. لعلهم يظنون أننا غير أهل للشريعة لأن أُخُوّتنا ليست مادية بدرجة صارخة، أو لكوننا إخوة عن طريق مشاركتنا الممتلكات التي عادة ما تدمر - كما هو الحال عندكم - العلاقات الأخوية. فنحن اللذين نشترك في قلب واحد ونفس واحدة لانتردد في الإشتراك في الماديات. فلدينا كل شيء مشترك،عدا زوجاتنا. نحن نمنع مبدأ "مشاركة المقتنيات" (في الزواج) في نفس المكان بالضبط الذي يمارسه الآخرون، فهم ليس فقط يسرقون حقوق الزواج من أصدقائهم، بل بنفس الندية يقدمون لهم زوجاتهم» .

وليمة المحبة المسيحية :

يرد ترتليان على إتهام المسيحيين بالشراهية والإنحراف قائلاً:

«وما العجب إذن إن كان حب كهذا يولون له الولائم. أن مائدتنا البسيطة تهاجَم، ليس فقط بشائعات الجريمة ولكن أيضاً بالمغالاة. إن "وليمتنا" تفصح عن هويتها من إسمها أنه الحب الذى عرفه اليونانيون بإسم "العاطفة الراقية". ومهما كانت التكلفة، إنه يعد ربحاً أن ننفق فى التقوى حيث نطعم الفقراء والجائعين بهذه الوجبات.

فإن كان لموائدنا هدف نبيل فيمكنكم أن تحكموا على باقى ممارستنا من هدفها أيضاً ، فلا تَسمح الممارسات الدينية بوضع الفائدة الشخصية فى الإعتبار، كما لاتسمح بأى شخص غير نقى. فلا يأتى أحد إلى المائدة دون أن يتذوق الصلاة لله، ونحن نأكل حتى نشبع ونشرب شراباً معتدلاً. نحن نحتفل بولائمنا كما يليق لهؤلاء اللذين يتذكرون أنهم يجب عليهم التعبد لله طوال الليل. ونتحاور كأناس يعلمون أن الله يسمعهم. وبعد أن نغسل أيدينا وتضاء الأنوار، يُدعى الجميع للتقدم للترنيم لله سواء

بشيء من الكتاب المقدس أو من إنشائه الشخصي حسب مقدرته - وهذا مؤشر على أي قدر من الشراب إحتسى! وكما بدأ الإحتفال هكذا ينتهي بالصلاة، عندئذ ينصرف الجميع. لاينضمون لجماعات قطاع الطرق أو المتشردين، أو لممارسة الشهوة، بل لممارسة التعقل والإحتشام، وكأنهم أناس لم يستمتعوا بوليمة بل بتدريب في الإنضباط.

فيجب إعتبار هذا الإجتماع الذي للمسيحيين غير شرعي، إن كان له أي جانب غير شرعي، ويجب إدانته إن كان ممثلاً للأشياء التي تستوجب الدينونة أو أن إستطاع أحد أن يتهمه بصفات الجماعات ذات الخطورة السياسية. فهل إجتمعنا ولو مرة لندبر مؤامرة ضد أحد؟ فمتى إجتمعنا ومتى إفترقنا كجماعة أو كأشخاص فنحن لا نؤذي أحداً أونسيء إلى أحد. فحين يجتمع المستقيم والبار، حين يلتقي الطاهر والنقي فليس عندكم ما يُسمى حزب بل مجلس للشيوخ»

Corpus Christianorun, Series Latina 1:150

تتبع معي، عزيزي القارئ، ملامح القوة في الرد الذي إستخدمه ترتليان حتى جعل الدفاع عن المسيحية يصل إلى حد الهجوم على الشر والوثنية.

«إنكم تقولون مجنون من يأمل في قيامة الله وهو يتألم من أجل الله. فتقدموا أيها القادة الأفاضل! سوف يحبكم الناس أكثر إن ضحيتم بالمسيحيين من أجلهم. عذبونا، مددونا على *الهنبازين*، أحكموا علينا، إقنونا! فإن ظلمكم دليل براءتنا. فإن الله يجعلنا نحتمل هذه الآلام لهذا السبب ... وحتى قوتكم مهما أتقنت فلن تفيد قضيتكم شيئاً. بل على العكس فهي تغري الناس للإنضمام إلى جماعتنا. إن أعدادنا تزيد بكثرة كلما قهرتمونا وكلما حصدتمونا. فدماء *المسيحيين بذار الإيمان! إننا نشكركم* على قضائكم أن هناك توازن بين أمور الله وأمور البشر فعندما تحكمون بدينونتنا فالله يسامحنا ! »

Corpus Christianorun, Series Latina 1:171

نظرة كتابية :

١ ـ حلل عظة إستفانوس أع (٧) من حيث: مواطن القوة والتأثير فيها، وطرق الإقناع التى إستخدمها الشهيد، والأسلوب الأدبى المميز لها، ثم علق على تأثيرها على السامعين وخاصة شاول الطرسوسى، بالمقارنة مع الآية (أع ٢٢: ٢٠)

٢ ـ هل يحتاج الكتاب المقدس إلى دفاع أم هو يدافع عن نفسه؟ إستعن بالآيات.

(مت ١٠: ١٩ـ ٢٠)

(لو ٢١: ١٥)

تداريب:

١ – إستخرج مواطن القوة فى دفاع تيرتليان عن المسيحية.

٢ – ما هى العناصر الموجودة فى الإيمان المسيحى وفى الشريعة المسيحية، التى لو طبقت على مجتمعنا الحالى لأصلحت من حاله؟

٣ ـ أى هذه العناصر موجودة فقط فى الديانة المسيحية ؟

٤ ـ يرى بعض العلماء مثل مايكل جرين فى كتابه Evangelism in the Early Church 1989 أن لهجة الدفاع عن المسيحية لهجة تمتاز بالهجوم بل وبالعنف، وأن المدافعين كتبوا دفاعاتهم للأباطرة والوثنيين، ولكنه يشك أن أحد الوثنيين قد قرأها أو تغير إلى المسيحية بسببها.

ويقترح جرين أن هذه الكتابات موجَّهة أساساً لتشجيع المسيحيين على تحمل الهجمات ومقاومة الضغوط التى توجّه إليهم والنقد اللاذع الساخر الذى يواجهونه.

فلو كانت هذه الكتابات قد كتبت للوثنيين لجاءت أكثر رقة فى محاولة لكسب الأعداء .

هل تعتقد أن رأى جرين صحيح؟ ولماذا؟

٥ ـ تدريب كتابى: يصلح للمجموعات العمل (٤ مجموعات) أو للدراسة الفردية: إستخرج الشواهد والمواقف الكتابية التى تثبت بها صحة رأى رولاند ألن فى تحليله لعوامل نجاح الكرازة عند بولس الرسول (أنظر ص٨١) «خصائص الوعظ البولسى».

الفصل الخامس
التعليم بالتأمل
المسيحية والفلسفة

فهرس تحليلي

– إعتبر المسيحيون الأوائل ديانتهم سماوية ليس لها علاقة بعلوم العالم وفلسفاته .

– ولكن مع ذلك فقد إستخدم بعضهم الفلسفة لنشر الإيمان،مكتشفين بعض الحق في فلسفات معينة (وخاصة الأفلاطونية).

– كان لإكليمندس وأوريجانوس دراية فلسفية عالية،ولكنهم إعتقدوا أن المسيحية فوق الفلسفة.

– أما أغسطينوس فأتى لنا بنظرية شيقة متكاملة عن المعرفة المرتبطة بالإيمان والنابعة منه.

ولكن المعرفة عنده لاتكفي، إذ يجب أن تصاحبها الخبرة الباطنية.

الفصل الخامس
التعليم بالتأمل
المسيحية والفلسفة

فكر معنا

كلمة فلسفة تأتى من شقين :

فيلو = محبة

صوفيا = الحكمة.

فهى إذن البحث عن الحقيقة أو حب الحقيقة والسلوك بها، لأن السلوك بالحق يعتبر حكمة.

لماذا يعتقد بعض الناس أن الفلسفة أصعب من أن يتناولها رجل الشارع؟

ما هى العلاقة بين الفلسفة والإيمان؟

كيف نعرف الله ؟ بالعقل ؟

أم بالقلب؟ أم بالإعلان ؟

الفلسفة سلاح ذو حدين، فهى تساعد المرء على التفكير، ولكنها لاتجعله يتجاوز ذاته إلى الإلهام والإيمان بالوحى.

وهى قد تنير، ولكنها أيضاً تطرح الشكوك، هى تخلصنا من السطحية، ولكنها قد تسبب وقوعنا فى التعقيد.

وقد وجد الآباء أنفسهم يتحركون فى إطار فلسفىّ مؤثر، لايمكن تجاهله، ولايمكن قبوله كله كما هو. فخرجوا لنا بحلول عبقرية للمناداة بالإيمان، مع عدم إلغاء العقل. وسنعرض فى هذا الفصل لدور كل من : أكليمندس الإسكندرى وأريجانوس وأوغسطينوس فى مصالحة الفلسفة مع الإيمان، والعقل مع الروح، أثينا مع أورشليم.

١ - الحوار مع الفلاسفة

مدرسة الإسكندرية اللاهوتية

رغم بعض التحفظات تجاه دراسة الفلسفة التى نبه إليها أوريجانوس وترتليان إذ أشار الأخير أنه «**لاشركة للمسيحية مع**

الفلسفة ، لأورشليم مع أثينا »، وبالرغم من هذا فانه يتضح أن كثير من آباء الكنيسة قد درسوا الفلسفة والعلوم الدنيوية بجانب أو قبل دراستهم لعلم اللاهوت.

وقد أدرك هؤلاء الآباء أنه قبل أن يصير الإنسان مسيحياً يجب أن يكون إنساناً، فالثقافة إذاً مطلب أساسى.

وكان بعض الآباء يستخدم المنهج الفلسفى فى إيضاح أفكاره وفى الرد على الهراطقة دون أن تؤثر الفلسفة على منابع أفكاره. فكان الكتاب المقدس والتقليد الرسولى هما الأساس الصلب اللذان يعتمد عليهما الآباء، أما القالب اللفظى والشكل الخارجى فيمكنه أن يتأثر بالفلسفة، فتأثر أوريجانوس وأغسطينوس وغيرهما كثير من الآباء بالأفلاطونية، كما مارس يوحنا ذهبى الفم فن الخطابة، وإحتوت تفسيرات ومصطلحات باسيليوس الكبير على عناصر مستقاة من أرسطو، وجاء منهج توما الاكوينى أكثر إعتماداً على أرسطو، الذى إقتبس منه بلاحرج.

وفى مدرسة الإسكندرية كان أوريجانوس يدرّس بنفسه منهجاً مكوناً من قسمين :

قسم يقوم بتدريس العلوم والخطابة وقسم آخر يُعنى فيه بتدريس اللاهوت وبالأخص الكتاب المقدس. وبالرغم من مشغوليته الشديدة فإنه كان يجد لنفسه وقتاً ليحضر محاضرات (أمونيوس السقاق) الفيلسوف الإسكندرى الشهير مؤسس الأفلاطونية المحدثة ومُعلم أفلوطين.

فإن كان هؤلاء الآباء العظام قد إستخدموا الفلسفة كوسيلة لتعليم الإيمان، فإن هذا يشجعنا على إستخدام العلوم والطرق الحديثة فى التدريس.

وقد اقتبس المسيحيون الأوائل من العالم الوثنى الشكل الخارجى لنشاطهم التعليمى المبكر، فكان الوثنيون والهراطقة ينشئون لأنفسهم مدارس خاصة حيث يتجمع حولهم التلاميذ

لإقتناء العلم. ولم يجد مفكرو المسيحية الأول غضاضة في تقليد نفس الشكل التعليمي.

بدأت مدرسة الإسكندرية بجهود معلم يدعى بنتينوس، وقد دفعته الغيرة على الكرازة وجذب التلاميذ إلى التدريس دون أن يُعيَّن من الكنيسة لهذا العمل. وبالمثل فقد كان يوستينوس وتاتيان يدرّسون في روما، وكانت الكنيسة ترحب بهذا العمل ولاتضيّق على المعلم إلا إذا كان هرطوقياً.

والملاحظة التي تهمنا هنا أن هؤلاء العلماء أو الأساتذة كانوا علمانيين وقد كانت مدرستهم تسير في خط موازٍ للنظام الكنسي الهرمي، دون أن تدخل فيه مباشرة.

وقد اهتمت مدرسة الإسكندرية منذ نشأتها بما يسمى بالدفاع عن المسيحية. ويقصد به إظهار ما في المسيحية من مواطن القوة، والرد على الهجوم الوثني أو الفلسفي على عقائدها.

وكان المعلم التالي لبتينوس في رئاسة مدرسة الإسكندرية هو إكليمندس، الذي درّس الفلسفة وحاول تقديم المسيحية في صورة مقبولة للوثنيين دون الحيود عن المبادىء الأرثوذكسية.

ورأى إكليمندس أن المعرفة الحقيقية ليست في الفلسفة بل في المسيحية، فالمسيحي هو العارف (الغنوصي). ولكن هذه المعرفة بالله لاتأتي إلا عن طريق المسيح، الذي هو النموذج الأعلى للمسيحي والمعلم الأول للنفس.

وقد وضع إكليمندس كتابين في هذا الصدد أولهما كتاب (مواعظ لليونانيين) وقد جعل من الكلمة مصدراً للمعرفة ووسيطاً بين الله والعقل البشري. أما الثاني (المربي) ففيه نجد أن الكلمة يدرب الأطفال في الإيمان، ويعلم الكاملين بالمَثل الأعلى النابع من شخصه المبارك وقدوته الإلهية. هذا التعليم النابع من الكلمة الإلهي في نظر

إكليمندس يعتبر ليس أقل من دواء للخلود ونور لعدم الفساد. لهذا فإن كتاب المربى يعتبر كتاباً خرستولوچياً (أى خاص بشخص المسيح) وليس كتاباً تربوياً بالتعريف الحديث.

نادى إكليمندس أن الحق موجود ومتاح لكل عقل وقلب مُخلص. فالله، يتكلم فى كتب الشعوب، وغير المؤمنين لديهم الضمير الذى يرشدهم إلى الله، وما هم إلا فى درجة واحدة أقل من المؤمنين، فهم على عتبة الإيمان، ولعل الله قد أرشد أفلاطون إلى بعض الحق.

يقول إكليمندس الاسكندرى مبيناً أن الله ليس بعيداً عن باقى الشعوب غير اليهودية:

«إننى أبحث عن الله، ليس عن أعمال الله. فمن من الناس إذن يمكننى أن أتخذه معيناً لى فى بحثى؟ لأننى لم أيأس بعد تماماً منك يا أفلاطون، .... والآن، تسرع الفلسفة فى إعطائنا ليس فقط الأفلاطون، لكن آخرون كثيرون ممن يتباهون بالوحى الإلهى – لأنهم توصلوا إلى حد ما إلى الحقيقة – أن الله فى الحقيقة واحد، وحتى الأشعار التى تبتعد تماماً عن الحقيقة قد تحوى بعض الكلام عن إله الحقيقة الوحيد.

لأنه إذا كان اليونانيون قد إستقبلوا بصفة عامة بعض شرارات من الحكمة الإلهية، وهكذا أعلنوا بعض الأجزاء الصغيرة من الحقيقة، فإنهم يشهدون بأن قوة الحقيقة مختبئة بعيداً، فى نفس الوقت هم أنفسهم يقتنعون بضعفهم الشخصى وأنهم لم يصلوا إلى النهاية.» Loeb Classical Library 152, 158, 166.

وتلى إكليمندس فى رئاسته لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية العلامة أوريجانوس، وقد طلب منه البابا ديمتريوس الكرام القيام بتدريس الموعوظين. ويقول يوسابيوس القيصرى أن أوريجانوس عين من قبل البابا ديمتريوس وهو فى الثامنة عشر. ولكن أغلب الظن أنه كان يقوم بالتدريس كمعلم فى *المدرسة اللاهوتية الخاصة* فترة من الزمن منذ بلوغه الثامنة عشر، ثم عهد إليه تدريس الموعوظين بعد ذلك،

وقد ترك أوريجانوس تدريس النحو والبلاغة، وكرس حياته لتدريس اللاهوت والفلسفة وشرح الكتاب المقدس. وكان منهجه التفسيرى للكتاب متميزاً، فقد دارت تأملاته حول المعانى الرمزية للكتاب وليس حول المعنى المباشر. وهكذا كانت المدرسة اللاهوتية فى أوج عظمتها أيام العلامة أوريجانوس، إذ كانت تقدم علوم الكنيسة فى قالب فلسفى مقنع، وتشرح الكتاب شرحاً تأملياً متميزاً بدرجة عالية من الأصالة والروحانية والإتساع.

وتضطر بعض الخلافات الكنسية أوريجانوس إلى الإستقرار عشرين عاماً فى قيصرية فلسطين، وهناك يؤسس مدرسة لاهوتية جديدة على غرار المدرسة الأولى لتدريس المتقدمين فى الفلسفة المسيحية، ولكن هذه المرة بموافقة وتشجيع أساقفة فلسطين، الذين كانوا يدعونه للتعليم وقت القداس، فوصل صوته إلى الكنيسة كلها.

وإستمرت مدرسة الإسكندرية بعد سفر أوريجانوس، ولكنها لم تعد تفدو أن تكون سوى مدرسة للموعوظين، لتدريبهم على مبادىء الإيمان قبل العماد.

نظرية المعرفة عند القديس أوغسطينوس

وفى أفريقيا أنجبت الكنيسة عبقرية أخرى فى عصرها الذهبى هى شخصية القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠) وله تراثه الروحى والأدبى الغزير، فلا يقل إنتاج القديس أوغسطينوس الأدبى والروحى عن ٨٠٠ عظة، وبالرغم من هذا فنحن لانجد نظرية تربوية متكاملة فى كتاباته. ويستثنى من هذا ما قاله عن أصل النفس، وما كتبه عن طرق المعرفة عند الإنسان.

جاءت نظرية أوغسطينوس فى المعرفة نتيجة رحلته الروحية من الشك

والخطيئة إلى الإيمان، وقد اعتنق أولاً المانوية ثم الأفلاطونية، قبل تحوله القوى إلى المسيحية. وأثناء دراساته الفلسفية قبل تجديده، تعرض *للشكاك ولفلسفتهم* القديمة، التى سبقت بقرون الشك الديكارتى الحديث. وكانت تسمى مدرسة الشك المنهجي، وكان الشكّاك يقولون أن الحواس تخدعنا وأننا لايمكن أن نكون على يقين من أى شيء نراه أو نفكر فيه.

١ - المعرفة والشك

وكانت هذه الفكرة تجذب أوغسطينوس إلى حين، إلى أن اعتنق المسيحية فرد عليها في بداية حياته الدينية، حين كتب مقالا ضد الشك المنهجي Against the Academics

وقد جاء رد أوغسطينوس عليهم حاسماً، وكان بهذا سابقاً على ديكارت الذى وصل من الشك إلى اليقين، على *أساس أنه كلما زاد شكنا كلما أثبتت* عملية الشك هذه وجودنا.

وقال أوغسطينوس أن الشكّاك ليسوا على حق لسببين :

أ - إنه وإن كان ما ندركه بالحواس خدعة appearance فعلى الأقل فنحن على يقين من أننا ندرك شيئاً ما - والأكثر من هذا أن الفكر والإستنتاج الرياضي يمكن تطبيقه وبناؤه على الأمور ذاتها التى تبدو وكأنها وهمية appearancers.

ب - «إن لم تفهم ما أقول، وشككت فيه، فانظر إذن إن كنت فى شك أنك تشك» بمعنى أنه إن شككنا فى كل شيء، فلنشك فى شكنا، إنه ليس على صواب، فالمعرفة إذن ممكنة.

ولم يكتف أوغسطينوس بالرد على الذين ينكرون إمكانية المعرفة، إنما كان لزاماً عليه شرح كيف نقتنى تلك المعرفة.

ولم تكن الإجابة على مثل هذه الأسئلة سهلة، حتى على الفيلسوف القديس، وذلك لأنه لم يكن يبحث عن

فهم كيفية المعرفة بمعناها العلمى (Scientia باللاتينية أو Science بالإنجليزية) وهى معرفة الأشياء الحسية الوقتية. بل بالأحرى المعرفة بالأمور الأبدية الباقية (Sapientia باللاتينية) مما يعطى البحث صعوبة خاصة.

أو من قراءة أوغسطينوس لأفلاطون كان أوغسطينوس مثله يقبل فكرة وجود عالم فوقى فيه المُثل أو الحقائق الأزلية Eternal Ideas والفارق الوحيد هو أن أفلاطون قد جعل هذه الحقائق أو القيم موجودة أعلى من الخالق نفسه – أما أوغسطينوس فيقول أن المثل والحقائق Ideas موجود فى فكر الله منذ الأزل.

وهنا ينشأ السؤال الذى يهمنا، وهو : كيف يمكن لهذه الحقائق أن تصل إلينا – وكيف يمكن تكوين معرفة بشرية بالحقائق الأزلية؟

الحل عند أفلاطون هو أن النفوس نفسها كانت موجودة فى العالم المثالى، ثم سقطت وحُبست فى أجساد، فهى إذن تعرف الحقيقة التى كانت تراها وهى فى عالم المُثل، ويكفى أن تتذكرها، كما ذكرنا فى الفصل الأول.

ولكن أوغسطينوس لم يقبل أساساً فكرة الوجود السابق للنفس (والتى وافق عليها أوريجانوس، فعدّلت الكنيسة تعاليمه بهذا الخصوص). وقاده هذا إلى البحث عن شرح آخر لطريقة المعرفة البشرية.

فى بداية كتابات أوغسطينوس، ذهب إلى أن المعرفة هبة موروثة داخل النفس، تعتبر إحدى العطايا الإلهية التى وضعت فيها يوم خَلقِه، ولكن بعد تفكير أعمق وصل أوغسطينوس إلى نظرية أكثر شمولاً عن المعرفة البشرية، مؤداها أن العقل البشرى وإن كان غير قادر على معرفة الحقائق الأزلية بقوته الذاتية، ولاحتى باللجوء للحواس، فإنه يقدر أن يرى تلك الحقائق بإلهام وإستنارة مباشرة تأتيه من الله. وهذه الإستنارة حدثت بوساطة من الإبن

(الكلمة) الذى أوضح للعقل البشرى تلك الأفكار Ideas التى كانت موجودة عند الله منذ الأزل.

يقول القديس أوغسطينوس :

«ومن ثم فإن ذلك الفيلسوف رفيع الشأن أفلاطون قد اجتهد ليقنعنا أن نفوس البشر وجدت حتى قبل أن تلبس هذه الأجساد، وأنه بالتالى فإن الأشياء التى نتعلمها هى أساساً أشياء نتذكرها، وكأنها كانت معروفة سابقاً، وليست معرفتها قد إكتُسبت كشىء جديد ..... ولكننا يجب بالأحرى أن نؤمن أن العقل فى طبيعته قد كوّن بطريقه تجعله يرى تلك الأشياء ، التى بتدبير الخالق قد ألحق بها بطريقة طبيعية، نوع فريد من النور غير المادى. وذلك كما أن عين الجسد ترى الأشياء القريبة منها بالنور المادى الذى نراه بها، وبواسطة هذا الضوء جعلت تلك الأشياء بحيث يمكن رؤيتها وإستيعابها.» (التثليث ١٢:١٥:٢٤).

٢ - المعرفة والإيمان :

١- الإيمان يسبق المعرفة

يتحدث أوغسطينوس فى نظريته المعرفية عن دور الإيمان ودور العقل، ودور الإرادة،ودور المسيح كوسيط وأخيراً عن الرؤيا الطوباوية.

لانستطيع أن نتكلم عن نظرية القديس أوغسطينوس فى المعرفة دون أن نتطرق إلى نظرية أشتهر بها تعتبر إحدى إضافاته إلى اللاهوت المعرفى Christian Epstemology وتتلخص فى عبارته اللاتينية التى تترجم (أتعقل لكى أؤمن، وأؤمن لكى أتعقل) Intellege ut credas, crede ut intellegas قد يكون مسموحاً للعقل أن يفحص بعض الأدلة التى تثبت صحة الركيزة التى يبنى عليها الإيمان، ولكن الأخذ بشهادة الشهود يبقى العمل الأهم فى طريق الإيمان.

فالإيمان هو العمل الأساسى للمعرفة. ولعل فى هذا صعوبة لأن أوغسطينوس يريدنا أن نؤمن بالشىء

الذى يريد أن يثبته بعد ذلك. ولكنه يصمم على أن الإيمان يسبق المعرفة ويمهد إليها. وفى رأينا أن هذا صحيح لأن الإيمان موقف شخصى، فإن أتيت بعشرات الأدلة للملحد قد وطد عزمه على الإلحاد فما أنت بمستفيد.

يرى أوغسطينوس أننا نقوم بعملية التصديق دائماً حتى وإن لم نرى بأنفسنا ما سمعناه، فنحن نؤمن بشهادة الشهود. فالإيمان إذاً عملية عقلية تلقائية ليست غريبة عن سلوكنا اليومى، والفرق الوحيد بين الرؤيا والإيمان أننا فى الرؤيا نصدق حواسنا بينما فى الإيمان نصدق روايات الشهود. وهناك إذاً نوعان من المعرفة: معرفة الأمور المرئية، والإيمان الذى يختص بالأمور غير المرئية.

نحن نصدق وجود قارات لم نراها ونعتقد بوجود أشخاص أخبرنا عنهم التاريخ دون أن نشك فى ذلك، ولايطلب الطفل دليلاً على بنوته لأبوه أو أمه لكى يؤمن بهما ويحبهما على حد تعبير القديس أوغسطينوس، فإن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أصدق، فالإيمان إذاً يسبق المعرفة ويعتبر شرطاً أساسياً لها. «إن لم تؤمنوا لن تفهموا» أش ٩:٧ حسب الترجمة الإنجليزية، «إن لم تصدقوا فلن تثبتوا» (ترجمة دار النشر الكاثوليكية)، وهى غير واضحة فى الطبعة البيروتية حيث وردت «إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا».

والعقل الساقط الذى يفكر به الإنسان وهو فى حالة الخطيئة غير قادر بمفرده فى نظر القديس أوغسطينوس على الوصول إلى الحقائق الأبدية. إنما يحتاج الإنسان إلى إستنارة تأتيه من فوق لكى يعلم الأمور السماوية. فالإيمان إذاً ينير العقل، والعقل، بمساعدة الإيمان، يستطيع أن يصل إلى الكثير من الحقائق الإلهية «إطلبوا تجدوا» (مت٧:٧).

ألم يعلّم أفلاطون نفسه بأن الإله الأعلى الذى يرشد عقول الحكماء غير موصوف أو منطوق به Ineffeble؟

ويرى أوغسطينوس إن حتى أفلاطون كان يعلم أن النور العلوى الذى يضيء عقل الإنسان هو الله – الله الإبن – وأن الكلمة يضيء لكل إنسان آت إلى العالم. وهو تعليم وصل إلى عتبته أفلاطون، ولكن المسيحية هى التى أجلت غوامضه. فالعقل إذاً لم يُعدم حتى بعد السقوط من نور سماوى يضيء ظلمته. والفلاسفة الوثنيون الذين إقتربوا من الحقيقة دليل على ذلك. لكن هذا العقل الساقط يحتاج إلى نعمة خاصة لكى يرتفع بها إلى المعرفة السماوية وهذه النعمة قد أتى بها المسيح الذى هو إبن لأبيه «مملوء نعمة وحقاً».

ب - المعرفة ودور العقل

وبعد الإيمان يحق للعقل أن يضع الأسئلة التى، وإن لم تمكنه أن يرقى إلى معرفة الحقائق الإلهية تماماً، لكنها نافعة لكى يستوضح تلك الحقائق ويلاحظ ما فى الإعلانات الإلهية من صدق وإتساق. فالعقل يغوص فيها ليعرف إن أمكن منابعها وأصولها.

وهكذا يأتى دور الفلسفة فى إطار الإيمان. فالقديس أوغسطينوس لاهوتى أخضع الفلسفة للإيمان والإعلان الكتابى، فلا عجب إن نجده يمتدح الفلسفة ليستوضح (وكذلك ليشرح بها) بعض أسرار الديانة كالتثليث على سبيل المثال.

جـ - دور الإرادة

رأينا كيف إن الإيمان يسبق العقل، وكيف يعمق الفعل الخبرة الإيمانية، ولكن نظرية أوغسطينوس فى المعرفة لاتنتهى عند ذلك. فالإيمان لاينير فقط العقل ولكنه يطهر أيضاً القلب. ونحن نحتاج إلى القلب النقى لكى نعرف به الله «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» متى ٥ : ٨. فالإيمان الذى يتحدث عنه أوغسطينوس ليس إيماناً نظرياً بل إيمان عملى، مرتبط بالخضوع الحى لوصايا الله.

وهنا يأتى دور الإرادة فنحن لانفهم الأشياء التى لانريد أن نفهمها.

فإن حدتنا الرغبة فى الفهم، وإرتبطت إرادتنا بنشاطنا الفكرى، فنحن نفهم. ونحن لانفهم ما لانحبه، فلا نتعمقه ولانتذوقه.

وفى هذا الإرتباط بين الإيمان والإرادة عند القديس أوغسطينوس إشارة واضحة إلى أهمية المحبة العملية، التى تنقى القلب، وتجعل عقل الإنسان مفتوحاً إلى المعرفة الإلهية. والرغبة العملية فى تنفيذ متطلبات الإيمان والإمتثال لمقتضياته. ولاشك إن الخطيئة الأصلية قد أضاعت جزءاً من هذه الرغبة المقدسة أو الشهية، ولكنها لم تُفقد تماماً. فالإيمان إذاً «العامل بالمحبة» (غلاه:٦) هو الطريق الوحيد لمعرفة الله. وهذا يوضح إن الإيمان ليس هدفاً أو غاية فى حد ذاته وإنما هو وسيلة لمعرفة أكثر عمقاً بالله.

ء - دور المسيح كوسيط

الإيمان وحده لايكفى لرفع العقل إلى الله، فإيمان الهرطقة مثلاً غير مجدٍ، لأنهم لايؤمنوا بالمسيح الذى هو الواسطة بين الله والإنسان. فالمسيح فى أبيه كما أنه فينا. وبالإيمان العامل بالمحبة، لانؤمن فقط بالآب والإبن، بل نعرف الآب والإبن، بنعمة المسيح. فالمسيح إذاً يوصلنا إلى معرفة الآب ومحبته. وهو يقول « هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت أيها الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ٣:١٧). ونلاحظ أنه يقول (يعرفوك) وليس فقط يؤمنوا بك، فالمعرفة هنا هى مقدمة لتلك المعرفة التى تمتد إلى الأبد فى الدهر الآتى.

هـ - الرؤيا الطوباوية

رأينا كيف يعاين أنقياء القلب الله حسب نظرية أوغسطينوس، وكيف يقود الإيمان العامل بالمحبة إلى معرفة أعمق بالله. والحب ينزع إلى الإتحاد، وحين يقول الكتاب (عرف) آدم إمرأته، فإنه يتكلم عن الإتحاد الزيجى. وهنا يفسح الإيمان المجال لما هو أعلى من المعرفة العقلية، ألا وهى الرؤيا الطوباوية، التى تعتبر الخطوة النهائية فى طريق رؤيتنا لله وجهاً لوجه فى الأبدية السعيدة.

والخلاصة إن نظرية أوغسطينوس في المعرفة فريدة من نوعها، ومتكاملة، وهي ليست لاهوتية في بعض أجزائها وفلسفية في جزء ثان وعملية في جزء ثالث ، لأن كل هذه الملكات مطلوبة لكي نعرف الله، فنؤمن به، ونعرفه، ونطيعه، ونحبه، على حد تعبير القديس أوغسطينوس:

«وهذا ما سنفعله في النهاية، سنعرف ونحب بلا نهاية»

نظرة كتابية

١ – قارن بين النظرية الفلسفية والنظرية المسيحية في المعرفة حسب قول يوحنا «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧:٣)

٢ – «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو١٤:٦)

– هل يوجد طريق فلسفي لمعرفة الله؟

– ما هو دور الفلسفة في المعرفة؟

٣ – «المعرفة عند بولس الرسول تبدأ من الله الذي أحبنا وعرفنا بنفسه» إقرأ (في ٣:١٢) ، (١ كو ١٣ : ١١)، وضح نظرية المعرفة عند بولس الرسول.

٤ – المعرفة إختبار وضح هذا من قول يوحنا الحبيب في (١ يو ١ : ١).

كيف يتفق هذا القول مع نظرية أوغسطينوس في المعرفة.

تدريب

هل تجد تعارضاً بين هجوم الآباء على الفلسفة كما رأينا في الدفاع عن المسيحية ضد الوثنية، وبين إستخدامهم المنهج العقلي أو الفلسفي في التدريس؟

٢ – ماذا يعجبك في تأملات أوغسطينوس المعرفية الإيمانية؟. هل تعتبر هذه النظرية كتابية لاهوتية؟ أم فلسفية؟ أم كلاهما معاً؟ ولماذا؟

٣ – إقرأ من كتاب المربي لأكليمندس الإسكندري (طبع دار فيلوباترون للنشر).

قم بعمل بعض الإقتباسات المختصرة التي تعجبك.

الفصل السادس
التعليم بالممارسة
فصول الموعوظين

فهرس تحليلى

- تعليم الموعوظين كان عمل قيادات الكنيسة الأولى الهام، وكان الصوم الأربعينى هو الفترة المخصصة لذلك.

- إشتهر من معلمى الموعوظين كيرلس أسقف أورشليم، وله كتابات قوية ومبسطة للموعوظين، ونلاحظ إستخدامه للمنهج العملى فى التعليم القائم على المشاهدة والشرح.

- أما أوغسطينوس فقد كتب لمعلمى الموعوظين، وأوصاهم بالتدرج ومراعاة مستوى السامعين وتشجيعهم. وفى الغرب أيضاً كتب أمبروسيوس عن الأسرار بوصفها وسائط تعليمية خلاصية.

- كذلك فى العراق (مبسوبستيا) فكان ثيودور يفسر الطقوس التى تصحب عهد العماد تفسيراً رمزياً.

- أما ذهبى الفم فنقتبس أيضاً من عظاته وأقواله بعض الملاحظات التى توضح كيف كان التعليم فى الكنيسة الأولى يتم من خلال الممارسة العملية.

الفصل السادس
التعليم بالممارسة
فصول الموعوظين

فكر معنا

١ ـ علق على تعليم الكبار فى كنيستك المحلية من حيث كفايته ـ منهجه ـ تأثيره.

٢ ـ لماذا يعد العماد نقطة تحول فى حياة المسيحى.

٣ ـ إقرأ صلوات العماد من كتاب الخدمات الطقسية. تأمل فى بعض الجمل والأفعال الرئيسية المعمودية.

تعليم الموعوظين

كان الداخلون إلى الإيمان فى العصور الأولى كباراً. وكانت الكنيسة تُعِدهم، فى فترة لاتقل عن أربعين يوماً، يقضونها فى التلمذة قبل نوال العماد. وكانت الأربعون المقدسة (وهى فترة الصوم الذى يسبق عيد القيامة) هى الفترة المعتادة التى يتقبل بعدها المتعمدون السر المقدس يوم الفصح.

وقد تطول الفترة التعليمية لتشمل السنة كلها، ولكن الفترة السابقة للعماد تكون مكثفة ومركزة. وقد وضعت الكنيسة برنامجاً كاملاً لتعليم الموعوظين، يضطلع به الكهنة، ويقوم الأساقفة بتعليم الجزء الأخير منه. وكان يُسمح بأن يقوم العلمانيون بالتعليم بإذن خاص (كما حدث فى حالة أوريجانوس).

أما طريقة التدريس فكانت العظة المطولة فى معظم الأحوال، كما كانت هنا طريقة حفظ الأجوبة المحددة على

الأسئلة الهامة (كاتشيزم) التى تطلب الكنيسة من الموعوظ معرفتها قبل دخوله فى عضويتها.

وتراث الآباء حافل بعظات الموعوظين هذه. فلدينا كتباً للموعوظين من وضع القديس إريناؤس، وكيرلس الأورشليمى، وغريغوريوس أسقف نيصص (أخو باسيليوس الكبير) فى الشرق، والقديس أوغسطينوس، والقديس أمبروسيوس في الغرب.

أما تعليم الصغار فلا نجد له إشارة واضحة فى الكنيسة قبل نهاية القرن السادس، ولايقتصر تعليم الموعوظين على فترة ما قبل العماد بل يمتد إلى ما بعد ذلك. وكانت هناك فى الكنيسة أربعة فئات من الموعوظين هم:

١ ـ المتقدمون (accedents باللاتينية): وهم الوثنيون، والهراطقة الذين تابوا، وأولاد المسيحيين، وهم الذين طلبوا الإلتحاق بالكنيسة.

٢ ـ الموعوظون (Catechumens). وهم المنتظمون على حضور التعاليم الكنسية.

٣ – المرشحون Campetentes أو electi أو Illuminandi وهم الذين قدِّمت أسماءهم، وقُبلت، ليتالوا العماد بعد قليل، وهم المختارون الذين إستناروا وإستعدوا للعماد.

٤ ـ حديثو العماد neophyti وتستمر الكنيسة فى وعظهم بعد العماد فى فترة الخماسين التى تلى عيد القيامة، وليس عجباً أن نجد أناجيل الخماسين التى تقرأها الكنيسة حتى الآن تتسم بطابع تعليمى: عن الرحلة إلى كنعان، وتحتوى عناصر عن المعمودية مثل الحديث عن الماء الحى للسامرية.

والآن دعنا نلتقت قليلاً لمنهج الآباء الأوائل فى تعليم المبتدئين فى الشرق ثم فى الغرب المسيحى.

مقالات كيرلس الأورشليمى للموعوظين (٣١٥- ٣٨٧)

يحتوى الكتاب الشهير الذى وضعه القديس كيرلس أسقف أورشليم للموعوظين على منهج متكامل لتعليم طالبى العماد. فالفصول الستة الأولى تبدأ بشرح عملى لما يحدث فى المعمودية من رموز ومعان روحية. أما الفصل السابع فيبدأ فيه بشرح قانون الإيمان ويفنّد البدع والهرطقات المنتشرة، ويحذّر من إعتناقها. ويستمر شرح بنود قانون الإيمان حتى الفصل الثامن عشر، أما الفصول من ١٨ حتى ٢٣ فتختص بشرح الأسرار وخاصة العماد وسر القربان. وينتهى الفصل الأخير بشرح للصلاة الربانية، والتى كانت ولازالت تُتلى فى نهاية القداس الإلهى قبل التناول مباشرة، ثم يفتح المتناول كلتا يديه بإحتراس، واضعاً أحدهما تحت الأخرى، ليتسلم خبز الحياة ليأكله ويحيا به.

وإذا أردنا إعطاء بعض الملاحظات على هذا المنهج، الذى يعتبر نموذجاً مبكراً للتعليم الكنسى، نجد فيه:

١ ـ الإعتماد على الخبرة والممارسة العملية :

ففى الفصل التاسع عشر يتكلم القديس عن المعمودية التى نالها للتو الموعوظون، فيقول :

«كنت من زمن أرغب أن أعظكم بخصوص هذه الأسرار السمائية والروحية، أيها الأولاد الحقيقيون وأولاد الكنيسة الأعزاء، لكن حيث علمت جيداً أن الرؤية أكثر إقناعاً من السمع، فقد إنتظرت للوقت الحاضر. فإذ أجدكم متقدمى الذهن تتأثرون بكلماتى بسبب خبرتكم الحالية، فأقودكم بيدكم إلى روضة الفردوس المثيرة الذكية التى أمامنا»

وقد بدأ القديس فى الفصول الستة الأولى بشرح عملى للطقس، قبل الخوض فى المعانى المجردة وشرح قانون الإيمان. ولم يبدأ فى شرح

الأسرار ومعانيها، إلا بعد أن تمت ممارسة الطقس أمامهم ومعهم، ليكون الشرح مرتبطاً بالخبرة الواقعية.

ونلاحظ كيف يراعى الآباء مبدأ التدرج فى إعلان الحق الإلهى للمبتدئين، فيعطوهم نوراً بعد نور، لئلا إذا عرفوا كل أسرار الإيمان دفعة واحدة تُبهر عيونهم ويصبحون عاجزين عن الرؤيا.

٢ - بخصوص المنهج التعليمى للموعوظين نجد أن قصة الخلاص فى العهدين القديم والجديد تحتل مكان الصدارة، وخاصة فيما يتعلق بحياة السيد المسيح وصلبه وقيامته.

٣ - ينتقل الشرح بعد ذلك لمقاومة البدع والهرطقات المنتشرة، وإلى الحجج المسيحية المضادة لليهودية أو الوثنية. وكذلك يعطون توجيهات مباشرة تحرم إرتياد المسارح والملاهى وحلبات المصارعة ومسابقات الخيل والمشاهد الدموية والخليعة التى لاتتفق مع المسيحية.

٤ - يُعطى قانون الإيمان، وهو فى شكله الأول قبل مجمع نيقية، كان إعلاناً للإيمان بالمسيح بصورة مبسطة. ونلاحظ ما لهذا الشعار أو الدستور الذى يختم عليه فى الذاكرة من تأثير على الشخصية كلها. وخاصة إن رافق الحفظ شرح يُجلى غوامضه.

٥ - وينتهى بذلك الفصل الثامن عشر من عظات القديس كيرلس الأورشليمى، والتى وجهها أساساً للمرشحين للعماد، وبعد ذلك يقدم مقالاته عن الأسرار لحديثى العماد فيحدثهم حديثاً مؤثراً عن المعمودية والميرون والليتورچيا.

ويختتم القديس شروحاته للمعمدين بتفسير مختصر للصلاة الربانية، وهى صلاة البنين الذين دخلوا إلى عائلة الكنيسة. ونلاحظ كيف إستطاع القديس أن ينقل سامعيه ببراعة عبر رحلة الإيمان من العالم أرض العبودية، إلى كنعان حيث يتمتعون بالبنوية، عبوراً بمياه الخلاص،

ويصلّون صلاة البنين، وحين يصل القديس إلى شرح جملة "خبزنا الآتى أعطنا اليوم" ، يهيب بالمتناولين التقدم وفتح أيديهم بكل حرص لنوال البركة (كانت العادة المتبعة قديماً وضع الجسد فى يدى المتناولين، وليس فى ذلك إستهانة بالأسرار، لأن كل المتقدمين قديماً كانوا يُفحصون بدقة، وكانوا على مستوى القداسة والفضيلة والشهادة).

ويتضح الآن الطابع الآخروى لفكر القديس: فنحن الآن فى كنعان، نأكل خبز السماء الذى نصلى لله من أجله قائلين خبزنا الذى للغد أعطنا اليوم.

يقول القديس كيرلس :

«لذلك فى التقدم لا تأتِ برسغيك ممدودتين، أو أصابعك مفرودة، لكن أجعل يدك اليسرى عرشاً لليمنى، كأنك تستقبل ملكاً، وقد جوفت راحة يدك لتقبل جسد المسيح قائلاً آمين. وهكذا بعد أن قُدست يمينك بعناية بلمس الجسد المقدس إشترك فيه متنبهاً لئلا يفقد جزء منه.

إخبرنى إن أعطاك أحد حبوباً من ذهب ألا تمسكها بكل عناية حارساً لها من الضياع وخسارتك؟ أليس بالأولى إذن يجب أن تنتبه حتى لايسقط فتات مما هو أغلى من الذهب والحجارة الكريمة».

يقول القديس كيرلس الأورشلمى :

١ ـ فأولاً دخلتم دهليز العمودية، وهناك إتجهتم تجاه الغرب، وأنصتم للأمر ببسط أيديكم، وكأنكم أمام الشيطان تجحدونه.

يجب أن تتعلموا أن هذه الصورة وجدت فى العهد القديم. فإن فرعون ذلك الظالم القاسى المرّ مضطهداً لشعب العبرانيين الحر الأصيل، وأرسل الله موسى ليخرجهم من العبودية المكروهة، حينئذ مسّوا قوائم الأبواب بدم حمل حتى هرب المهلك من البيوت التى عليها علامة الدم ونجا العبرانيون بمعجزة، فتبعهم العدو بعد نجاتهم، ونظروا البحر ينشطر لهم، ومع ذلك تقدم تابعاً خطواتهم، وفى الحال غرقوا فى البحر الأحمر» .

٢ ـ «ولننتقل من القديم إلى الجديد، من الرمز إلى الحقيقة. فهناك أرسل موسى من الله لمصر. هنا أرسل الله إبنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم.

هناك يقود موسى شعباً مضطهداً ويخرجهم من مصر. وهنا يخلص المسيح الذين ظلموا فى العالم بالخطية.

هناك دم حمل بمثابة التعويذة ضد المهلك. وهنا دم الحمل الذى بلا عيب يسوع المسيح يُرعب الأرواح الشريرة.»

٤ ـ «مع ذلك تُأمرون بالقول بذراع ممدودة نحوه كأنه حاضر "أجحدك أيها الشيطان" أريد أن أقول لكم أنكم تقفون مواجهين الغرب، لأنه ضرورى ما دام الغرب منطقة الظلام المحسوس. فماذا إذن؟ كل منكم وقف وقال: "أجحدك أيها الشيطان" أيها الظالم القاسى الشرير، بمعنى أننى لا أخاف قوتك بعد الآن لأن المسيح قد قهرك، إذ شاركنى فى اللحم والدم، وبالموت داس الموت، حتى لا أكون تحت العبودية إلى الأبد».

وتطالعنا العظة التاسعة عشر بثلاث مراحل من فترة التنشئة: التعرّى من الملابس، المسحة بالزيت المقدس على كل الجسم، والعماد.

التعرّى من الملابس يرمز إلى ترك الإنسان القديم مع تصرفاته. فى هذا تشبّه بالمسيح الذى كان عارياً على الصليب، والذى بعريه غلب قوى الشر. فطالبو العماد، عراة أمام أعين الجميع، لم يخجلوا، لأنهم بذلك يمثلون صورة آدم الذى كان عارياً فى الفردوس بدون أن يخجل.

«حالماً دخلتم خلعتم ردائكم، وكانت هذه صورة لخلعكم الإنسان القديم مع كل أعماله (كو ٣:٩). وإذا خلعتم ثيابكم أصبحتم عراة مقتدين بذلك بالمسيح الذى كان عارياً على الصليب، والذى بعريه "خلع أصحاب الرئاسة والسلطة وعاد بهم فى ركبه ظافراً" (كو ٢: ١٥) ... يا للعجب. أنكم ظهرتم عراة أمام أعين الجميع ولم تخجلوا، لأنكم تمثلون فعلاً صورة الأب الأول آدم الذى كان عارياً فى الفردوس بدون أن يخجل (تك٢: ٢٥)».

المسحة بالزيت المقدس تعنى الشركة فى الزيتونة البستانية، يسوع

المسيح، وبالتالي، الإنفصال عن الزيتونة البرية. فالزيت المقدس، إذ يرمز إلى المشاركة في خصب المسيح، يبعد أيضاً ويطرد كل قوات الشر المعادية.

«ولما خلعتم ثيابكم مسحتم في قمة رؤوسكم حتى أقدامكم بالزيت المصلى عليه. وأصبحتم شركاء في الزيتونة البستانية (رو١١: ٢٤) يسوع المسيح. إذ إنتزعتم من الزيتونة البرية وطعمتم في الزيتونة البستانية، وأصبحتم شركاء لها في خصب الزيتونة الحقيقية. فالزيت المصلى عليه كان يرمز إذن إلى المشاركة في خصب المسيح، ويبعد كل أثر لسلطان العدو..»

وتطالعنا العظة العشرون بمرحلة أخيرة، هي المسحة بالميرون، وفيها نرى كيف تدرج القديس كيرلس بمفاهيم سامعيه من الرموز البسيطة والمعاني الأولية إلى أعماق الشركة البنوية.

فالمعمدون وقد لبسوا المسيح من ماء العماد أصبحوا مشابهين له وشركاء بالبنوة وعدم الفساد. فهم يدعون مسحاء، إذ قد إقتبلوا ختم الروح القدس. فعماد يسوع في الأردن هو المثال في ذلك: عند خروجه من الماء، حل الروح القدس عليه، وعند خروج المعتمد من حوض المعمودية، يَقبَل المسحة التي هي الصورة الحقيقية لمسحة المسيح، أي الروح القدس. لم يمسح المسيح من إنسان ولا بزيت عادي، بل بالروح القدس، كذلك المعتمد: فالميرون الذي مسح به ليس هو بالعطر أو بالزيت العادي، بل هو عطية المسيح، بعد دعوة الروح القدس عليه. فالمسحة المنظورة لكل الجسم ليست سوى رمز لتلك غير المنظورة: المسحة المحيية بالروح القدس.

«ها أنكم إعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٧)، فأصبحتم على مثال صورة المسيح إبن الله (رو ٨: ٢٩). لأن الله الذي إختارنا لأن نكون أبناء بالتبني (أفسس ١: ٥) جعلنا على صورة جسد المسيح المجيد (في ٣: ٢١). وبما أنكم أصبحتم شركاء للمسيح (عب ٣: ١٤)، فأنتم مدعوون بحق "مسحاء". وعنكم قال الله: "لاتمسوا

مسحائي" (مز ١٥:١٠٥). أنكم أصبحتم مسحاء بتلقيكم ختم الروح القدس. كل شيء فيكم تم كمثال، بما أنكم صورة المسيح، وعندما تعمد المسيح في نهر الأردن، ومنح المياه ملامسة أولوهيته، صعد منها، فحل الروح القدس بذاته عليه، وإستقر المشابه على المشابه له. وأنتم كذلك، عندما خرجتم من بركة المياه المقدسة، قبلتم المسحة (الميرون) ، وهي الصورة الحقيقية لمسحة المسيح، وأعني بها الروح القدس الذي تحدث عنه الطوباوي أشعيا إذ تنبأ عنه وتكلم على لسان الرب قائلاً: "إن روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني وأرسلني لأبشر المساكين (أش٦١:١، لو ٤: ١٨).

لأن المسيح لم يمسح بزيت أو بدهن مادي على يد إنسان، لكن الآب الذي سبق وإختاره ليكون مخلص العالم أجمع، مسحه بالروح القدس».

نقلا عن القمص تادرس يعقوب :

الآباء الأولون: كيرلس الأورشليمي حياته - مقالات لطالبي العماد - الأسرار (كنيسة مارجرجس باسبورتنج ١٩٧٠).

كذلك : أقدم النصوص المسيحية سلسلة النصوص اللتروجية - كيرلس الأورشليمي ٣١٤ - العظات لغريب چورچ ١٩٨٢ الكسليك.

عظات غريغوريوس النيصي :

أما عظات القديس غريغوريوس أسقف ينصصي للموعوظين فتعتبر مرجعاً في اللاهوت النظري، وقد كتبها لمدرسي الموعوظين. ولم تعدم من بعض الإشارات التربوية مثل ضرورة مراعاة مستوى السامعين. ولكنها أساساً تأملات لاهوتية لم يعنى مؤلفها حتى بإيراد الشواهد والحجج الكتابية. فكتابه إذاً يعد ملخصاً للعقيدة المسيحية تحت فصول تبحث الثالوث الإلهي، فداء الجنس البشري بتجسد الكلمة، قبول نعمة الفداء عن طريق العماد والتناول.

عظات للموعوظين لثيؤدور أسقف مبسويستيا (٤٢٨م) :

تعتبر الكنيسة القبطية ثيؤدور المعلم الذى إستقى منه نسطور هرطقته، ولذلك فهى لم تهتم بكتاباته. ولكن على الرغم من هذا فقط كشف العلماء منذ عام ١٩٣٢ كتباً قيمة له لا تحتوى على مبادىء الخطأ النسطورى الخاص بالفصل بين الطبيعتين ـ فهذه الكتابات تهمنا فى معرفة تاريخ التربية المسيحية للموعوظين. وقد وجدت له ١٠ مقالات للمرشحين للعماد، وستة لحديثى العماد.

وقد اتسمت تفاسيره بالجانب الأخروى للأسرار، فبالعماد تبدأ (الحياة الجديدة) للمؤمن وبالتناول ينال المؤمن غذاءاً روحياً مشاركاً فى موت الرب وقيامته، فيصل بذلك إلى قيامته هو من الأموات .

ومن خلال عظاته نتعرف على الأهداف التربوية وراء طقس المعمودية.

من العظة الأولى :

نتبين أن فترة التنشئة تبتدىء بتسجيل أسماء طالبى العماد: تعتبر هذه المرحلة "عادة مرعية" فى التقليد الكنسى يلاحظ أيضاً أهمية دور "الإشبين"، فهو "الكفيل" لطالب العماد، "الشاهد" على التزامه و "الموجه" له.

يلى ذلك مرحلة التعزيم: أثناءها، يعتبر طالب العماد "متهماً" يدافع عن دعواه. لذلك فهو يقف على مسح، حافى القدمين، صامتاً، منخفض النظر، باسطاً يديه. وطوال أيام هذه المرحلة، يهتم طالب العماد بالتأمل فى قانون الإيمان.

«على كل من يرغب فى إقتبال نعمة العماد المقدس، أن يحضر إلى كنيسة الله. هناك، وحسب العادة المرعية بأن تسجل أسماء طالبى العماد، يستقبله المكلف بذلك الذى يدعى "كفيلاً". أما المكلف بتسجيل الأسماء فيدون إسمك فى سجل الكنيسة مع إسم "الشاهد" أو "الموجه" فى هذه الحالة وهذا الطقس » .

« من الضروري ممارسة دور المدعوين "معزومين". من الواجب أثناء المرافعة عن دعوى، أن يقف المتهم بصمت. كذلك أنت، فأنك تقف ويداك مبسوطتان، في وقفة المصلي، ونظرك منخفض. لأجل ذلك تخلع رداءك، وتقف حافي القدمين على بساط من شعر. خلال هذه الأيام، يطلب إليك أن تتأمل في كلمات قانون الإيمان».

من العظة الثانية :

نتبين ثلاث مراحل: الكفر بالشيطان، فعل إيمان بالثالوث، ومسحة بالزيت على الجبهة. تلاحظ هنا العلاقة الوثيقة ما بين الإيمان والعماد. هذا الأخير يظهر كعهد، والمسحة بالزيت تعتبر كوسم يدل على هوية طالب العماد: أصبح خاصة للمسيح، إذ حمل وسمه بالإيمان به.

« من جديد، تقفون على المسوح حفاة الأقدام، وقد خلعتم رداءكم، وأيديكم منبسطة نحو الله كما في الصلاة. ثم تركعون، إنما يبقى الجسم منتصباً وتقولون: أكفر بالشيطان، بجميع ملائكته، بجميع أعماله، بكل خدمته، بكل أباطيله وبكل أضاليله. وألتزم بعهد، أؤمن وأعتمد باسم الآب والإبن والروح القدس».

«وإذ أنت جاث، وجسمك كله منتصب، تنظر إلى السماء باسط اليدين كما في الصلاة. والكاهن، إذ هو متشح بلباس من الصوف الناعم الناصع، يَسِمُك على جبهتك بزيت المسحة، قائلاً: يوسم فلان باسم الآب والإبن والروح القدس. عندها، الأشبين الواقف من ورائك، يبسط منديلاً من الصوف على رأسك، ينهضك ويوقفك منتصباً » .

« وعندما تصعد من الماء، تتشح بلباس أبيض. ثم يتقدم الكاهن ويَسِمُك على جبهتك، قائلاً: يوسم فلان باسم الآب والإبن والروح القدس».

Théodore de Mopsueste, Les Homélies catéchétiques, (Studi e Testi 145), éd. Tonneau et Devreesse, Città del Vaticano 1949, pp 321 - 461.

يوحنا فم الذهب (٣٥٤ - ٤٠٧)

ترك لنا يوحنا فم الذهب ثماني عظات عمادية، البعض منها موجه إلى طالبي العماد، والبعض الآخر إلى المعمدين الجدد. من خلال إثنين، نتعرف على المراحل المكونة لفترة التنشئة المسيحية كاملة:

من العظة الأولى :

نتبين مرحلة واحدة، تسجيل الأسماء، وهذا عمل جماعي، وهو مدعاة لفرح كبير في السماء وعلى الأرض، هو تحرر من "شباك الشرير" وإنضمام إلى "قطيع المسيح":

«بالحقيقة، هناك اليوم فرح في السماء وعلى الأرض: إن كانت توبة خاطىء واحد مدعاة إبتهاج كبير، فكم بالأحرى (تكون البهجة) بجمع غفير قد تحرر بإنتفاضة واحدة من شباك الشرير وأسرع يطلب الإكتتاب في قطيع المسيح».

من العظة الثانية :

نتعرف على المراحل الباقية: التعليم اليومي والتعزيم، الكفر بالشيطان وفعل الإيمان بالمسيح، المسحة بالزيت على الجبهة وعلى كل الجسم، وخلع الملابس، العماد بالتغطيس، قبلة السلام والمشاركة في المائدة للخلاص.

يلاحظ أن التعليم كان يُعطَى كل يوم لطالبي العماد، وكذلك التعزيم. وهذا يدل على وضع طالب العماد: إنه أسير الشيطان، إنما أيضاً على وشك التحرر من طغيانه، للمرور تحت نير المسيح الطيب. التعزيم يشير بالتالي إلى الصراع القائم في نفسية طالب العماد بين الله وقوى الشر. والتعزيم يتضمن كلمات مخيفة، إستدعاء سيد الكائنات كلها، من شأنها أن تقضي على كل حيل المحتال، «وتجعلكم أهلاً لحلول الملك، إذ أنه من المستحيل ألا يغادركم الشيطان بسرعة، مهما كان ضارياً ومخيفاً، على أثر تلك الكلمات المخيفة، وإستدعاء سيد الكائنات كلها...».

«أما وقوفكم حفاة الأقدام، وأيديكم منبسطة نحو السماء، فيعبر عما يلي: كما أن الأسرى يعبرون في شكلهم الخارجي عن حزنهم من جراء البؤس الذي أصابهم، كذلك الذين أسرهم الشيطان أيضاً. وبما أنهم على وشك التحرر من طغيانه والمرور تحت النير الطيب، فهم بوقفتهم تلك يتذكرون وضعهم السابق، لكي يعوا جيداً ممن يتحررون وإلى من يلجأون....»

قبيل الكفر بالشيطان، يظهر طالبو العماد كمن هم في حالة الأسر: يؤمرون بأن يجثوا على ركبهم للصلاة، رافعي الأيدي نحو السماء. يتبين أيضاً أن جحد الشيطان إنما هو عهد على طالبي العماد، تجمع الملائكة كلماته لتسجل في السجلات السماوية. أما فعل الإيمان بالمسيح، فلا يذكر منه الذهبي الفم إلا كلمات معدودة، تعبر بدورها عن كونه عهداً يلتزم به طالب العماد:

« أعرف أنك هنا أيضاً مازلت في حالة الأسر، عندما يأتي بكم الكهنة إلى الداخل، يأمرونكم بأن تجثوا على ركبكم، بأن تبسطوا أيديكم نحو السماء وبأن تصلوا في هذا الشكل كي تتذكروا، من خلال هذا الوضع، ممن تحررتم ومن ستلزمون ...»

ثم يطلب الكاهن إليكم أن تتلفظوا بهذه العبارات الرهيبة، المليئة بالنتائج المذهلة: أجحدك أيها الشيطان، وكل قوتك ، و كل خدمتك وكل أعمالك. كلمات معدودة، إنما ذات قوة عجيبة. فالملائكة الحاضرون والقوات غير المنظورة والمبتهجة بتوبتكم تجمع هذه الكلمات التي نطقتم بها وترفعها إلى سيد الكائنات كلها، وهناك تسجل في السجلات السماوية ».

"أرأيتم بأية أحرف خط هذا العهد؟ فبعد أن أنكرتم المحتال مع كل الأعمال التي تنبثق عن عواتيه ، يأمركم الكاهن من جديد بأن تقولوا: وألزمك أيها المسيح ...»

تلي هذا العهد مسحة بالزيت على الجبهة وعلى الجسم كله، مع وسم الجبهة بإسم الثالوث الأقدس. هذه المسحة، حسب تعبير الذهبي الفم، تعطي لطالب العماد كما لمقاتل ينزل إلى

ساحة القتال الروحي، فهي تؤمّن له القوة والمناعة ضد سهام العدو:

«على الأثر، وبعد هذا العهد: الكفر بالشيطان والإلتزام بالمسيح ... يمسح الكاهن جبهتك بالزيت الروحي، كما لمقاتل ينزل إلى ساحة القتال الروحي، ويسمك قائلاً: يوسم فلان باسم الآب والإبن والروح القدس...

"ثم بعد هذا، عندما يأتي الليل، يعريك الكاهن كلياً من ملابسك... ويأمر بأن يمسح جسمك كله بهذا الزيت الروحي كما، بهذه المسحة، تعطى القوة والمناعة ضد سهام العدو....»

تعليم المبتدئين في الغرب المسيحي

مقالات القديس أوغسطينوس

(٣٥٤ - ٤٣٠م)

لكل من القديسين أوغسطينوس وأمبروسيوس (في الغرب) مقالات للموعوظين. وقد وجه أوغسطينوس مقالاته للمعلم المسيحي الذي يقوم بتعليم الموعوظين. وقد كان الموعوظون الذي قصدهم أوغسطينوس بالذات من النوع المبتدأ أو السامعين حتى سميت مقالاته "كيفية تعليم غير المتعلمين"

ويبدو أن هذه المقالات كتبها القديس أوغسطينوس بقلمه ولم تدون من العظات التي كان يلقيها. ولذلك يظهر فيها جهد ورصانة في الكتابة المتأنية.

١ - يكتب القديس مؤكداً (في الفصل ٣، ٤. ٧) كيف يجب أن يكون محتوى المنهج متمركزاً حول أحداث الخلاص في العهد القديم، بحيث يصل إلى القمة في حياة المسيح، وكيف يرتبط هذا التاريخ بحياة الموعوظ، فهي - محبة الله العاملة في القديم - هي نفسها التي تجذب حياة الموعوظ إليها.

٢ - ثم يؤكد (فصل ٥، ٦) كيف ينبغي أن يُسأل الموعوظون عن دوافعهم قبل الدخول إلى المسيحية، ويجب أن

يعرفوا حياة المسيح بقوة تجعلهم يدخلون الإيمان عن طريق السماع، ويصلوا إلى الرجاء عن طريق الإيمان، ويجدوا المحبة عن طريق الرجاء (فصل ٨).

٣ – وأما لغة الدرس فيجب أن تكون موثرة قوية متمركزة حول قصص الكتاب المقدس، مبتعدة عن الصنعة اللفظية أو الحوار الجدلي. كما يجب أن تكون مناسبة لمستوى السامعين الفكرى (فصل ٩، ١٠ ، ١٥).

٤ ـ وبعد شرح لقانون الإيمان يعلم الموعوظين صلاة (أبانا الذى) لأنهم كيف يصلّون إلى من لم يؤمنوا به ولكننا نلاحظ أن لصلاة "أبانا الذى" معناً أعمق من هذا بالإضافة للطابع الأخروى التى تتسم به (ليأت ملكوتك، خبزنا الذى للغد) فهى صلاة البنين الذين دخلوا فى رعوية – بل فى أسرة الله بالتبنى فى المعمودية، وقد أخذوا بالفعل خبز الغد يوم عمادهم وتناولهم لأول مرة.

٥ ـ وأخيراً يشجع القديس أوغسطينوس موعوظيه ألا يخافوا وقت تسميع النصوص التى سوف يتلونها وقت العماد،لأن الذى يعلمهم لايزال أباً لهم وليس ناظر مدرسة ممسكاً بالعصا!

وبالغوص فى حياة أوغسطينوس نجد صدى طريفاً لتشجيعه وإيجابيته نحو الموعوظين. فهو يكره العقاب الصارم ولايحب أن يجبرالمتعلم على شيء يتعلمه.

ويقول فى إعترافاته (كتاب ١ فصل ١٦) منتقداً بشدة الأسلوب القديم فى التربية «وضعونى فى المدرسة طالباً علماً، وكنت غبياً فلم أجد لها نفعاً، وفضلاً عن ذلك، إن تكاسلت ضربونى وكان كبار القوم يعدّون أسلوب الضرب فى التربية أسلوباً ممتازاً.

وقد يستحسن حكم عن ضربى، لأنى لعبت صغيراً بالكرة الطائرة، وتأخرت عن تلقى العلوم التى تدفعنى كبيراً إلى ما هو أقبح من تلك الألعاب الصبيانية »

ونلاحظ هنا أن اللعب كان مكروهاً من الكبار والضرب كان مباحاً. كما نلاحظ أن الصبي أوغسطينوس لم يكن يفهم لماذا يُضرب لأجل اللعب،رغم أن الكبار أنفسهم كانوا يلعبون على مسرح الحياة مباريات أشد ضراوة وإيذاءاً من ألعاب الصبيان البريئة.

كتابات أمبروسيوس عن الأسرار

كتب القديس أمبروسيوس كتابه عن "إبراهيم" للموعوظين، أما كتابه عن الأسرار فكتبه لحديثي العماد.

سعى إمبروسيوس أسقف ميلان جاهداً لكي يُدَرِّس الموعوظين المعاني الرمزية للطقوس الكنسية وخاصة المعمودية والتناول والكهنوت والمزمور ٢٣ ونقتطف منها ما يلي :

« تُغسل كل الخطايا في العماد. فالأثم يتلاشى ولكن لأن آدم لدغه الشيطان الذى أنفث سمه في قدمي آدم، فأنتم إذ تغسلون أرجلكم حتى في هذا الجزء الذى تتوارى فيه الحية فتظهر معونة الأسرار بطريقة خاصة، فلا تلدغكم مرة أخرى،

فأنتم إذ تغسلون أرجلكم كما لو كنتم تمحون سموم الحية ».

« يتبع العماد ترانيم روحية كما سمعتم في قراءات اليوم، فبعد الخروج من الماء يبقى أن يكمل العمل بصلوات الإستدعاء ينسكب الروح القدس. روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح الورع، وهي القوى السبعة للروح » .

نلاحظ في النص الأول جمال الربط بين العهد القديم والجديد وبين حياة المؤمن الجديدة في الكنيسة.

ونلمح في النص الثاني كيف كان الآباء يعتمدون على مقدرتهم التعليمية وعلى العظات والتوجيهات التي يدرسها الموعوظ ليدل على إنسكاب الروح والحكمة والمشورة والمعرفة، روح القوة الذى يعطى قدرة على السلوك بخوف وتقوى، وذلك عن طريق التوبة والإيمان والأسرار الكنسية.

ويعلق *أمبروسيوس* :

« الآن قد قبلتم هذا الختم الروحي، فإحفظوا ما قبلتموه من الله الآب الذى

ختمكم، والمسيح الرب ثبتكم، والروح أعطاكم العربون فى قلوبكم.»

وفى رأينا أن تربية مسيحية تتسم بهذه البداية القوية ونقطة التحول الواضح، فى إحتفال كنسى مهيب تم الإستعداد له لفترة كافية لابد أن تطبع أثراً لايمحى على شعور ووعى وفهم الموعوظ،ينعكس مدى الحياة على سلوكه فى الكنيسة والعالم. إنه ليس تعليماً للعقل أو حشواً للمعلومات ولكنها عملية تبنى فى المسيح،وولادة روحية فى الكنيسة،وختم يزيد عن علامة الختان بقدر ما للمسيح من أفضلية على إبراهيم وموسى.

وقد سبق إمبروسيوس كيرلس الأورشليمى فى نفس المنهج الذى يربط بين القديم والجديد والعهد المقدس بين الإنسان والله فى الكنيسة كما رأينا سابقاً.

خاتمة :

يتبين من العرض السابق أن الكنيسة الأولى إستخدمت الممارسة كوسيلة تعليمية، وقد جعلت للطقوس والرموز والممارسات الإحتفالية معان أعمق من مجرد الأداء الدينى أو الشكلى. وكان الشرح الذى ينير الأذهان يسبق أو يلازم أو يتبع الممارسة فهى إذاً ممارسة واعية.

على أن الأعماق الروحية والمفاعيل الخلاصية تفوق وعى الإنسان، فهى تدخل أيضاً إلى أعماق اللاوعى أو اللاشعور، وتغرس فى الإنسان آثار عمل النعمة فى أعماق أعماق كيانه. فليس بالعقل وحده يخلص الإنسان بل بكل الكيان البشرى.

نرى كذلك فى الممارسات الأولى للكنيسة إشراكاً للجسد والحواس فى العملية الإيمانية - التعليمية بطريقة ملحوظة، وهذا كله لكى تجذب الكنيسة إلى شبكة النعمة كل إنسان وكل الإنسان.

نظرة كتابية :

- الإنسان كائن حساس له عينان وأذنان وأنف وهو يتعلم من خلال حواسه الخمس كما يتعلم من خلال العقل والمفاهيم النظرية.
- نجد في الكتاب المقدس بعض الممارسات التى كانت ترمز إلى أعمق من مجرد الممارسة، وتهدف إلى إشراك النفس والجسد مع الروح.
- متى صمت أدهن و جهك (مت ٦: ١٦)
- إغسل عينيك فى بركة سلوام (يو ٩:٧)
- إذبح وكل. (أع ١٠ : ١٣)
- كسر الخبز عند النجاة من السفينة (أع ٢٧:٣٥) .

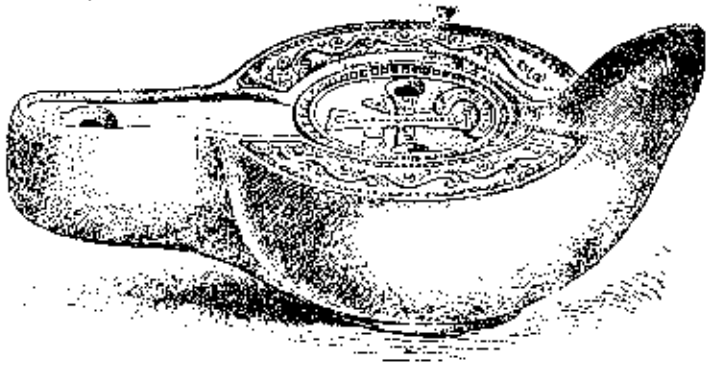

تدريب :

حاول عمل ممارسة خارجية مع تلاميذك يكون لها رمز أو تأثير داخلى.

- غسل أرجل.
- إيقاد شمعة.
- إطفاء الأنوار.
- ملابس بيضاء.
- زفة أيقونة.
- حمل صلبان وأناجيل.

الفصل السابع
التعليم بالخطابة
تعليم المؤمنين

فهرس تحليلى

– كان وعظ أوريجانوس يبدأ بنص كتابى يعقبه تفسير رمزى للمعانى المخبأة داخل النص.

– أما ذهبى الفم فقد إستخدم الوعظ الكتابى المبنى أساساً على التعاليم الأخلاقية والسلوكية والتدريبات التطبيقية.

وقد نهج الذهبى الفم نهج من سبقه أمثال من ميليتوس أسقف ساردس الذى تعرض لأقواله.

– كان ذهبى الفم شغوفاً بالتعليم وكانت علاقته بالسامعين تساعده على العطاء المتزايد.

– أما منهجه الوعظى فإمتاز بالإطالة والتضخيم وإستخدام الأمثلة، والتدرج.

– ويكمّل أسلوبه الوعظى علاقته الأبوية بشعبه،من حنان وحزم ، وحب بلا تدليل.

– وأخيراً فإننا ندلى ببعض ملاحظات عن الوعظ الخطابى عند القائد القبطى القديس شنوده رئيس المتوحدين.

الفصل السابع
التعليم بالخطابة

تعليم المؤمنين

فكر معنا

١ – أى أساليب الوعظ تفضل عظة بسيطة وأسلوب خطابى مؤثر، أم عظة عميقة وأسلوب أدبى بليغ أم عظة دسمة وأسلوب مبسط ولماذا؟

٢ – إستخدم بولس الرسول التفسير الرمزى لأحداث العهد القديم، قم بعمل قائمة بالرمز والمرموز إليه. بعد قراءتك للنصوص الآتية:

(غلا ٤ : ٢١ – ٣١)

(رو ٢ : ٢٦ – ٢٩)

العلامة أوريجانوس ونمو الوعظ التفسيرى فى القرن الثالث

كان العلامة أوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٣) فى أيامه أستاذاً مُعترَفاً به فى العالم المسيحى ككل. وكان له أسلوب متميز فى الوعظ التفسيرى لم يحد عنه طوال حياته الفكرية والروحية الطويلة. وقد أثر أوريجانوس فى الفكر المسيحى فى الشرق والغرب تأثيراً واضحاً. ولم يكن أوريجانوس يركز على الشكل أو البلاغة، إنما كان يركز جهده على المضمون الروحى للرسالة التى إنفعل بها محاولاً الوصول إلى الهدف بطريقة مباشرة، وقد أخلص للنص الكتابى إخلاصاً شديداً، والتزم به طوال حياته متأملاً فى معانيه الروحية العميقة، مصارعاً مع معانيه الغامضة.

كانت عظات أوريجانوس تبدأ دائماً بقراءة نص كتابى، فالكتاب عنده هو مصدر الإعلان الأول، وهو يصلح لكل المستويات، ولكن كل يأخذ ما

يناسبه حسب مستواه الروحي. فهناك الخطاة المحتاجون إلى التوبة، والمسيحيون البسطاء الذين يريدون أن يتبعوا الوصايا الإلهية، وهناك النفوس المتعطشة إلى الكمال، والتي تحتاج أيضاً إلى إرشادات. وهناك أحباء الله الحقيقيون الذين يعيشون بالفعل في الأمور الروحية. يقول أوريجانوس :

« إننا حين نستخدم نصاً كتابياً معيناً للمبتدئين، وآخر للمتقدمين إيمانياً في المسيح، وآخر للذين تكملوا في المحبة – فإننا نكون كمن يقسم (يفصّل) الذبيحة إلى أجزاء عضواً عضواً. فالأطفال في المسيح يجب أن يعلّموا بإعطائهم لبن كلمة الله. وأولئك الضعفاء في الإيمان يجب أن يتقووا بطعام جاف أكثر دسماً، بينما الأبطال في المسيح يحتاجون إلى اللحم، والمعلم الحقيقي هو من يقسم هذه الأشياء واحدة واحدة بتمييز روحي» (عظة على اللاويين).

ويرى أوريجانوس أن المعاني المخبأة داخل النصوص كالكنز في الحقل، لاينبغي أن تعلن إلا لمن يفهمها ويستوعبها.

وإنه حتى زمان موسى كان هناك برقعاً على فهم الإنسان، وإن الذين في المسيح فقط هم القادرون على استجلاء غوامض الكتاب المقدس. وكمثال يوضح المنهج الروحي للتفسير الكتابي نقدم التفسيرات التالية التي إستخدمها العلامة أوريجانوس: إن الثور يشير إلى الرغبات الأرضية، والخراف إلى الأفكار الحمقاء، والحمام إلى الترف الزائد. وحين أتت رفقة إلى البئر فإن في ذلك درساً عن كيف يجب أن نذهب يومياً إلى الكتاب المقدس ونستخرج عزاءً من فيض الروح.

يقول أوريجانوس :

"في مدرسة المسيح يصبح تعليم الناموس والأنبياء مثل حبات الثقل (البندق أو عين الجمل). من الخارج تكون الحبة غير ناضجة ومُرة. ومن ثم فهي تشير إلى الختان الجسدي والذبائح، ثم تأتي الطبقة الداخلية الثانية، وهي الوصايا والتعليمات الأخلاقية التي تعلّم ضبط النفس، هذه الأشياء ضرورية ولكنها سوف تنتهي يوماً ما. وأخيراً فمن

داخل الطبقات المخبأة كالنواه الأصلية سوف نجد السر، – المعانى الباطنية للحكمة ومعرفة الله التى تغذى وتخلص نفوس القديسين» (عظة على العدد).

ولازالت كنيستنا تستخدم دائما التفسير الرمزى للكتاب الذى لم تقل فائدته بإستخدام الطرق الأخرى للتفسير التاريخى أو التحليلى.

القديس يوحنا ذهبى الفم وتطوير الأسلوب الخطابى فى القرن الرابع الميلادى

رأينا كيف أثرى العلامة أوريجانوس العملية التعليمية فى الكنيسة الأولى مستنداً على دعامتى الكتاب المقدس والفهم الروحى للإعلان الإلهى، وننتقل الآن إلى القرن الرابع حيث نلاحظ بعض الملاحظات العامة فى أسلوب التعليم.

أولاً: استمر الآباء فى استخدام أساليب التربية التى ورثوها من المجمع اليهودى ومن السيد المسيح نفسه، كما إستوعبوا بعض الطرق التى إقتُبست من الفلاسفة اليونانيين والرومان، مع تغيير شامل لمحتوى العظات، وأثرائها بالحوار والقصص الكتابية والعقائد المسيحية. كما توسعوا فى العظات الليتورچية، ولم يتركوا العظات النبوية.

ثانياً: أضاف الآباء بعض الطرق الجديدة، التى امتاز بها القرن الرابع الميلادى عن القرن السابق له وهذه الطرق هى :

١ – الوعظ الخطابى.

٢ – تعليم الموعوظين

٣ – الوعظ العقيدى.

٤ – الوعظ التهذيبى والأخلاقى

ثالثاً: قلَّ إستخدام التفسير الكتابى المنهجى إذ نما الوعظ الخطابى على حساب الدراسة الأكاديمية، حيث أن الوعظ الخطابى يلبى إحتياجات المستمعين أكثر.

وسوف نعرض فى الصفحات القادمة لنموذج حى من الوعظ الخطابى

مُمثلاً فى شخصية يوحنا ذهبى الفم، الذى وإن كان لم يبتدع هذا النوع من الوعظ إلا أنه كان أكثر من توسع فيه عن غيره من الآباء المعاصرين له أمثال باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩)، وغريغوريوس النزينزى (٣٢٩ - ٣٨٩) وغريغوريوس أسقف نيصصى (٣٣٠ - ٣٩٥) أخو باسيليوس الكبير، ويعرف ثلاثتهم «بالآباء الكبادوك» وقد وصل الوعظ الخطابى فى أيامهم قمته لم يتعداها الأدب الكنسى فى العصور التالية ولم يصل إليها فى العصور التى سبقتها.

نشأة الوعظ الخطابى :

تطور الوعظ الخطابى أساساً على يد الفلاسفة المتأخرين أمثال شيشرون CICERON وكوينتيليان Quintilian.لم يكن أفلاطون يحب الإسهاب عندما كان يركز على الأفكار والقيم، أما أرسطو فكان يحلل تلك الأفكار فلسفيا، وأخيراً ظهرت طبقة من الفلاسفة السوفسطائيين الذين تبحروا فى البيان وأوضحوا الأفكار والقيم الأفلاطونية وأخضعوها للأستخدام العملى. وقد سارت عظاتهم فى خمسة مراحل :

١ - الفكرة ٢ - التنسيق ٣ - الأسلوب ٤ - الإتقان ٥ - الإلقاء.

وبعد ذلك ظهرت مدرسة أخرى منبثقة من المدرسة الأولى، سميت بالمدرسة السوفسطائية الثانية Second Sophistic وفيها طغى البيان والإلقاء على الفكر، وزاد التنميق والصنعة، إلى حد وصل إلى الإستعراض والتطرف.

وحين استخدم المسيحيون هذا الأسلوب المعاصر لهم فقد أزالوا منه الإفتخار والإستعراض اللفظى، وركزوا على قوة الكلام فى إقناع السامعين، وتحويلهم إلى الإيمان المسيحى، معتبرين العظة مجالاً لتدخل الله وعمل الروح القدس. وقد فرّق ذهبى الفم بين العظة السطحية والعظة العميقة قائلاً :

«إن كنت تظن أن الأمر سهلاً سيكون حديثك سطحياً مكرراً مملاً، ولكن إن دخلت

إلى أعمق التنصل بروح التحدى، كما قابل يعقوب الملاك فى يابوق فإنك سوف تصارع معه، ولن تتركه حتى يباركك النص ويبارك الذين ترعاهم روحياً»

لكى نعطى القارىء تذوقاً للأسلوب الخطابى سنورد فيما يلى نصاً لميليتو أسقف ساردس حوالى سنة ١٥٠م يتضح فيه الطلاقة فى اللغة مع عدم إهمال الجانب اللاهوتى فى التفسير، مما يجعل هذا الكاتب من أوائل من إستخدموا الخطابة فى الدوائر المسيحية قبل عصر الكبادوك، مخضعاً الخطابة للهدف الروحى، غير جاعل منها غاية فى حد ذاتها. يقول ميليتو فى كتابه عن سر الفصح (١٤:١٨)

«لأن مصر كلها مفعمة بالآلام والضربات فى دموع وأنين ونوح ونحيب وقرع الصدر، ذهبت إلى فرعون ممزقين لاملابسهم الخارجية فقط بل صدورهم القاسية وقلوبهم. كان المنظر مريعاً: فعلى جانب كان هؤلاء يقرعون صدورهم، وعلى الجانب الآخر كان أولئك ينوحون فى وسطهم، كان فرعون حزيناً، جالساً فى المسوح والرماد فى ثياب الحداد، لأن مصر قد سربلته بستائر جنائزية. كانت هى الحلة التى نسجت لجسد المستبد. كانت مثل هذه هى الحلة التى ألبسها ملاك القصاص لفرعون غليظ القلب. الحزن المرير، الظلمة المدلهمة، فقد الأبناء، وإقتناص الأطفال، لأن الموت الذى دهمهم كان موتاً ساحقاً سريعاً لايشبع».

كذلك يقول «بضربة واحدة سقط بكر المصريين – الإبن الأكبر، أول المواليد الذى طالما تمنوه – على الأرض، ليس بكر الناس فقط بل بكر الحيوانات العجم أيضاً. وفى سهول الأرض سمعت خوار الحيوانات تندب فلذات أكبادها، البقرة عجلها الرضيع، والفرس مهرها، وكل الحيوانات التى ولدت تئن بمرارة وتنعى أبكارها. وبين الناس كانت المراثى وقرع الصدور عند حدوث هذه الفجيعة بسبب موت الأبكار. أنتنت مصر كلها وفاحت رائحة الجثث التى لم تدفن، كان المنظر مريعاً مرعباً، والأمهات المصريات قد أسدلن شعورهن، والآباء شاربوا الذهن

يولولون بأسى بلغة مصرية»

Sources Chrétiennes 123.77

وفى نص بديع عن الآلام للعلامة ترتليان نلمح الأسلوب الخطابى :

قد مات كيف؟ فى قلب أورشليم. لماذا؟ لأنه شفى عرجاهم، وطهر برصاهم، وأعاد النظر إلى عمياتهم، وأقام موتاهم. لهذا تألم..... لماذا يا إسرائيل؟ لماذا إرتكبت هذا الجور الغريب؟ قد أهنت من أكرمك، رذلت من مجدك، أنكرت من اعترف بك، رفضت الذى قبلك. قتلت الذى وهبك الحياة. ما الذى فعلت يا إسرائيل؟ ..... لكن – يقول إسرائيل – أنا ذبحت السيد، لماذا؟ لأنه لابد أن يتألم. كلا، أنت مخطىء، يا إسرائيل فى تبريرك لنفسك هكذا بشأن ذبيحة الرب. نعم كان لابد له أن يتألم ولكن ليس بسببك، كان لابد أن يرزل ولكن ليس منك. وكان لابد أن يحكم عليه ولكن ليس بك. كان لابد أن يصلب ولكن ليس بيمناك»

Sources Chrétiennes 123.100

القديس يوحنا ذهبى الفم كنموذج للوعظ الخطابى

أشرنا إلى أن الخطابة عند المعلمين المسيحيين لم تكن هدفاً فى حد ذاتها، إذا كانت فى نظرهم مركبة للروح القدس، ومادة للتعبير عما يجيش فى قلوبهم من خواطر وتأملات عليا، إذ كانوا يشعرون أنه من واجبهم حث المؤمنين على التوبة والجهاد.

ويعد القديس يوحنا ذهبى الفم مثلاً فريداً للخطابة المسيحية فى أوج عظمتها. وقد إنتقد فى كتابه عن الكهنوت كتابات فالنتينوس ومارسيون التى بلا معنى، وخرافات سابليوس وأريوس لأنها خالية من الإهتمام بالإيمان والتقوى، ولأن هؤلاء الفلاسفة والهراطقة يركزون على النظريات ويتباحثون فى أسئلة بلا إجابة. وفى رأيه إن مثل هذه المباحثات تثير غضب الله (فى الكهنوت ٤:٥).

فالقديس هنا إذاً يركز أساساً على الجوهر، مع إقتناعه الشديد بأهمية

الشكل وفائدته فى الإقناع والدفاع عن الأرثوذكسية، بحيث يكون هدفه منفعة وليس مسرة السامعين، محتذياً بالقديس بولس الذى كان ينذر سامعيه بالدموع.

كان القديس يحب التعليم محبته للشعب الذى يعلمه فنسمعه يقول لهم : "إن وعظكم يجعلنى أتقدم، فحينما أبدأ فى الحديث يذهب عنى التعب وحين أبدأ فى تعليمكم يضيع الإرهاق فهكذا لا المرض ولا أيه عقبة أخرى قادرة أن تفصلنى عن حبكم.... فتماماً كما أنكم جائعون للإستماع إلى فهكذا أنا أيضاً جائع لأن أعلمكم. فشعبى هم مجدى الأوحد، كلاً منكم يعنى بالنسبة لى أكثر بكثير من أى شخص خارجى فى المدينة " .

وقد جاءت كتابات ذهبى الفم فى معظمها عظات مكتوبة إما كتبها هو بنفسه لكى يقولها، أو دونها بعض الكتبة من سامعيه ثم قام هو بنفسه، بتنقيحها وإعدادها للنشر. ونادراً ما نجده يكتب مقالاً دون أن يكون عظة موجهة للناس.

يقول ذهبى الفم ،

« من كل قلبى أشكركم لأنكم استمتعتم إلىّ بالأمس، وأنا أحثكم على الصلاة، وكان إستماعكم إلىّ بشغف حتى أنكم حضرتم اليوم بحماس ثانية إلى العظة. وهذا يشجعنا بالأكثر دفعة ثانية، ويحثنا على التحضير الأكثر دسامة لهذه الوليمة الروحية.

وكما يفرح الفلاح عندما يرى أن حقله والبذور التى زرعها قد أثمرت ثماراً وفيرة، والمحاصيل ازدهرت، عندئذ لايألو جهداً فى العناية بها ليل نهار حتى لايضيع تعبه هباءاً. هكذا الحال معى، عندما أرى الحقل الروحى قد علا مزدهراً وأن البذور الروحية قد زرعت فى مفارق النفس، حينئذ أبتهج وأسر، وأرهق نفسى فى المعركة، لأننى أعلم تماماً خبث عدونا الذى يجلس مراقباً صحة نفوسكم ».

إن حماسة ذهبى الفم هذه تذكرنا بقول شبيه للقديس أوغسطينوس الذى كان يندمج فى الحديث ثم يقول: «إنتهى المزمور وأنا أعزى هذا العرق المتصبب منى إلى حقيقة أننى ألقيت خطبة طويلة،ولكننى لم أشبع حماسكم بشكل كاف. إن لكم تأثيراً قوياً على الناس، ليت نفس القدر من الحماس يكون لديكم نحو مملكة الله.»

Briboth Y.,A Brief History of preaching, Fortress press, philadelphia, 1965, P.54.

ملاحظات على الأسلوب الخطابى للقديس يوحنا ذهبى الفم

١ - منهج عملى وليس نظريًا :

جاءت عظاته إنجيلية عملية، فى أسلوب سهل بسيط، بعيد عن الإصطلاحات اللاهوتية والفلسفية المعقدة، إذ يقول : «عظيمة هى الحكمة الأخلاقية (العملية) التى جبلها المسيح بين البشر!» . هكذا أعلن غاية منهجه هو الإنطلاق نحو السماء خلال الحكمة العملية السلوكية فيقول . «أحياناً أهاجم حب المال، وأحياناً النهم، ثم أناقش العفة، وبعد ذلك أمتدح الصدقة وأدفعك فى طريقها، ثم أنظر بالتتابع إلى فضائل أخرى» وهكذا يعلم بطريقة سلسة عملية.

٢ - كثيراً ما يستخدم التضخيم فى الكلام من أجل التوضيح :

فعلى سبيل المثال حين يمدح الرسول بولس يقول: «آه لو أعطيت أن ألقى بنفسى على جسد بولس، وألتصق بقبره وأتطلع إلى تراب ذاك الجسد الذى أكمل نقائص (شدائد) المسيح، وحمل السمات وبنور الإنجيل فى كل موضع؟! نعم! تراب ذلك الجسد الذى تكلم المسيح خلاله !....

يا لسرورى أن أنظر تراب العينين اللتين عميتا بالمجد ثم إستردتا بصيرتهما مرة أخرى من أجل خلاص العالم! هاتان العينان اللتان وهما بعد فى الجسد إستحقتا معاينة المسيح! رأتا الأمور الأرضية وفى نفس لم تنظراها . رأتا الأمور التى لاترى.»

أما وصفه لشماسته أولنبياس فقد علا بها فوق طغمات الملائكة، وجعل منها أقرب إلى الخيال فى عفتها ونقاوتها ونسكها وإحتمالها وحكمتها.

٣ - الأكثار من إستخدام التشبيهات :

والأمثلة الواردة فى الكتاب المقدس، أو المستقاة من واقع الحياة فى عصره، معتبراً أن العظة بدون تشبيهات أو أمثلة كالجسد بدون رأس فعندما يتحدث عن الناموس الموسوى يقول :

"إنه يشبه ثدى الأم الذى يصبح بلا نفع للطفل متى إستطاع أن يجلس على مائدة أكثر دسما».

«هل يفيد ضوء شمعة عندما تشرق شمس ؟ ".

وعندما يتكلم عن اليهود يقول: «أنهم يختبئون فى اليهودية كما فى الأحراش لو سمعوا صوت بولس لسقطوا سريعاً فى شباك الخلاص».

صارت أورشليم اليهودية «قارورة مكسورة».

أحياناً يحمل فى تشبيهاته شيئاً من السخرية الهادئة، ربما لكى لايمل السامع طول العظة. فيسخر من اليهود قائلاً: «تصوروا رجلاً يبلغ من العمر عشرين عاماً ولايزال يرضع من مربيته؟!.»

٤ - الإطالة فى بعض العظات :

يصل بعضها إلى ساعتين فى إلقائها. لكنها كانت حية، تحمل عواطف جياشة، تدخل بالمستمعين إلى أحاسيس عذبة فلا يملونها. كثيراً ما كان يعتذر لشعبه بسبب الإطالة، معلنا أنه لم يفعل هذا بغير هدف، كأن يقول: «ربما تظنون إنى ابتعدت كثيراً عن موضوعى. كلا فإنى لا أهدف إلى مجرد تلاوة قصة،بل قصدت إرشادكم بخصوص الشهوات المسيطرة عليكم».

٥ - كان يخرج أحياناً عن الموضوع الذي يتحدث فيه ثم يعود إليه ... مشبهاً نفسه بـ «الفنان الذى يريد عرض لوحته فى صورتها الحقيقية فيبتعد عنها المتفرج إلى مسافة معقولة حتى يبصرها بوضوح».... لكنه لاينكر أنه أحياناً ينجرف إلى خارج الموضوع بغير قصد، فنراه يقول: «حقاً، لا أعرف كيف بلغ بى الحديث إلى هنا خلال تيار كلامى. فلنعد سريعاً إلى موضوعنا».

٦ - التدرّج:

فعلى سبيل المثال لايطالب شعبه فى أنطاكية بأمور فائقة بل يتدرج معهم، فى إعتدال، حتى يبلغ بهم إلى هدفه، يقول :

«لهذا السبب أطالبكم بأقل الأمور. نعم أنا أعلم أن «الفقر الإختيارى» ثقيل عليكم جداً، فإن السماء ليست ببعيدة عن الأرض كبعد بذل الذات عنكم». وهكذا متعاطفاً معهم - يعطيهم الأسهل فالأصعب.

٧ - صراحته فى غير محاباة:

كان وضوح الهدف أمام عينيه يجعله لايعرف المجاملة على حساب الحق، إنما ينطق به بكل قوة دون أى إعتبار آخر سوى الدخول بالكل إلى «الحياة الإنجيلية العملية» فمن أقواله :

«ليضحك من يضحك! وليتهكم من يتهكم! هذا لن يشغل ذهنى، فإنى لم أشغل هذا الموضع إلا لأكون مرفوضاً وأضحوكة!

إنى مستعد أن أحتمل كل شىء.

من يصر على تصرفاته، ولايسمع لتحذيرى، أمنعه من الدخول فى الكنيسة كما بصوت بوق، حتى إن كان أميراً أو إمبراطوراً.»

٨- يكثر من التشجيع لا التهديد:

أعجب القديس بمنهج سيده الذى إتسم بإيجابيته فى حديثه وأمثاله، فهو يشجع البشر للتوبة بالكشف عن الأبدية والمكافآت العلوية. فإن جاذبية الحب للتوبة أسمى من التوبة بدافع الخوف!

يقول: «إننا على وجه الخصوص نعجب من تعليم السيد المسيح، إذ يضع فى أمثاله مكافآت الجهاد مثل أن «نعاين» و «نرث ملكوت السموات»و«نصير أولاد الله».

٩ – معيته مع شعبه :

خلال الإنجيل تعرّف القديس يوحنا على مفهوم الكرازة، إنها ليست مجرد فصاحة اللسان ولابلاغة البيان، إنما هى بالأكثر أبوة حانية وهى «معية الكارز مع الأولاد». وقد أعلن ذلك فى أكثر من موضع، قائلاً :

«بالفرحتى أن أرى وجوهكم المحبة إلى ! »

لكنه ليس لقاءاً غير هادف، إنما لقاء حب فيه يتمجد الله فى حياة الكنيسة وحياة الكارز.

«إن إهتمامى العظيم أن تجتمعوا كلكم ههنا كأنكم أعضائى الشخصية! أتطلع إلى نموكم كشرف خاص بى! »

أشتهى أن أراكم ملتهبين من أجل مجد الله، والكنيسة ومجدى!»

«أستطيع أن أكون معكم على الدوام، بل أنى بالحرى معكم دائماً، فإنى وإن كنت لست حاضراً بالجسد، لكننى حاضراً بقوة الروح! ليس لى «حياة» أخرى سواكم، سوى الإهتمام بخلاصكم! إنى أحملكم جميعاً فى ذهنى، ليس فقط أثناء وجودى هنا، لكنى وأنا فى دارى أيضاً. إن كان الجمع عظيماً وقياس قلبى ضيقاً، فإن الحب متسع : «أنتم لستم متضيقين فينا».

لقد إنعكس هذا الحب الكرازى على شعبه، فليس هو وحده يشتهى أن يراهم من أجل بنيانهم، إنما هم أيضاً يتوقون إلى وجوده وسطهم ينعمون برعايته إذ يقول :

«أنا إنسان بائس ومسكين وبلا خبرة فى التعليم، لكنى إذ أتطلع إلى هذا الجمع أنسى ضعفى وفقرى وعدم كفايتى»

حبكم طغى علىّ!

أرى غيرتكم للإستماع فأتشجع فى غير تردد» .

١٠ – حزمه معهم :

لقد طالبنا القديس بالإعتدال فى كل شىء، معلناً أن اللين الزائد المستمر أو التساهل من أجل إرضاء الرعية يفسد خلاص نفوس رعيته. فمن أقواله: «الإهتمام الخاطىء فى إسترخاء الغير فحسب إنما هو خيانة ضد خلاص الراعى وخلاصهم».

ويحدث أولاده الروحيين قائلاً: «إنى أفضل أن أكون فى أعينكم إنساناً متكبراً لايمكن التفاهم معه عن أن أترككم تفعلون ما لايرضى الله».

أما عن وسائل التأديب فإنه يستخدم التوبيخ والإنتهار حتى يبلغ إلى الطرد من الكنيسة أيضاً، ففى التوبيخ يقول «إنى ملتزم بوعظكم، وعلى درجة الخصوص، إستخدام التوبيخ معكم». أما عن الطرد فقد ظهر بوضوح فى موقفه مع الإمبراطورة أفدوكسيا حين أصرت على خطيتها، (وهى صنع التماثيل لها) فأغلق باب الكنيسة فى وجهها.

يرى القديس أيضاً أن التأديب يزداد شدة كلما نال الإنسان مواهباً أكثر وأعطيت له إمكانيات أعظم. ويرى كذلك إظهار الحنو والترفق جنباً إلى جنب مع الحزم.

ولكن فى حزمه نجد لغة التشجيع موجودة دائماً: «إن لومى لكم اليوم عنيف لكننى أرجو أن تسامحونى، هذا لأن نفسى قد جرحت. فأنا لا أتكلم بهذه الطريقة بدافع العداوة لكم ولكن بدافع إهتمامى بكم. ولذا فسوف أتخذ الآن نغمة أرق،... أنا أعرف أن نواياكم حسنة، وأنكم تدركون أخطاءكم. وإدراك الشخص لعظم خطاياه هو الخطوة الأولى والعظمى فى طريق الفضيلة ... فأنا أقرأ الآن مشاعركم على وجوهكم وأشعر بندامة نفوسكم. ولكنكم لابد أن تقدموا تأكيداً أنكم لن تقعوا فى نفس الخطية مرة أخرى، وبعد هذا التحذير الجاد، أنكم لن تندفعوا نحو نفس الألعاب الشريرة ثانية.»

«إننى أتوسل إليكم أن تصنعوا هذا المعروف كمكافأة لى على عظتى: قوّموا كل من تجدونه فى المدينة يلعن ويفترى. إذا

سمعت أحداً يجدف على الله فى الشارع أو فى وسط السوق إذهب إليه وأنتهره، وإذا كان لابد أن تضربه فلا تتردد. اصفعه على وجهه، اضربه فى فمه... فإذا شتمك وقدمك للمحاكمة، إذهب وقل للقاضى بهدوء إنه أهان ملك الملائكة!»

الخطابة عند القديس شنوده رئيس المتوحدين

ولد الأنبا شنوده فى سنة ٣٣٣ وتوفى فى يوليو سنة ٤٥١م، وكان قد طعن فى السن حتى بلغ الثامنة عشرة بعد المائة، وذلك بالرغم من إغراقه فى التقشف والعيش على الكفاف. ويلوح للباحث أنه لم يرض عن نظام باخوميوس كل الرضا ، فاعتبر أن فيه تساهلا كبيراً. ومع إحتفاظه بتعاليم الشركة أدخل عليها من التعديلات ما جعل حياة الأخوة فى رعايته أصعب وأشد مما كانت عليه الأوضاع المقبولة عند باخوميوس.

وكان شنوده يعادى كل شىء بيزنطى، وهذا يفسر لنا موقفه العنيف من تسطور والحركة النسطورية فى القسطنطينية، كما يفسر لنا الفرق الهائل بين نظام شنوده وبين مؤسسات باخوميوس من زاوية أخرى، إذ بينما كانت هذه الأخيرة دولية فى طابعها يقصدها المصرى والبيزنطى واللاتينى والفلسطينى والليبى والأفريقى على السواء، أصبحت الأولى قاصرة على الرهبان من المواطنين المصريين الأقباط فحسب. وهذا الوضع الضيق يوضح لنا أيضاً سبب قلة المعلومات التى أشارت إليه فى كتب الرحالة والحجاج الذين درجوا على زيارة مؤسسات الآباء المصريين فى أقصى القفار المصرية، لاسيما بلاديوس الذى لم يورد فى كتاب "بستان الرهبان" أية إشارة للأنبا شنوده أو جماعاته الرهبانية. وليس من المعقول أن بلاديوس كان جاهلاً بوجودها، وأغلب الظن أنه لم يستسغ مبادئها، فآثر أن لايتعرض للكلام عنها وعن مؤسسها.

يقول المؤرخ الدكتور عزيز سوريال عطية،[1] وهكذا فقد أنشأ شنوده مركزاً جديداً من مراكز الحضارة الدينية بالصعيد، وكان على جانب عظيم من الأهمية في تاريخ الديرية والقومية المصرية على السواء، ولازال مع الأسف هناك قصور في البحث والتنقيب في مختلف مناحيه، ومعلوماتنا بتفاصيله إذا قيست بما نعلمه عن الجماعات الباخومية. وهذا المركز الحديد كان يقع في قرابة سوهاج أو بالأحرى قرب بانوبوليس وهي مدينة أخميم باخوميوس، غير أنه كان أشد عنفاً أو أقل إنسانية من نظام زميله ومعاصره في منطقتي طيبة وقنا. وكان شنوده رجلاً شديد المراس بالطبع.

وكان شنوده من أئمة العاملين على تهذيب اللغة القبطية، وآدابها الدينية من التأثيرات البيزنطية. وهذه الحركة في الواقع جزء من حركة أوسع منها بدأت في حجر الكنيسة القبطية، وتتلخص في يقظة الوعي القومي المصري، والعمل على تحقيق إستقلال مصر من الناحية الدينية عن القسطنطينية، تلك الحركة التي أخذت في الإضطراد حتى شملت الحياة الإجتماعية المصرية، وتطورت في النهاية إلى درجة الطموح إلى الإستقلال السياسي عن الدولة البيزنطية. من ذلك يتضح أن شنودة كان لحد ما من بناة أول مشروع إستقلالي لهذا الوطن منذ إنهياره في عهد الوثنية القديمة على يد قمبيز الفارسي سنة ٥٢٥ ق.م.[2]

أما أسلوب رئيس المتوحدين في الوعظ فاتسم بالقوة والسلاسة والحماس والعاطفة الفياضة.

ونعرض في الصفحات التالية لعظات تنشر لأول مرة (وقد قمت بترجمتها عن الفرنسية) وهي أقرب ما تكون إلى تمجيد ليتورجي، أو تسبيح عميق المعاني، قوي، وبسيط الأسلوب.

عظة للأنبا شنوده بمناسبة عيد الميلاد المجيد

(نقلا عن جورين ١٩٠٤) Reviw Egyptologique V.11:1 (1904)

مبارك أنت يا الله القدير، أيها الرب إله القوات، المجد لك يارب، إنها عظمتك التي تنبعث من هؤلاء الذين في سماء السموات.

إنك حقاً مستحق أن نباركك أيها الإله الحق يسوع المسيح الوحيد، الذى وحده أتى من الإله الحق، وهو مستحق أيضاً البركة، وروحك القدوس، لأنه أنت الذى خلقت كل شيء من الملائكة إلى الإنسان والقوات والرئاسات والسلاطين، الشاروبيم والسيرافيم وكل أرواح الصديقين التي ماتت لتكون في خدمتك بكليتها، يليق بك المجد، والعظمة لك من جيل إلى جيل ....

المجد لك أيها الإله العظيم، لأن كل أعمالك وكل عطاياك هي بغير حدود، لهؤلاء الذين يستحقونها والذين لايستحقونها، المجد لك عندما تطل على الكون من سماءك لتفيض عليهم بالخيرات.

المجد لك عندما تتخل عن ثورة سخطك وعندما يهدأ غضبك .... المجد لك يامن ترسل شمسك فتشرق على الأبرار والأشرار، وتمطر سماءك على الأشرار والظالمين ..... المجد لك يامسيح الجاحدين والعصاة، في هذا العالم حيث نعيش نحن، هكذا أردت أن تكون، يامن تعلم ما يوجد مما لم يوجد بعد.

المجد لك يامن تعطى بغير حدود وتصب علينا خيرات مسيحك... فبعيداً عنك لا رجاء لأن جميع رغباتنا تتجه نحوك في حياتنا، وحتى مماتنا، ومعك أيضاً تأتي حياتنا إلى نهايتها ... المجد لك يامن تظلل ببركاتك على أولئك الذين جبلتهم حتى من كل الأمم غير الأنقياء ... المجد لك يا معطياً طعاماً للإنسان والحيوان، والحيوانات المتوحشة والزواحف.... المجد لك يامن تدعو كل البشرية لكى تنقذهم من خطايا وخدع

الشيطان خاصة أنهم يعرفون أن الشيطان، هو الذى شتتهم وانحدر بهم بعد أن أصبحوا يسودون عليه حتى قتلهم ... وبالتأكيد أنا لا أتكلم فى حضرتك ضد رغبتك، حاشا.... فإنك لاتريد لنفسى أن تهلك .. وحتى الذين سبقوا فماتوا ... لأنه لايكون موت بل إنتقال إلى قلب الحياة...

المجد لك يامن تكافىء وسوف تكافىء شعبك بكل الطرق كحسب صلاحك، والذى يجازى بسخاء الأحياء الذين يلتجئون نحوك والذين سيأتون بعدنا.

المجد لك يامن سوف يدخلهم إلى فرحه وملكوته، يامن تعطيهم الراحة الأبدية من خلال عطاياك التى وعدت بها محبيك.

لك المجد أيها القدير والعظيم ... أيها العجيب العلى، أيها الكلى القدرة الذى يظهر ذاته فى كل أعماله.

عظة للقديس الأنبا شنوده عن الصلب

(نقلا عن جورين ١٩٠٤)

المجد لك يا من إرتفعت على الصليب لئلا تتحطم الأرض وتنهار على الذين صلبوك، فأنت تعرف أنه سيأتى يوم للقصاص منهم ... المجد لك يا الله من يعطينا الحياة ، أنت وأبوك، ولطول أناتك لم تضرم النار فى هذا الكون، بصلوات الذين يتضرعون إليك.... كل العالم إمتلأ من أبناء صهيون وأورشليم الذين يحتفلون بإسمك فى قلوبهم، وقبل أن يأتى اليوم الأخير من كان يستطيع أن يحصى عباد الأوثان فى مكان فى كل العالم.

لقد دخل الآن أناس من الذين كانوا يعبدون الخفافيش... فى أيام ضلالهم، أما الآن فيهرعون إليك من كل الأمم، من الجبال والصحارى فهم يحبونك ويحبون أباك... ألست أنت فى العالم فى كل وقت دون أن نراك؟! والآن أيضاً فى هذه الأيام لانراك وجهاً لوجه،

لكننا نؤمن بك ونحبك وبأبيك، الذى جعلتنا نعرفه. لقد أوجدت العالم بفضلك، ولكن بنعمتك، ولكنه صليبك هو الذى ربح الأرض كلها، وحول الكون كله، وهؤلاء الذين كان لهم قلوب حجرية أصبحت قلوبهم لحمية، تلك التى تشعر وتحس، وهذا ماقاله النبى "وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحى فى داخلكم" (حز ٣٦:٢٦ـ ٢٧)

إذا كان هناك بعض من الأتقياء ممن لم يقوموا من موت خطاياهم، فهم هنا لأجل عقابهم، لأن الذين ماتوا بالجسد يحيون مرة أخرى، لكنهم لن يحيوا مرة أخرى هؤلاء الذين غيّرتهم خطاياهم إلى حجارة، ولم يتبق لهم أى أحاسيس. فى كل وقت ليسكن نور عظمتك فى السماء والكون كله، ويكون مملوءً من مجدك، ويكون إسمك عظيماً جداً على كل الأرض. من يستطيع أن يتغنىببهاء ومجد عظمتك وكل أعمالك العظيمة الرائعة الفريدة بين العجائب كلها؟! لك البركة أيها الملك... أيها الرب الإله القدير الذى جبل كل الأرض وكل ما عليها، يرهبه ويخشاه كل الساكنين عليها الأبرار والأشرار، الآباء والأبناء، الملوك والشعوب، فتجعلنا نخاف كلمتك وقوانينك وكل تعاليمك وكل أماكنك المقدسة، وتجعلنا نحترم الإكليروس والرهبان وتنزع منا كل وقاحة وتهور لكى تجعلنا نخشى كلامك وكل أحكامك وقوانينك.

المجد لك أيها المسيح مخلصنا، الذى نقى خاصته وأناسه، وجعلنا متحدين بعد أن كنا مشتتين.

المجد لك يا من تحمى كنائسك المقدسة، وكل دور عبادتك وبيوتك، والذين يخدمونك من كل قلوبهم، وجعلتنا أحراراً من خطايانا ونفعل كل مايرضيك حسناً فى حضرتك.

إنه ليس حسناً لنا، وليس مفيداً فى حد ذاته أن كنا نرتدى الزى الرهبانى (الإسكيم)، إن لم يجعلنا

نعمل أعمالاً صالحة أكثر من هؤلاء الذين نتحدث إليهم، فنحن نتغير فى نظر هؤلاء بالإسم فقط ولكننا نصنع خطأ أشر إن لم نتغير روحياً حتى لانجازى.

المجد لك إذ أنك أزللتنا بالحروب من أقاصى الأرض إلى أقصاها، وإذ سمحت لهؤلاء الأشقياء أن يحاربونا هنا على الأرض، أليس هذا بحق لأننا أخطأنا فى حضرتك؟ أليس أن الجدران التى رفعت فى جهلك كانت مبنية على الرمال، حتى ان نفخة غضبك سوف تهزهم فيسقطون إذ ليست لهم قوة، لأنك لست معهم أعنى الأشرار. وإن حدث هذا فسيكون نتيجة لجهلنا والذى سيعطيهم قوة ضدنا، كما أعطيت قوة لآبائهم ضد هؤلاء الذين لم يحفظوا قوانينك وأحكامك، وليس معنى هذا أن من يعبدون الأخشاب والأوثان سوف يزعجون ويضايقون خاصتك دائماً.

المجد لك يامن جعلت سلامك فى بيعتك المقدسة وفى مقادسك فى العالم أجمع، فأنت سوف تحمينا ضد الأخطار، وسوف تشتت قلوب كل أعدائك وكل الأشرار من أمام وجه كل من يرجوك، وكل من يجتمعون بتقوى، وكل المتوحدين الذين يطلبون إسمك فى كل مكان.

إننا سوف نضايق أولئك الذين لايعرفونك، حتى يعرفونك، ونمنح سلامنا إلى أولئك الذين يضعون رجاءهم فيك وفى إسمك فى كل الأرض.

وأيضاً سوف ينصب غضبنا عليهم، نعم عليهم، هؤلاء الذين يعطون قلوبهم لأوثان الشياطين، وسنكون رحومين مع الرحماء من أجل كثرة رحمتك، نحن وقد عرفنا أنك شملتنا بدفء حبك، فسوف نمنح الحب للذين يحبون البؤساء، الذين هم ضعفاء كالأوراق لأنهم فى الحقيقة لايعرفونك."

ونقتبس أيضاً من عظة حماسية يهاجم فيها القديس شنوده قوات الشر نشرها يوسف حبيب ١٩٧٠ بعنوان

"مهاجمة القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين للشيطان"

يقول موجهاً الحديث إلى الشيطان :

" حقاً إنه بسببك أنت ، يارئيس الشر، قد حصل كل أمر شرير، لقد أقمت مستعمرة لكل شر في وجه كل خير، ولكن إذا كنت فضلاً عن ذلك تُقَوّى في الناس الكراهية ضد المحبة والعداوة ضد السلام والدنس ضد الطهارة والعنف ضد الحق والعدل، وكل الأشكال الأخرى للعصيان ضد التقوى، هل يذهب الجميع إلى الهلاك؟".

طوبى للذين يفكرون : " ماذا تستطيع فعله بعض الحِزَم من الحشائش والقش ضد النار حينما يلقونها عليها؟! أو ماذا تستطيع بعض الأوانى الطينية ضد الحجر وهم يرمونها عليه؟!

إنى أقول هذا ضدك أيها الروح النجس،

من تكون أنت مع كل شرورك أمام قوة الله الكائنة في الإنسان الذى يجتهد في فعل الخير؟؟، لاتغتر بخداعك للناس النيام الذين سلبتهم وكنست بيوتهم، تعال ضد اليقظين الذين يسهرون.

أيها السفاح :

لماذا تحوم حولهم في خيالات الأحلام ذات الأشكال العديدة؟؟

أيها المتمرد :

إذا كنت شجاعاً في الحرب فلا تترك الطرق التى بها يحاربك كل من يسلّم نفسه لله بإخلاص وينكر نجاساتك. بك أنت كل الضعفات، وعندك مرض النجاسات من كل نوع."

«أيها المملوء من كل مكر وخبث وإلتواء :

أتتخذ شكل ملك أو جندى لكى تُدخل الإضطراب والخوف إلى

النفوس؟؟ أية منفعة تنالها وقد أعدت لك جهنم مع كل جنودك الشريرة ؟، بل أية منفعة ترجوها وأنت تقيد الناس بالخطايا ليكون نصيبهم النار التى لاتطفأ...؟!

إنك تغير ذاتك بعالمك الذى هو من نور كاذب ... إن كل ما تملكه إنما هو تزوير ومصيره الفناء.»

ثم يقول :

«... إذا كنت تظهر فى شكل ملاك للذين لاتملكهم فهم لايصدقونك لأنهم يعرفون علامات الرب، يعرفونك أنك الشيطان من أعمالك ... إذا ظهرت فى أشكالك الكاذبة للذين يتحفظون ضدك فستنفضح لأنهم يتعرفون عليك فماذا أنت فاعل؟ إنك حتى لو تشكلت بصورة ملاك من نور فلن تكون مخفياً عنهم...»

« إنى أجحدك وأشتمك وأقول ذلك ضدك وأكثر من ذلك أيضاً بالنهار وبالليل وفى كل وقت ولاتجد ما تفعله بى، لأنه لو كان فى مقدورك أن تفعل شيئاً - ولم تدركنا معونة المسيح - لما كنت تمتنع.

ليس نصراً لك أن تملأ الجسد بالوجع والألم ... إذا كان هذا السلطان لك فمن هم الذين إنتصرت عليهم، أليس أولئك الذين أسقطتهم بكل الطرق وهم فى معرفة كاملة ولم يكن جهلاً منهم - من لايعرف ويجهل حيلك السحرية ...؟»

نظرة كتابية :

+ إستخرج عظات الكتاب المقدس.

+ حدد أسلوب الوعظ والتعليم فيها من حيث المضمون والأسلوب .

+ ما هو تقييمك لطرق التحفيز التى إستخدمها الخادم لإقناع سامعيه من حيث فاعليتها ومناسبتها فى العظات التالية :

عظة يشوع (٢٣ : ٣ - ١٦)

العظة على الجبل (مت ٥ - ٧)

عظة بطرس (أع ٢:١٤ – ٣٦)

عظة إسطفانوس (أع ٧:٢-٥٣)

عظة بولس (أع ١٣:١٧)

عظة بولس فى أثينا

(أع ١٧:٢٢:٣١)

تدريب:

١ – هل تصلح الخطابة فى أيامنا المعاصرة وفى أى المناسبات؟

٢ – صمم عظة خطابية تصلح للجمعة العظيمة فى حدود صفحتين فلوسكاب.

٣ – قارن منهج ذهبى الفم التربوى بالمنهج الحديث فى التربية، إن كنت قد قرأت عن المدرسة السلوكية (سكنر) (أنظر كتاب صناعة الأجيال للمؤلف) أو قد قرأت مبادىء التشجيع والعقوبة فيمكنك عمل هذه المقارنة بسهولة.

الفصل الثامن
التعليم بالتلمذة الرهبنـــة

فهرس تحليلى

الصحراء مدرسة وبستان يجمع عناصراً متعددة.

– وقد تكون فى الرهبنة عناصر تبدو لأول وهلة متعارضة: فهى إعتزال عن العالم ولكنها لصالح العالم، وهى حياة علمانية ولكنها كنسية، وهى فردية ولكنها توحى بالشركة ، وقد احتوت على علماء وبسطاء أميين.

– ونجد فى الرهبنة الشدة مع النفس والتسامح مع الآخر، كما نجد القمم العالية التى يصل إليها الراهب بالتدرج.

أما عن طرق التدريس فى الرهبنة فهى متعددة أهمها القدوة والوعظ الصامت وكلمة المنفعة والسؤال والجواب والحفظ والنسخ، وهناك الثنور الرهبانية كوسيلة تعليمية، كذلك فهناك القوانين والعقوبات.

الفصل الثامن
التعليم بالتلمذة الرهبنـــة

فكر معنا

الصحراء مدرسة للفضائل.

– هل توافق على هذا الرأى أم ترى أن التفاعل مع الآخرين يزيد القدرة على التعليم أكثر من الوحدة والإنعزال؟

– ما هو أثر البيئة التعليمية على التعلم؟

– هل تحقق الرهبنة مناخ تعليمى مميز؟

– هل يمكن تطبيق الدروس المستقاة من الرهبنة على التربية الكنسية، بمراحلها المختلفة، وطابعها المميز كحياة وسط العالم؟

آباء الرهبنة والتعليم فى الصحراء

الصحراء مدرسة النفس البشرية ففيها تصفو النفس ويهدأ الفكر وتقل إحتياجات الجسد، فيستنير العقل برؤية أنوار السماء، وتنطلق الروح من نطاق الجدران الأربعة التى تحد الساكنين فى العالم. فليس بغريب أن تُخرج الأديرة قديسين وعلماء وأساقفة وشهداء، فالراهب تفرغ لممارسة الفضيلة والعبادة وتهيأ لبذل النفس وحمل الصليب وتجرد من كل ما يعطله عن الطريق الضيق.

فهل لنا أن نجد فى أسلوب الحياة الرهبانية فائدة لكتابنا التربوى هذا؟ لاشك أن المحاولة تستحق الجهد الذى نبذله. هناك "منهج" تربوى متكامل للحياة الرهبانية، بالرغم من أنها ليست "مدرسة" بالمعنى الأكاديمى.

نستطيع أن نركز فى تحليلنا على بعض القواعد والمواقف التى لها علاقة بالتربية، محاولين فى النهاية أن نحلل أطياف النور الآتية لنا من وسط رمال

الصحراء، لنخلص ببعض المبادىء التى تفيدنا فى خدمتنا لعالم اليوم الذى يعانى.

العقبة الأولى التى تواجهنا عند بداية خوضنا فى تحليل الموقف التربوى لمدرسة الصحراء هى: تنوع الأنظمة والأنشطة الرهبانية، وتعدّد المناهج وتشعّب الممارسات بين عصر وعصر، وبين دير ودير، وبين أب وأب، حتى يخال إليك أن كلمة رهبنة تعنى عشرين معنى أو يزيد.

وأما العقبة الثانية التى تواجهنا فى تحليلنا التربوى للخبرة الرهبانية فهى: نقص المراجع التى تتكلم عن هذا الموضوع. فإن كان لدينا مئات الصفحات من الأدب الرهبانى ومئات من القصص البديعة، إلا أن هذه الأقوال والأفعال لا تأتى مرتبة أو منظمة، وقد يحتوى بستان الرهبان على فكرة وعكسها، أو مبدأ والإستثناء له. وقد جُمعت هذه الأقوال المأثورة بأقلام عديدة وفى عصور متفرقة لشخصيات شتى مختلفة فى إتجاهاتها ونقاط البداية عندها، لذلك فإن تصنيف وتبويب الفضائل والمواقف الرهبانية يحتاج إلى جهد أكبر من الجهد الذى نقدمه لقارئنا، رغم أن خلف هذه الصفحات القليلة جهداً ليس بقليل.

وسوف نتكلم بإختصار عن الأنظمة الرهبانية، وعن بعض المبادىء التى قد تبدو لأول وهلة متعارضة، ثم نحلل شخصية الأب الروحى فى الرهبانية، وطرق التعليم المختلفة فى الأديرة، حتى تكتمل الصورة فيرى القارىء مدى الفائدة التى يمكن أن يستخلصها من مجرد التأمل فى نموذج الصحراء.

١ - الرهبنة حركة نبوية مقابل الشكلية :

نقصد بالإتجاه النبوى للرهبنة عودتها التلقائية إلى مبادىء الإنجيل، ورفضها لأى نظام دنيوى يدخل إلى الكنيسة. فلم يكن قسطنطين الكبير بل

أنطونيوس الكبير هو مُجدد الكنيسة. لأن قسطنطين مدّ الكنيسة بالثبات السياسى والبناء المادى أما الرهبنة فدعت إلى التجرد والإنعزال عن السلطة، ورفض الحياة فى مؤسسة كالتى تقدمها الدولة البيزنطية، فأعطت الكنيسة ثمراً روحياً وعمقاً فى التأمل.

والكنيسة مُحاربة دائماً بالشكلية، وسيادة النظام الهرمى، وضياع الشركة والنسك الإنجيلى، لذا فهى محتاجة إلى الرهبنة لتذكرها بزوال العالم وعدم أهمية الرتب أو المقتنيات. وفى كل مرة تقع الكنيسة فى الشكلية تجدد الرهبنة نفسها لتذكرها بزوال العالم كما حدث فى حالة الرهبنة الفرنسيسكانية ، فقد قابل الأب فرنسيس الأسيزى بابا روما بملابسه البسيطة وهو يرتدى حبلاً حول وسطه، وقد أُعلن للبابا أن فرنسيس هو الذى سيجدد الكنيسة الكاثوليكية !

٢ - الرهبنة علمانية موازية للحياة الكنسية :

نشأت الرهبنة بواسطة العلمانيين، كما بدأت رهبنة البنات قبل البنين، واستمر قادة الرهبنة بدون رسامات كهنوتية أو شمّاسية، ولكن الرهبان حرصوا دائماً على التناول ولو لفترات متباعدة. أما الحبساء والسواح فقد طلبوا المناولة فى نهاية حياتهم وحصلوا عليها بمعونة إلهية، مما يدل على حرص الرهبان على الإنخراط فى سلك الكنيسة الجامعة. وأوصى باخوميوس بالتناول مرتين فى الأسبوع (السبت والأحد).

أما القديس باسيليوس فقد ربط بين الحياة الكنسية وبين الرهبنة بشكل أكثر وضوحاً، فالكنيسة عنده يجب أن تكون كنيسة ناسكة مثل كنيسة الرسل، كما وُجد فى بنطس فى عصر باسيليوس نساء يعشن فى العالم كراهبات، وإعتبر باسيليوس النسك فضيلة مسيحية وليست فضيلة رهبانية.

٣ - الرهبنة إنعزال عن العالم فى مقابل مواجهة مشكلات الحياة :

- نشأت الرهبنة بصدمة عانى منها القديس بولا، حين رفض أخوه تقسيم الميراث بعد وفاة والده، فانعزل بولا عن العالم،لذلك قال أنطونيوس لأبيه حين مات «أين قوتك وسطوتك ....» وقرر أن يترك العالم بإرادته قبل أن يتركه بغير إرادته. فالرهبنة إذن إعتزال عن الكل للإرتباط بالواحد.

- لكن الراهب المعتزل يحب الناس، ويصلى لأجل سلامة العالم، وهو لايهرب من الناس إلا ليكون مع الله ممثلاً عنهم.

- وتمتلئ الرهبانية بأعمال المحبة للآخرين، كما يتضح من قصة الراهب أغاثون وخدمته لشخص أبرص حتى كان يتمنى أن يستبدل الله جلديهما !

- ونجد الأنبا شنوده رئيس المتوحدين يعول قرية كاملة فى الدير أثناء الأوبئة.

- ونرى فى الرهبنة الكاثوليكية وخاصة الآباء اليسوعيين إهتماماً بخدمة المجتمع كالمدارس والمستشفيات ....إلخ

- كذلك نجد المكرسات فى الكنيسة القبطية فى العصر الحديث يقمن بخدمات جليلة للمجتمع.

فهل الرهبنة عزوف عن العالم وإستعداد للملكوت ، أم هى مواجهة لمشاكل العالم حتى يصبح العالم كنيسة (ليأت ملكوتك) ؟

- يصح أن نتبنى الموقفين رغم ما فيهما من تضاد.

فالرب يسوع يقول "من أجلهم أقدس ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو ١٧: ١٩).

فالراهب باكورة مقدسة لله حتى يكون العجين كله مقدساً.

وتخصيص الراهب لذاته سواء للعبادة أو للعمل هو تعجيل بمجيء الملكوت على الأرض.

٤ – الرهبنة فردية ولكنها تؤمن بالشركة :

يقول الكتاب : ويل لمن هو وحده إذا وقع إذ ليس ثان ليقيمه (جا ٤: ١٠)

الرهبنة تؤمن بالوحدة لكن فى هذه الوحدة درجات :

١ – فهناك أب يعيش فى الوحدة، ويعيش حوله أولاده فى الوحدة أيضاً، ولكنهم يستظلون بصلواته ويسترشدون بخبرته ونموذجه من حين لآخر (الرهبنة الأنطونية).

٢ – وعند شنوده رئيس المتوحدين كانت كل قلايتين تبنيان متلاصقتين،ولكن لكل واحدة منهم فتحة مستقلة بحيث يدخل الراهب ويخرج دون أن يرى الآخر. ولعل وجود شخص بجواره يفيد في تشجيعه معنوياً حتى ولو لم يراه، كذلك فقد يفيد فى حالات الطوارىء.

٣ – أما الرهبنة الباخومية فربما استفاد باخوميوس من الحياة العسكرية، التى كان يعمل بها قبلاً، وفيها نجد مجموعة من الرهبان الذين يعملون حرفة واحدة فى دير صغير (دير الخبازين أو النجارين...الخ) ولكنهم غير مسموح لهم بالحديث مع بعضهم البعض إلا فى أضيق الحدود.

٤ - وهناك نوع آخر من الشركة حيث يكون الأب ساكناً فى قلاية محاط به مجموعة صغيرة من التلاميذ (وادى النطرون).

٥ – أما الرهبنة الباسيلية فنظراً لشدة الصقيع فى كبادوكية فقد أخذت شكلاً جماعياً، تشبه النسك العائلى فى كنيسة الرسل، كأن تعيش أسرة فى التكريس أو مجموعة من الرهبان أو الراهبات فى منزل.

وكان باسيليوس يرى النسك فضيلة مطلوبة من كل مُعمد كما حدث فى الكنيسة الأولى، مما جعل عدد المقبلين على العماد فى عصره يقل نسبياً بسبب التردد فى قبول الحياة النسكية.

والخلاصة أن الرهبنة حركة روحية وليست جسدية، يكون فيها الهدف وليس الصحبة هو المؤشر على صحة الممارسة.

فالإعتزال أو الإختلاط بالآخرين يكونان لأجل الرب، ونرى هذا واضحاً في قصة أرسانيوس الصامت، وموسى الأسود الذى كان مضيفاً بعد توبته، وقد رأى الرهبان رؤية، وإذ كلاهما في قارب واحد يسيران في الإتجاه السليم.

٥ - الرهبنة بستان يسمح بتعدد المواهب مع وحدة الهدف:

فكما أن البستان يحتوى على زهور متنوعة هكذا ضمت الرهبنة التائبين والمثقفين والبسطاء والودعاء والصارمين والمتوحدين، وقد اشتهر كل منهم بفضيلة مختلفة عن الآخر.

كانت رائحة البستان تُفرح قلب الله ويفوح عبيرها لتنعش العالم. فهل أكتفت الرهبنة بالتنوع والحرية في التعبير عن التدين وتعدد المواهب؟ كلا فقد حرصت الرهبنة على النمطية والقانون المشترك والآداب العامة، بل وحتى الزى الموحد والرتب المتدرجة وكأنها جيش بألوية (نش ٦ : ١٠)

والنظام في الرهبنة لايلغى التنوع، ولاينشيء نمطية صارمة أو قوالب جامدة.

فقد تتنوع المواهب والهدف واحد، أو يتمايز الرهبان في الفضائل ولكن لهم قلب واحد.

وقد يختلفون في الثقافات أو البيئات أو المستويات الروحية،فمنهم المبتدىء والمتعسر ومنهم الروحانى والقديس، ولكن كلهم يجاهدون معاً، كشعلة إنضمت فتائلها لتضرم البرية بنار لاتحرق، وجبات بخور إنصهرت في مجمرة الحب الإلهى.

وفى هذه كلها دروس تربوية تصلح حتى يومنا هذا للكنائس والجمعيات، والأسرة المسيحية المعاصرة.

فكم من خدام نبذوا بعضهم البعض لإختلافهم فى الأمزجة، وكم من أسر تفككت بخلاف الرأى والصراع على السلطة ، ونسوا أننا يمكن أن نختلف ونظل أصدقاء.

٦ – إحتوت الرهبنة على علماء بسطاء :

دخل بعض القديسين الملكوت عن طريق البساطة، فنسمع عن الراهبة الهبيلة التى ظن الناس سذاجتها ولم تفصح هى عن مستواها. فقد أراد القديسون البسطاء أن يكونوا مجهولين عن العالم معروفين عند الرب (٢ كو ٩:٦) ونسمع عنهم كيف إستنارت وجوههم وخاصة وقت نياحتهم.

كذلك إختار الرهبنة علماء أمثال أرسانيوس معلم أولاد الملوك الذى ترك التدريس للأمراء فى البلاط وذهب ليتعلم ألف باء الروحانية فى البرية، والأمثلة كثيرة عن قديسين من النوعيتين.

فالعلم الدنيوى لم يكن يلغى البساطة. أما المسكنة بالروح فكان معها عمقاً وشفافية تفوق حكمة هذا الدهر.

وما أحوج كنيستنا إلى الدراسات المتعمقة، والروح البسيطة، فتنشىء قديسين وليس علماء ويزدادون إتضاعاً بقدر ما تسمو عقولهم ومداركهم.

٧ – الشدة مع النفس مقابل التسامح :

تبدو الرهبانية قوانيناً قاسية،لأن ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه،وليس فيها مجال لتهاون مع طبع الجسد أو حروب الفكر.

ولكن هناك قصصاً فى التراث الرهبانى يبدو فيها قمة التساهل والتسامح، مثل تسامح مكاريوس الكبير مع الراهب الزانى، وكذلك قوله أنه إذا وجد راهباً نائماً فى الكنيسة فإنه يعطيه حِجرة، فربما كان هذا الراهب مجهداً من كثرة الصلوات أو الأصوام! فكيف نفسر هذا التناقض؟

كان الراهب شديداً مع نفسه رقيقاً مع الآخر. وكان رئيس الدير عندما يعطى قانوناً أو عقوبة كالصوم أو السجدات (المطانيات) مثلاً، كان يشارك المخطىء أصوامه وسجداته وكأنه يحملها معه! وبهذا لا يتهاون في الحق الإنجيلى ولايكسر قانون الحياة الروحية، وفي الوقت نفسه يشفق على الخاطىء الضعيف والمبتدىء.

ولعل في هذا درساً لقادة الجماعات والكهنة الذين يقع عليهم عبء إحداث التوازن بين الصرامة والتساهل، فيكون حبهم بلا تدليل وشدتهم بلا تزمت.

٨- العقل أم العاطفة أم الإرادة:

- سادت عصور الرهبنة فترات كان فيها التأمل العقلى هو مجال العمل الروحى وخاصة فى أيام أوريجانوس وإفاجريوس البنطى (أغريس). وكان الذى يرفع العقل إلى الله هى الصلاة العقلية، وهى شعار هؤلاء الرهبان الذين تأثروا بالثقافة اليونانية. ويرى مارإسحق أن (الصوم والسهر «والمطالعة» هى عمل الراهب). وكان من قوانين الرهبنة تعلم القراءة حتى يستطيع الراهب دراسة الأسفار الإلهية.

- واعتبر البعض الآخر أن الوصول إلى الله يكون برفع القلب وليس العقل، وأن السكون الخارجى لابد أن يحدث سكوناً داخلياً وعواطفاً ملتهبة ومشاعراً مليئة بالحب.

- وهناك فريق ثالث إعتبر أن العمل جزء لايتجزأ من حياة الراهب، ويتضح ذلك من إرشاد الملاك للأنبا أنطونيوس حين حاربه الملل فأوصاه الملاك أن يصلى قليلاً، وأن يعمل قليلاً، ولازالت الرهبنة تذخر بالمجهود المبارك فى مجال العمل كجزء لايتجزأ من خدمة الله، وكمجال لتقديس النفس وحفظ الفكر والتسامى برغبات الجسد.

فأى هذه الطرق تعد المدخل السليم للحياة الرهبانية؟ والواقع أن

الثلاث ملكات موجودة داخل النفس: العقل والعاطفة والإرادة. ويستطيع الراهب أن يخدم الله بها بأى نسبة يختارها، بحيث تناسب شخصيته ودعوته.

فالله يقبل منا جميع صور التدين طالما كانت مرتبطة بالهدف الأوحد، وهو محبة الله والقريب. وفى هذا درس لخدام التربية الكنسية لكى يحاولوا تقديس الشخصية لاتغيرها، بقبول جميع الأنماط، بشرط النمو الروحى، وتوجيه المخدومين بما يبنيهم دون وضعهم فى قوالب جامدة.

٩ - القمة العالية مقابل التدرج:

والنقطة الأخيرة التى نناقشها فى عرضنا للفوائد المتضمَّنة فى المنهج الرهبانى هى نقطة التدرج وهذا فى حد ذاته مبدأ تربوى هام.

على قارىء بستان الرهبان أن يراعى أن بعض القصص تحكى نهاية الرحلة وليس أولها، كما لاتشرح الخطوات التى توصل إلى القمة الروحية، إلا أن القارىء المدقق يجد أيضاً كيف تدرج القديسون فى الصعود على درجات الفضائل، فبدأوا بالفضائل الخارجية كالصوم وبذل الذات وأعمال الإتضاع، ثم وصلوا إلى فضائل أعلى كالسكون والتأمل، وإنتهوا بالفضائل العليا كالمحبة والحكمة والثبات. ولنأخذ قصة واحدة فى هذا حين بدأ موسى الأسود حياته بعد التوبة وقد مر بدرجات متعددة :

١ - حاربته الشهوات كثيراً حتى تغلب عليها.

٢ - عندما هجم عليه اللصوص، ربطهم وأتى بهم إلى رئيس الدير.

٣ - عندما زاد فى الفضيلة، فإنه رفض أن يحكم على أحد المخطئين، وإكتفى بالنظر إلى أخطائه الشخصية. فنرى فى ربطه للصوص بعض العنف لايزال متعلقاً بطبعه وشخصيته السابقة، ولكنه إزداد فى التسامح وضبط الشهوات تدريجياً.

وغنى عن الشرح أن هذه الدروس تهم خادم التربية الكنسية فلا يعطى المخدوم مستويات فى الفضيلة أدنى، أو أعلى بكثير، من قامته الروحية «سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (١كو ٣:٢).

الوسائل التربوية فى الخبرة الرهبانية

طرق التدريس:

لكل نظام تعليمى هدف ومنهج، وكذلك فإن هناك طرقاً متبعة فى التدريس تعتبر الوسائل التربوية التى يتحقق عن طريقها الهدف، وليست الرهبنة إستثناءاً من هذه القاعدة، فنحن نجد فيها طرقاً محددة لتدريب الرهبان الجدد وقيادة النفوس إلى الحياة الروحية والدرجات المتفاضلة.

وقد قام كثير من الشيوخ فى معظم الأوقات بالإرشاد بطريقة تلقائية بسيطة، وبعضهم كان على وعى بالوسيلة التربوية التى يستخدمها، ولكن المنهج الإرشادى كان يسير فى معظمه بطريقة الخبرات المتوارثة، والتجارب العملية، والتعامل المباشر، والإسترشاد بروح الله وبالروح الإنجيلية فى السلوك والتوجيه.

فهل معنى هذا أن الرهبان لم يكونوا على دراية تربوية؟ الإجابة بالنفى فقد كان لهم من الخبرة والعمق وقوة التأثير ما يجبرنا على أن نقف وقفة تأمل أمام منهجهم المُميز. ونستطيع أن نشير هنا إلى بعض طرق التدريس المتبعة فى الحياة الرهبانية وهى:

القدوة ، الوعظ الصامت، كلمة المنفعة ، السؤال والجواب، القراءة، الحفظ والنسخ، فترات الإختبار، النذور الرهبانية، محاسبة النفس، القوانين، العقاب والمكافأة.

١ - القدوة

﴿إجلس هنا حتى تتعلم حروب الشياطين﴾

إعتاد التلاميذ السكنى بجوار معلميهم، ليستلهموا قدوتهم ويقتفوا آثارهم، وكان الراهب المبتدىء يذهب إلى الشيخ ويقول له "لأجل الله رهبنني" فيقول له " إجلس هنا حتى تتعلم حروب الشياطين" أى الجهاد الروحى ضد الخطيئة، فكانت سيرة الأب أو الشيخ وطريقة سلوكه وبركة صلواته هى المظلة التى يستظل بها التلاميذ.

٢ - الوعظ الصامت

﴿يكفينى أن أنظر إلى وجهك يا أبى﴾

جاء بعض الأخوة ليسألوا أسئلة كثيرة للأنبا أنطونيوس فأجابهم، وكان من بينهم شخصاً يجلس صامتاً، فسأله الأب لماذا لم يسأل أسئلة مثل الباقين؟ فأجابه:

"يكفينى أن أنظر إلى وجهك يا أبى" فكانت هذه هى العظة الصامتة.

ومرة أخرى قال الشيخ لتلميذه هلم لننزل إلى السوق لنعظ، ولما نزلا لم يقولا شيئاً، فسأل التلميذ معلمه، وأين العظة التى نزلنا لنلقيها، فقال له الشيخ عندما رفعنا السلة مع أحد الناس، وعندما رآنا الناس نسير صامتين، وعندما أعطينا طعامنا للفقير ... كانت هذه كلها هى العظة الصامتة.

٣ - كلمة المنفعة

﴿قل لى كلمة فأحيا﴾

كانت الأقوال المختصرة التى يسهل حفظها وتناقلها تستخدم بكثرة فى الأدب الرهبانى، وهذا هو أسلوب الحكمة الموجود فى سفر الأمثال وغيره من الأسفار، كما كان موجوداً عند العديد من الشعوب والثقافات.

وكان التلميذ يسأل معلمه قائلاً قل لى كلمة منفعة، أو قل لى كلمة فأحيا. فكان الأب يَصيغ خلاصة خبراته فى كلمات مركزة، تشبه قطرة الشهد أو العسل التى تؤكل بسرعة ولكن مذاقها يظل طويلاً فى الفم.

وهذه الطريقة التربوية تفيد الأطفال فى التربية الكنسية كما تفيد المراهقين الذين لايفضّلون العظات أو النصائح المطولة.

٤ - السؤال والجواب

سأل أب شيخاً

الحوار الفردى فى شكل أسئلة وأجوبة كان الطريقة المتبعة فى نوال التعاليم الرهبانية. وكان هناك جلسات للشيوخ مع المبتدئين بعد صلاة العشية يوم السبت ، أو بعد تسبحة نصف الليل، حيث يقضون الوقت كله حتى الصباح فى تبادل الخبرات عن طريق السؤال والجواب ، كذلك كان هذا يتم بطريقة فردية بين التلميذ ومعلمه ، وهذا المنهج الفردى يتيح فرصة أكبر للتعلم من إلقاء العظات ، كذلك يمكن فيه مراعاة ظروف التلميذ أكثر من الإرشاد الجماعى.

٥ - القراءة والحفظ والنسخ

إستخدم الرهبان طرقاً متنوعة للمعرفة رغم ندرة الكتب وصعوبة الحصول عليها فى القديم، ومنها القراءة والحفظ والنسخ، فكان منهم من يحفظ المزامير أو الأسفار الأخرى ويتلوها عن ظهر قلب ، كان المقصود بطريقة الحفظ والقراءة المتكررة هو التأكد من رسوخ التعاليم فى ذهن وقلب الراهب مدى الحياة. أما النسخ فكان أحد الطرق لإنتاج كتاب جديد، ولكن الأهم من ذلك هو أن يظل الناسخ محتفظاً فى ذهنه بأقوال الشيوخ أو الأسفار التى ينسخها. ويقولون أنه على الراهب لا أن يقرأ أقوال مار إسحق بل أن عليه أن ينسخها ليتأكد من رسوخ هذه التعاليم فى ذاكرته.

٦ - فترات الإختبار

لايسمح للراهب (أو الراهبة) بإرتداء الزى الرهبانى قبل فترة إختبار تصل عادة إلى ثلاث سنوات. والإختبار هنا إختبار الراهب لنفسه وإختبار

المرشدين للراهب، وقد تأتي الإختبارات قاسية أحياناً إلا أن فيها التدريب والتدرج أيضاً ، وتستطيع أن تجد قصصاً في البستان لكل من الإتجاهين.

أما الطاعة فتعتبر شرطاً أساسياً لأنها مؤشر على إمكانية التعلم، كما يعدها البعض قمة التجرد لأنها تجرد ليس فقط عن الملكية بل أيضاً عن الرغبة الخاصة. هي بذل للذات (أو للكيان) من أجل الله، فالراهب لايصنع الخير الذى يريده لنفسه، بل الخير الذى تحدده الجماعة فى شكل الأب الروحى.

فالطاعة إذاً هى طاعة لله تأخذ شكل الطاعة للإنسان (المرشد). ولاشك أن فى هذه التأملات منهجاً تربوياً متكاملاً لايجب تطبيقه حرفياً فى التربية الكنسية، ولكن يجب الإلتفات إليه والإستفادة من بعض معطياته.

٧ - النذور الرهبانية

لايعلو رأسه موسى

إن أحد الطرق التربوية التى تُذكِّر الإنسان بعهده مع الله هى النذور، وأحياناً تكون لهذه النذور علامات جسدية مثل إطالة الشعر أو الذقن أو لبس الإسكيم ، أو قلنسوه تحمل علامة الصليب فوق الرأس أو حزام يشير إلى الإستعداد، أو جلباب أبيض (تغير لونه إلى اللون الأسود حالياً).

وما هذه الرموز إلا إشارات تُذكِّر النذير بنذره وتحثه على العمل الروحى بلا توان وتُعد علامات ملموسة للنعمة الداخلية.

٨ - محاسبة النفس

طوبى لمن يأتي باللوم علي نفسه فى كل شيء

تعتبر محاسبة النفس نوعاً من التخطيط ووضع الأهداف ومراجعتها بإنتظام ومتابعة النمو، وهى طريقة تربوية مثلى، تكون فيها قوة الدفع من

الشخص نفسه وليس من خارجه، كذلك فإن فيها قوة على تغيير السلوك بمكافأة النفس ومعاقبتها إذا أهملت أو تناست أو ضعفت، وفي هذا تقوية للإرادة وإنتظام على الجهاد. وقد برع الرهبان في هذا المضمار بشكل ملحوظ.

والإرادة لايجب أن تكون في تعارض بل تكامل مع عمل النعمة وقوة الله ، التي تعمل فينا لكي نريد ولكي نفعل مسرة الله (في ٢: ١٣) والأمثلة في الأدب الرهباني على محاسبة النفس بلا حصر، كذلك فإن تطبيقات هذه الطريقة تربوياً لابد أنها تُجدي نفعاً للخادم في حياته الشخصية وحياة مخدوميه.

٩ - القوانين

ليكن كل شيء بمقدار

هناك وسيلة تربوية يستخدمها النظام الروحي في الرهبنة عند اللزوم وهي القوانين والعقوبات. والقوانين وصايا بشرية مستمدة من الوصايا الإلهية، وهي وصايا إضافية يقصد بها أن تحيط بالحياة الروحية، كما تحيط القشرة بالثمرة اللينة، فتحفظ لها حلاوتها. وقد لاتكون الوصايا الرهبانية ملزمة لكل المسيحيين، ولكن الراهب التزم بها فأصبحت قانوناً في حياته ومن أمثله هذه القوانين :

- لايسمح بمغادرة الدير إلا للضرورة.

- لايسمح بالإختلاط الزائد.

- يجب الإستئذان قبل القيام بالأعمال مهما صغرت.

- عدم إقتناء أي شيء وعدم إستعارة أي كتاب أو آنية في القلاية بدون إذن.

وما أحوجنا هذه الأيام إلى إعطاء قوانين مبسطة متدرجة ملزمة لأنفسنا ولأبنائنا الجسديين والروحيين. وعلى القانون أن يكون مسبوقاً بالشرح مصحوباً بالمتابعة.

١٠ - المكافأة والعقوبة

لاتمنع عصا التأديب عن إبنك

المكافآت لم تكن في الرهبنة مدحاً أو تملكاً أو رتباً كهنوتية أو إدارية، ولكنها كانت تتمركز حول رضا الأب الروحي وراحة الضمير، وكان لدى الأنبا باخوميوس نظام يعطى للراهب الملتزم حرفاً مميزاً يزداد بحسب سلوكه وترقيّه في الفضيلة .

أما العقوبة فكانت واسطة تعليمية إضطرارية بهدف ضبط النفس، ومنع تفاقم الأخطاء، ومن أمثلة العقوبات الرهبانية:

- الجلوس مع الموعوظين أو التائبين.
- الإنذار.
- الطرد من الدير.

نظرة كتابية

- جاء المسيح يأكل ويشرب ويختلط بالناس، وجاء المعمدان يصوم ويلبس ملابساً خشنة فأى المبدأين أقرب لتربية النفس روحياً وخلقياً.

- هل تعتقد أن المنهج الرهبانى عند يوحنا المعمدان أعطاه نوعاً من الصراحة فى مواجهة الحق؟ أم كانت هذه صفة شخصية ؟

- الخلوة والإنعزال فى حياة إيليا لم تجعله يهرب من مسؤلياته فى العالم، وضح ذلك فى موقفه مع آخاب وأنبياء البعل .

- ليست الرهبنة للجميع "من يستطيع أن يقبل فليقبل" (مت ١٩:١٢)

حدد مبادىء الرهبنة التى تصلح لأهل العالم والمبادىء التى لاتصلح إلا للرهبان، والمبادىء التى يمكن تطبيقها جزئياً.

تدريب

قراءات من الأدب الرهباني

حاول أن تقوم بعمل قراءات فى بستان الرهبان لإستخراج بعض المبادىء التربوية التى وردت فى هذا الفصل، يمكنك الإستعانة بهذه النصوص من البستان طبعة بنى سويف.

١ - الإنعزال عن العالم

صفحة ١٤٤ رقم ١٣ ، ١٤

صفحة ١٤٧ رقم ٣٤

صفحة ١٧٢ الراهب والعالم.

٢ - الشركة مع الاخوة

من تعاليم الأنبا أشعياء للمبتدئين

صفحة ١٥٤

فهل تتعارض هذه النظرة مع النظرة السابقة فى الإنعزال ؟ إنظر أيضاً صفحة ١٣٥ رقم ٧ الإنفراد مع الرب.

صفحة ٣٠ محبة القديس مقاريوس للوحدة.

صفحة ٦٠ هروب الأنبا أرسانيوس من الناس رغم محبته لهم.

٣ - العلم والبساطة

صفحة ٥٥ الأنبا أرسانيوس يترك العلم الدنيوى كذلك صفحة ١٣١.

أما عن البساطة فنقرأ عن الأنبا أغاثون فى صفحة ٦٧ ونقرأ عن الراهبة البسيطة (الهبيلة) فى صفحة ١٠٩.

٤ - من أمثلة التشدد مع النفس

فى الجهاد قصة عن القديس مقاريوس صفحة ٣١ وقصة عن الأنبا إسيزيروس صفحة ٧٠

٥ - ليس هناك راهبين متماثلين

كما أنه ليس هناك شخصين متماثلين! علق على هذه العبارة فى ضوء تنوع أنظمة الرهبنة والتكريس وأشكالها المختلفة.

٦ - التدرج من المبادىء التربوية الهامةنقرأ ذلك فى صفحة ١٥٥ عن نمو الأنبا أرسانيوس روحياً.

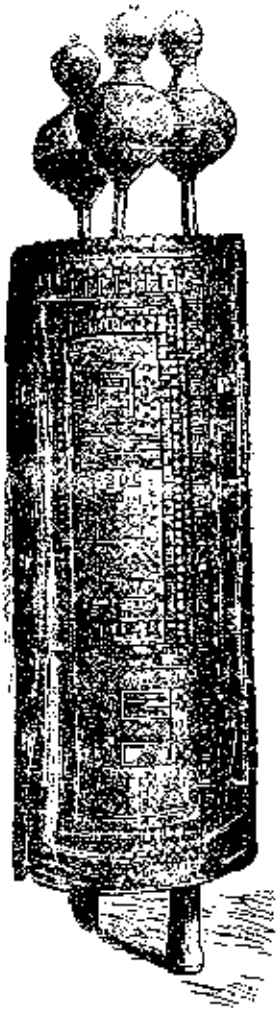

٧ - **إقرأ صفحة ٨٩** عطف الأنبا سرابيون الشديد على المساكين (باع ثوبه وانجيله).

هل الرهبنة تطرفا؟

هل يعتبر الإعتدال منهج أفضل أم يعتبر قامه أقل ؟ ولماذا؟

٨ - **يعبّر الموقف السابق** عن كون الرهبنة خدمة عملية تستخدم فيها ملكة الإرادة أكثر من العقل أو الإنفعال الروحي (العاطفي) .

أذكر مواقف أخرى تجد فيها العقل يعمل بطريقة أوضح فى التأمل إستعن بالنصوص في صفحة ٥٤، ٨٤.

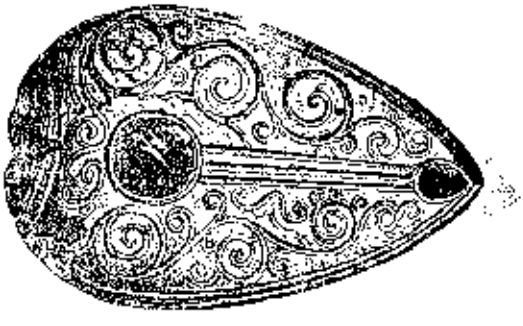

الفصل التاسع
كيف وصلنا إلى هنا ؟
من القرون الوسطى حتى الآن

فهرس تحليلي

يناقش هذا الفصل تاريخ التعليم المسيحي في مصر منذ القرن السابع وحتى يومنا الحالي، لعلنا ننقل للقارىء العزيز إحساساً بحلقات السلسلة الذهبية، التي توحى لنا بعمل الله عبر السنين في كنيستنا المجيدة وبلدنا المحبوب، ونستطيع تقسيم مراحل التعليم في هذه الفترة إلى :

أولاً : القرون الوسطى لم تخل من تعليم "نجوم وسط ظلمات".

ثانياً : بدايات النهضة "الفجر يشرق" النهضة الحديثة أسبابها ومسارها (كيرلس الرابع – فيلوثاؤس إبراهيم).

ثالثاً : "التكريس من أجل الهدف"

حبيب جرجس ١٨٧٦ – ١٩٥١

الإكليريكية ومدارس الأحد.

الفصل التاسع
كيف وصلنا إلى هنا
من القرون الوسطى حتى الآن

فكر معنا

١ – *ماذا تعرف عن مصر المسيحية فى القرون الوسطى.*

٢ ـ *لماذا تأخرت معدلات النمو الدينى بعد العصر الذهبى للآباء ؟*

٣ ـ *ما هى أهمية إحياء التراث القبطى المسيحى من وجهة نظرك ؟*

أولاً : القرون الوسطى لم تخل من تعليم انجوم وسط ظلمات

لم تر البلاد العربية عصراً للنهضة فى القرن الحادى أو الثانى عشر، ولم تستمتع بالتقدم الفنى والثقافى والصناعى الذى شهدته أوربا، مما جعل القرون الوسطى فى الوطن العربى تمتد من القرن السابع حتى الثامن عشر.

فكيف كانت الحياة الثقافية فى هذه القرون الإحدى عشر؟ هل كانت خالية تماماً من كل بصيص من نور أو معرفة؟

الإجابة بالنفى، فقد كانت هناك النجوم التى أضاءت وسط الظلمات، كالشهب التى تزداد لمعاناً، كلما إزداد الليل سواداً، فكانت قيمة هذه الأنوار لاتقل عن قيمة القمر فى ليل مظلم. ونستطيع أن نشير إلى إسهامات المفكرين والقادة من الأقباط والسريان فى هذه العصور فى عجالة. على أن

هذه القرون تحتاج إلى بحث تفصيلى يشرح كيفية إنتقال التراث إلينا. وقد قرأنا كثيراً عن شهداء الدم ولم نقرأ عن شهداء أفنوا أنفسهم دون سفك دم، ولكن كتبهم كانت أنفاسهم التى لفظوها، وقد ثابروا وأنتصروا على الجهل والتعصب والظلام، وكانوا يكتبون وكأنهم يغمسون الريشة بدماء قلوبهم، حباً فى كنيستهم وتراثهم ووطنهم، ونحن نقف لهم إحتراماً وإجلالاً، وإن جهلهم التاريخ، وتجاهلهم المؤرخون.

١ - أضواء فى عصور الظلمة :

تكلمنا (فى الفصل السابع) عن إسهامات القديس شنوده رئيس المتوحدين فى التعليم الدينى، وفى إيقاظ الروح القومية واللسان المصرى، بالخطابة والنموذج، فى وجه الروح البيزنطية الإستعمارية - كذلك رأينا كيف كان له دور فعال فى مناصرة التعليم السليم فى وجه الهرطقة وخاصة النسطورية.

٢ - الكتاب المقدس واللغات المحلية :

بإنتهاء الحكم البيزنطى وضعف اللسان اليونانى احتاج الأقباط إلى قراءة كتابهم المقدس باللغة المصرية والقبطية، وكانت اللهجة الصعيدية هى السائدة فى ذلك الوقت بسبب مواعظ وتأثير الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، فتم ترجمة معظم الكتاب المقدس من اليونانية إلى القبطية الصعيدية، وهى تختلف قليلاً فى إعرابها وفى هجاء بعض كلماتها عن اللهجة البحيرية، ولكن تعدد اللهجات فى اللغة القبطية شكّل بعض الصعوبة، فهناك اللهجات الأخميمية والأخميمية الفرعية والفيومية والبشمورية.

ولم تدم اللهجة الصعيدية طويلاً فإضطر الأقباط إلى ترجمة كتابهم مرة أخرى فى نفس القرن إلى اللهجة البحيرية،وهى التى تصلى بها القداس (ولسنا نتكلم هنا عن النطق القديم أو الحديث لهذه اللهجة البحيرية).

ونستطيع أن نشبه العلاقة بين الصعيدية والبحيرية بالعلاقة بين الفصحى والدارجة فى اللغة العربية أو الإنجليزية القديمة والحديثة.

وبكل أسف، قبل أن يبدأ الأقباط فى إستخدام لغتهم المصرية، والإستمتاع بثمار الترجمة الجديدة، وبناء التفاسير والدراسات عليها، يأتى الفتح العربى سنة ٦٤٠م وتصبح اللغة الرسمية للدواوين المصرية هى اللغة العربية. وكان معظم كتبة هؤلاء الدواوين من الأقباط، وكان أمامهم تحدياً خطيراً وهو إما أن يقبلوا تغيير كتاباتهم وحساباتهم ولغة تخاطبهم إلى اللغة العربية، إما أن يفقدوا وظائفهم فجأة أو تدريجياً.

وفوجىء الجميع بكفاءة الأقباط ومرونتهم التكيفية، فترجموا كتابهم المقدس مرة أخرى إلى العربية، وإستمروا فى عملهم بالدواوين بكفاءة وأمانة وإخلاص لوطنهم ودينهم ودينهم، فكانوا قدوة حسنة ونالوا أرفع المناصب وصاروا من أغنى الطبقات وأكثرها إحتراماً بين الجميع.

وكان لتغير اللغة من اليونانية إلى الصعيدية ثم البحيرية ثم العربية مساوىء عدة، فأقوال الآباء ظلت حبيسة أوراقها، لاتلاحقها حركات الترجمة، وقل العارفون باللغات القديمة، وكاد المسيحيون العرب أن ينعزلوا عن العالم المسيحى المعاصر لهم الذى يتحدث اللاتينية واليونانية، كذلك كادوا يفقدون صلتهم بتراثهم الآبائى العريق. ولم يقف المسيحيون فى العصور الوسطى مكتوفى الأيادى :

أ - ففى مصر والعراق والشام نشأت حركة الكتابة ، والترجمة ، وإستحياء اللغات القديمة ، وتأليف القوانين.

ب - كما كانت الليتورچية (الصلوات الطقسية) هى الشريان الذى يمد الكنيسة بالحياة ، ويؤكد تلاحمها مع ماضيها السحيق . وقد قام عالم كاهن هو شمس الرياسة المشهور بأبو

البركات (توفى ١٣٢٤) بمصر القديمة بشروحات وافية وجميلة للتراث الطقسى تبين تأصل العبادة الكنسية فى الوجدان المصرى عبر العصور.

جـ - تعرضت الحركة الرهبانية للتناقص، فنسمع عن وجود عدد ضخم من الرهبان، قال عنهم المؤرخون أنهم إستقبلوا عمر بن العاص، (وصفهم البعض بأنهم سبعون ألفاً ، رغم أن فى هذا الرقم مبالغة) ، ولكن مع مجيء القرن الرابع عشر كانت الرهبنة تجاهد للبقاء حتى كان بكل دير أرقاماً تعد على أصابع اليد الواحدة. وربما كان السبب هو هجمات البربر، أو ضعف شخصية تلاميذ الجيل التالى الذى تلى مكاريوس وباخوميوس وشنوده .

وقد كتب عنهم كتاب وصف مصر الذى كتب أثناء الحملة الفرنسية (الجزء ٤) ذاكراً أن : «معظم هؤلاء الرهبان كانوا عمى أو عور وقد سألونا لوناً بخبث هل ستخرجون العرب من مصر؟»

ء - لكن الرهبان القلائل المتبقون إحتفظوا بالتراث والشكل الرهبانى والنسك الإنجيلى الذى إنتشر من على ضفاف النيل إلى العالم كله، وسلموا لنا مشعل الرهبنة خالصاً من كل شوائب التدخل السياسى أو رتوش المدينة والعلوم الغربية.

هـ - ولم تكن اللغة العربية سيئة للغاية - فإن الحضارة العربية كانت قد تأثرت بشعوب عريقة مثل الفرس والهنود والأسبان ، وصارت مجالاً للفن والشعر والثقافة والطب والعمارة وإدارة الدواوين، وإتسعت الإمبراطورية (الخلافة) العربية لتسمح بنقل خبرات من الشام وفلسطين والعراق ومصر بحرية وإنفتاح.

و - وترجم الغرب أرسطو فإستحيوا كتاباته وكان الغرب يعرف أفلاطون فقط، ولايميل إلى الواقعية الأرسطوطالية، ووجد المسيحيون هذا التراث الفلسفى معرباً فنقلوا عنه، ونجد أن (يحى بن عدى) صار قناة لنقل

التراث الفكرى وتطبيقه على العلوم الدينية.

فشرح المسيحيون التوحيد كما شرحوا التثليث وبنوا أفكارهم على الثقافة المعرّبة. التى وصلت بين أيديهم.

و ـ كما إنتشرت حركات الترجمة والتلخيص :

فقام أولاد العسال من علماء الأقباط في القرن ١٣ بتلخيص بعض الكتب الهامة نذكر منها:

"مختصر تسعين عظة للقديس يوحنا فم الذهب على إنجيل يوحنا". "مختصر عظات القديس يوحنا فم الذهب على إنجيل متى". "مختصر واحد وثلاثين ميمراً من سلم يوحنا كليماكوس". "مختصر أحكام من الفصول المائة لديادوخوس الفوتيكى". "مختصر خمسة وثلاثين فصلاً حول الحياة الرهبانية لإسحاق النينوى" "مختصر الفردوس العقلى" ، "مختصر مجموعة من أقوال الآباء الرهبان القديسين". "مختصر لمجموعة إثنين وخمسين ميمراً لمار أفرآم السريانى".

"واختصر الصفى كتباً موضوعة أصلاً باللغة العربية، ومن هذه "مختصر الكتاب الأوسط فى المقالات لعبد الله الناشىء الأكبر"

"أما جل مختصرات الصفى لمؤلفات يحيى بن عدى (ت 974) وتشمل: الميتافزيكا والأخلاق، وصحة الإنجيل، وتفسير بعض النصوص الإنجيلية، والتوحيد والتثليث، والتجسد، والعقائد الأخرى، وقد فقد أصل ثلاثة عشر من هذه المختصرات".

(أنظر مداخل التراث العربى المسيحى، إعداد وحدة الدراسات المسكونية، أسقفية الخدمات، مقال للأب وديع أبو الليف)

ز ـ وقبل أولاد العسال نجد ساويرس أسقف الأشمونيين (قرب ملوى)، الذى كان أول من يكتب كتباً مسيحية بالعربية، حتى إشتهر بلقب

إبن المقفع (نسبة إلى عبد الله بن المقفع الفصيح العربى القديم).

وكان لأعمال الأنبا ساويرس فائدة كبرى فى نقل التراث المسيحى للناطقين بالعربية، ولكن كان له أثر سلبى فى سرعة إنهيار اللغة القبطية، كلغة للتخاطب، حتى صارت إلى الآن لغة الصلوات الطقسية فقط. ونذكر من مؤلفات ساويرس في القرن العاشر الميلادى:

- تاريخ البطاركة.
- كتاب المجامع.
- إيضاح الإتحاد والقول على تجسد الرب له المجد.
- مصباح العقل.
- شرح أصول الدين.
- تفسير الأناجيل المقدسة.

أما بولس البوشى (أسقف مصر ١٢٤٠) فنجد حين نقرأ كتاباته لمحات تفيد إقتباسه من أثناسيوس وإستمرار لاهوت التجسد عبر القرون المظلمة. «أنظر مقال فى التثليث والتجسد وصحة المسيحية لبولس البوشى تحقيق الأب سمير خليل اليسوعى، سلسلة التراث العربى المسيحى (رقم ٤) ١٩٨٣»

ح - وبقى على القيادات الدينية فى العصور الوسطى مهمة لايجب أن ننساها، وهى مهمة الدفاع عن الإيمان وقد أخذ هذا الدفاع عدة محاور:

١ - الدفاع عن المسيحية ضد اليهود مثل: «كتاب البراهر وهو رد على اليهود والمعتزلة» لساويرس أسقف الأشمونيين (مكتبه برلين جـ ١٠)

(أنظر كتاب مصباح العقل لساويرس بن المقفع، تقديم الأب سمير خليل التراث العربى المسيحى، رقم١)

٢ - الرد على الملكانيين مثل: (الرد على النساطرة) لساويرس أسقف الأشمونيين.

٣ ـ شرح الإيمان لغير المسيحيين وإثبات أننا غير مشركين مثل: (الخطاب لأبى بشر إبن جارود الكاتب المصرى، لإجابة السؤال لماذا يُسمى النصارى البارى جوهراً، لساويرس أسقف الأشمونيين (مخطوطة عربية بالفاتيكان

(103 44.179 18 or

ط ـ ولانستطيع أن نهمل محاولات الشموع التى أضاءت قرون الظلام فى التقنين الكنسى والإشتراع .

فنجد الجهود تبذل لوضع وجمع اللوائح الكنسية وحفظها من الضياع فنجد من أولاد العسال (المؤتمن) من يقوم بجمع هذا التراث الهام (رغم أنه يؤخذ عليه بعض مآخذ) محاولاً جهده فى أن يقدم لكنيسته دعامة جديدة تساعدها على البقاء والنمو.

هذه الومضات المضيئة لاتلغى لون حال عامة الشعب كان فى ركود وإكتفاء بالقليل، فالبيئة الزراعية والقهر السياسي والعنصرى والدينى، وقلة الإمكانيات، والعزلة، ونقص الطموح وضعف التعليم العلمانى، وفتور العبادات، وضعف الرهبنة، وعدم توفر نسخ الكتاب المقدس لدى العامة كلها حالت دون حدوث تغير يذكر فى الحياة الثقافية والروحية للشعب المصرى.

ثانياً : بداية النهضة

(الفجر يشرق)

كيرلس الرابع (أبو الإصلاح)

تولى البابا كيرلس الرابع الكرسى البطريركى عام ١٨٥٣ وجلس عليه لتسعة سنوات فقط، ولكن إنجازته التى صنعها تركت بصمات لاتنسى فى تاريخ التعليم المعاصر.

ساهم فى حركة التنوير بمصر الإنفتاح على الغرب الحادث بسبب الحملة الفرنسية(١٧٩٨ ـ ١٨٠١) وتأثيرها الثقافى ـ ولسنا ندافع عن الإستعمار أو ننسَ آثارة السيئة على

حياتنا وحياة الشعوب الأخرى، ولكن الإستعمار أراد نشر ثقافته كوسيلة لغزو البلاد وربطها بنفسه، وفي معرض هذا الغزو الثقافي نجد أن للحملة الفرنسية أثراً في إدخال الإرساليات اللاتينية والمدارس الكاثوليكية بما فيها من مميزات وما عليها من مآخذ.

وأتى عصر محمد علي ١٨٠٥ - ١٨٤٨، ثم عصر الخديو إسماعيل ١٨٧٣ - ١٨٧٩ الذى أراد لمصر أن تكون للمصريين والأجانب، وكان كلاهما من دعاة الإنفتاح الثقافي على العالم المتقدم.

ونعود للكلام عن البابا كيرلس الرابع، وفي عصره حاول الإنجليز أيضاً غزو البلاد، كما حاول المرسلون الإنجليز تبشير المصريين، وهنا تبرز شخصية (ليدر) الإنجليزى الذى كان صديقاً للبابا قبل رسامته بطريركياً وقال له (ليدر) يوماً :

"الآن الأنظار متجهة إليك لجعلك بطركاً فأنا أنصحك من الآن أن تجدّ متى صرت بطركاً في إصلاح حال الإكليروس حتى تتمكن من منع تداخل الأجنبى بين أفراد طائفتك"

وكان (ليدر) قد حاول ضم بعض الرهبان والكهنة فى مدرسة لم تستمر طويلاً وأغلقت عام ١٨٤٨.

ولكن البابا كيرلس على ما يبدو قد نهج نفس المنهج وهو الإصلاح بين رجال الكهنوت (وإن كان أحد معاصريه القمص فيلوثاوس إبراهيم ينكر تأثره بليدر) أنظر مسزيوتشر «تاريخ الأمة القبطية وكنيستها». وتاريخ المتنيح الأيغومانس فيلوثاوس لجرجس فيالوثاوس عوض طبع عام ١٩٠٥، ومجلة مدارس الأحد عام ١٩٧٤ عام ٢٨ إعداد ١، ٢ ، ٣ ص ٧١

ونستطيع أن نلخص إصلاحات البابا كيرلس الرابع فى ثلاثة إتجاهات:

١ - إجتماع أسبوعى للكهنة وتشجيعهم على أن يكونوا الصورة اللائقة فى المعرفة والسلوك ومحبة الرعية.

٢ ـ إستجلب البابا مطبعة إستقبلها بالألحان والفرح وقال : لو كنت حاضراً لرقصت أمامها مثلما رقص داود أمام تابوت العهد (لأنه كان وقت حضورها في الدير). ثم أرسل البابا إثنين من التلاميذ للتدريب فى المطابع الأميرية فى بولاق بعد إستئذان الخديو سعيد، وأعطاهم البابا رواتبهم، فكان هذا بمثابة تأهيل مهني للعاطلين.

٣ ـ إهتم البابا بتثقيف العلمانيين فأنشأ المدرسة البطريركية الكبرى للأقباط بالأزبكية عام ١٨٥٣ واستمرت فى عملها عشرين عاماً وإنتشرت المدارس القبطية المجانية حتى وصل عددها إلى ١٢ فى القاهرة، وواحدة بمصر القديمة وواحدة بالمنصورة وواحدة ببوش وواحدة بالجيزة وإثنتين بالإسكندرية، كذلك مدرستين للغات وكانت تدرس فيها اللغة القبطية والعربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية إلى جانب الحساب والتاريخ والجغرافيا ومبادىء الهندسة والمنطق والألحان الكنسية. وكان من خريجى هذه المدارس: بطرس غالى، وعبد الخالق ثروت، وفيلوثاوس إبراهيم، وحبيب جرجس.

ولكن المدارس القبطية لم تَتَمُ النمو المطلوب ولم تواكب النهضة التى حظت بها المدارس الحكومية أو المدارس الأجنبية، وقد ساعد الخديو إسماعيل الإرساليات بهبات من أراضى وتسهيلات فى كل البلاد المصرية فجاءت مدارسهم متسعة مزدهرة، وزادها نشاطاً الإمكانيات التى وردت من الخارج من متطوعين ومكرسين ومدرسين، فكان لها تأثير واضح على الثقافة المصرية والتعليم الدينى، وهكذا نجد المدارس الفرنسية ومدارس الأمريكان ومدارس الإرسالية الإنجليزية English Mission تصل بمستوى الطلبة إلى المستوى الثانوى بينما توقفت المدارس القبطية عند المرحلة الإعدادية.

ويتهم البعض المدارس الأجنبية بما كان لها من أثر في إغتراب المصريين عن قوميتهم، أو ربطهم بالغرب، أو محاولة كسبهم إلى طائفة أخرى، وعزلهم عن كنيستهم الأرثوذكسية. ولكن الأثر التعليمي الممتد حتى الآن لهذه المدارس يجعلنا نعيد النظر في هذه الإتهامات التي سادت كتابات المؤرخين المعاصرين.

وإستمرت محاولات الأقباط لإحياء المدارس القبطية، والمساهمة في نشر الثقافة العلمانية والدينية.

فقد حاول الإيغومانس فيلوثاوس إبراهيم أن يمتد برسالة مدرسة الأقباط لمدة سنتين منذ ١٨٧٠ ـ ١٨٧٢ بتشجيع من المجلس الملي، الذى نشأ في هذه الفترة كأحد ملامح النهضة الجديدة وإحياء الدور العلماني، ولكنه استقال إزاء المشكلات بعد نياحة البابا كيرلس(٤) التي كانت موجودة بسبب خلو الكرسي البطريركي، وتحكم النائب البابوى (جرجس) في الأوقاف .

على أن محاولات الأقباط في التعليم إمتدت كلما أتيحت لهم الفرص في مدارس الإيمان بجزيرة بدران والمدارس الخاصة ودور الحضانة العديدة بالكنائس، وكلية البنات القبطية التي أنشئت في عهد البابا يوثاب ١٩، ثم مدرستين لاهوتيتين بأديس أبابا، وأخيراً فقد أنشئت مدرسة قبطية بأستراليا، وبني سويف والقوصية.

ويظن البعض أن الكنيسة القبطية لم تستيقظ إلا بسبب جهود الإرساليات كرد فعل الأقباط بإحداث نهضة مضادة.

وفي رأيي أن النهضة كانت حادثة مهما كانت أسبابها المباشرة. فالتنوير كان ظاهرة قومية لدى المسيحيين وغير المسيحيين، والقرون الوسطي لم تكن تخلو تماماً من إصلاحات المصلحين، وكانت جهود المبشرين عاملاً مساعداً وليست معوقاً لنهضة الأقباط. كذلك لم تكن الدافع الأول للنهضة القبطية

وكان على أجدادنا من الأقباط يقع عبء مزدوج:

١ ـ إحياء التراث القبطى.

٢ ـ صنع التطوير والتحديث اللازم لمواكبة العصر، ومجاراة النهضة الحادثة والتنوير الجديد.

ونجد أن الأقباط قد قطعوا شوطاً أكبر فى إحياء التراث، كذلك قطعوا شوطاً غير قليل فى التحديث.

ودليلنا على ذلك أن المطبعة التى أتى بها البابا كيرلس أبو الإصلاح قد قامت أول ما قامت بطبع الكتب الكنسية التى تحوى القراءات والصلوات الطقسية والتراث الليتورچى، فأعادت للشعب تعلقه بالصلوات وتمسكه بالروحانية الأرثوذكسية ومحاولات إحياء اللغة القبطية

ونحن لانلوم الأقدمين لإهتمامهم بالتراث لأن فيه كان بحثهم عن الهوية القبطية الضائعة بين أغلبية غير مسيحية وأقلية غير مصرية.

أما إدخال اللغات إلى المدارس وتعليم الفتاة فكان قفزة عملاقة فى طريق التحديث لايمكن أن ننكر أثره أو نقلل من شأنه، إلا إن حركة التحديث لم تستمر بنفس قوة الدفع المرجو لها على طول الخط.

ثالثاً: التكريس من أجل الهدف:

حبيب جرجس

١٨٧٦ ـ ١٩٥١

هل كان حبيب جرجس أسطورة أو فلتة من فلتات الزمان؟ هل كان عبقرياً فذاً وصل إلى المستوى العلمى اللائق بأول رائد للإكليريكية وأستاذها الفريد؟ هل كان نبياً ملهماً مكلفاً من الله بمهمة خاصة؟ هذا ما سوف ندرسه

معاً في هذا الجزء الثالث من هذا الفصل :

لاشك أن حبيب جرجس هو أحد علامات بداية النهضة القبطية، كما أنه كان المحرك الأول لها بعد البابا كيرلس الرابع. إلا إنى حاولت تتبع وتقييم الجهد الخارق الذى قام به حبيب جرجس فى سبيل التطوير من خلال لقائى ببعض معاصريه وآثاره المطبوعة. ووجدت أن حبيباً كان ينقصه الكثير من الإمكانيات بل والمواهب التى إحتاجها التطوير، بل أن العديد من الخدام فى عصرنا الحالى لديهم قدرات وإمكانيات تفوق حبيب جرجس!

فماذا كانت الميزة الفريدة فى بطل قصتنا:

كان حبيب جرجس :

١ ـ مكرساً من أجل هدف واحد وهو الإصلاح ولم يشتت نفسه فى أهداف وطموحات متعددة.

٢ ـ إختار حبيب طرقاً محددة لنشر النهضة، وهى: الإكليريكية ومدارس الأحد والوعظ ودروس الدين المسيحى،وركز جهوده فى هذه الوسائل الأربعة دون غيرها.

٣ ـ كانت مواهب حبيب جرجس ومجهوداته واضحة ومتميزة بالنسبة لعصر قل فيه أو ندر من هو مثله.

وقد أردت بهذا التقييم ـ الذى قد يوافق عليه القارىء أو لا يوافق ـ شيئاً واحداً :

إنى أعتقد أن النهضة قد بدأت، وأنها مستمرة ولم ترجع إلى الخلف كما يظن البعض. وليس عصر حبيب جرجس عصراً ذهبياً، فالعصر الحالى أفضل بما لايقاس.

ولكن إحقاقاً للحق إن النهضة القبطية سارت وتسير فى مسارات متعرجة شأنها شأن جميع النهضات، فكانت قوة الدفع فيها تقوى وتضعف، ولو أنها سارت بقوة أعظم أو بقوة دفع ثابتة، لكان الحال الآن أفضل.

فإن لدينا إذاً فى يومنا هذا مهام تعليمية جليلة وإنجازات يجب أن

تتحقق، لانلوم الماضى ورواده على التأخر فى إتمامها، ولا نقسوا على القائمين بالعمل الآن، فهم أولاً يبذلون أقصى جهدهم، وثانياً يعوضون سنوات من التأخير، وثالثاً فإن العصر يتطور بسرعة تفوق أداء أى قائد مهما بلغت عبقريته وغيرته.

والحل هو برنامج تطويرى جماعى، لايصلح أن نسميه برنامج إصلاحى، لأن الحاضر ليس سيئاً ، بل نسميه تطويراً يبنى على ما سبق من

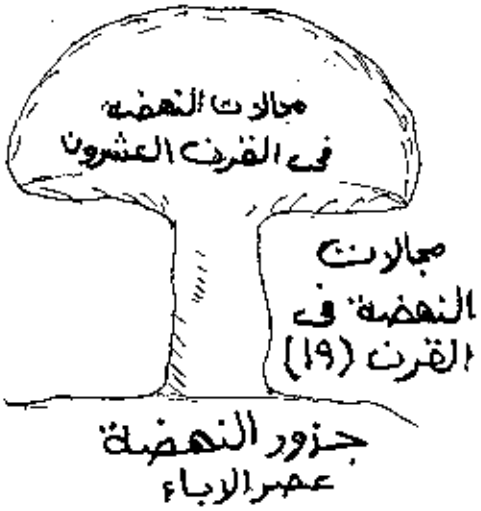

إنجازات، ويفوقها فى إتساعه، ويشبهه البعض بنبات عش الغراب (الماشروم) الذى له ساق وقمة متسعة. والتطوير يجب أن يمتد إلى آفاق ومجالات وبيئات وأشخاص بلا حصر.

ونعود إلى حبيب جرجس نستلهم منه بعض المبادىء التى تصلح لعصرنا:

كان حبيباً من خريجى المدرسة القبطية الكبرى ومن طلبة الدفعة الأولى للإكليريكية وقد عين مدرساً بها وهو لايزال طالباً نظراً لنقص هيئة التدريس، فلجأ إلى مكتبة البطريركية ليقرأ مخطوطاتها، كما استفاد من كتاب جراسمس مسرة (من الروم الأرثوذكس) «الأنوار فى الأسرار» فى وضع كتابه عن «أسرار الكنيسة السبعة وهذا يضاف إلى عامل هام وهو تقواه الشخصية ومحبته العميقة للكنيسة كذلك إستفاد حبيب جرجس من الإيغومانس فيلوثاوس الذى كان يستقبله فى بيته ويسلمه الشعلة.

ويقى أن نتحدث عن زيادة نشاط الوعظ في الكنيسة القبطية ثم نفرد فصلاً خاصاً لنشأه وتطور مدارس الأحد.

المنبر القبطى:

كان فيلوثاوس إبراهيم أول قمص يعظ فى طنطا عام ١٨٣٧م وهو من تلاميذ البابا كيرلس الرابع، وقد نقل إلى الكنيسة المرقسية بالقاهرة، وقد أثار نشاطه غيرة زملائه عليه عند المطران، الذى أمره بوقف الوعظ الإرتجالى، والإكتفاء بقراءة المواعظ المكتوبة، لئلاً يحتقر الشعب زملاءه فى عدم مقدرتهم ونشاطهم مثله - وفى مارس ١٨٦٧ م طلب إليه البابا ديمتريوس الثانى أن يسافر معه إلى الوجه القبلى فى زيارة رعوية للصعيد لوقف النشاط البروتستانتى الأجنبى بين الأقباط هناك.

فأستمر معه فى هذه السياحة ثلاثة أشهر وعظ فى أثنائها فى كل مدن الصعيد شارحاً ومفسراً عقيدة الكنيسة القبطية.

القس منسى يوحنا

الإيغومينوس ميناصيفائيل

الأرشياكون إسكندر حنا

وإستمر الوعظ فى كنيستنا تارة مقاوماً للإرساليات الغربية، وتارة أخرى متأثراً بها مقتبساً منها،وذلك على يد إسكندر حنا ١٩٣٢ ، والقس منسى يوحنا، والإيغومانس إبراهيم لوقا، والقمص مرقس داود، والأسقف إيسيذيروس، وعياد عياد، وإبراهيم عطية، والقمص بولس باسيلى ، والقمص تيموثاوس محروس، وشاكر خليل، والقمص عبد المسيح النخيلى، حتى وصلنا إلى عصر البابا شنوده الثالث الذى يعد فى نظرنا ونظر الكثيرين، أشهر واعظ لجيلين متتاليين على مستوى الشرق الأوسط كله.

أما فى الكنيسة البروتستانتية فنذكر القس إبراهيم سعيد والدكتور مفيد إبراهيم والدكتور لبيب مشرقى والدكتور عزيز فهيم والدكتور منيس عبد النور والدكتور عبد المسيح اسطفانوس والدكتور صموئيل حبيب وآخرين. فلم يعد الأجانب يحتكرون الوعظ كما كان الحال فى البداية، حين كان الدكتور هوج أو بلى جراهام يقوم بالخدمة فتنصب الصوانات التى تتسع لعدة آلاف.

ونود أن نعلق تعليقاً عابراً وهو أن الأرثوذوكسية قد عاشت بدون الوعظ تسعة عشر قرناً ، بإعتبار أن قراءات القداس الكتابية وطقوسه وسير القديسين كانت هى الفكرة الوعظية المتضمنة داخل العبادة ، ولكن نمو الوعظ قد أضاف إلى عملية الفهم ، وإن كان فى نظر البعض أنه أساء إلى عمق التذوق الليتورچى. وقد حل البعض المشكلة بربط العظات بالمناسبات والقراءات الكنسية، وأعطى للوعظ طابعاً أرثوذكسياً. كما قام القمص جرجس بطرس كاهن كنيسة مارجرجس جزيرة بدران الراحل بصلاة القداس لأول مرة باللغة العربية ففهم الشعب معانيه وتذوقوا حلاوته وسارت النهضة فى مسارات كنسية أحياناً فى محافظة على التراث، وتأثر بعض الوعاظ بالمبشرين البروتستانت (على الأقل فى أسلوبهم الخطابى ومنهجهم الخلاصى) كما بالغ بعضهم الآخر فى

مهاجمة الطوائف ومحاولة إثبات العقيدة وتثبيتها.

نظرة كتابية

١ ـ تأمل فى قول الكتاب "وقال الله ليكن نور فكان نور" (تك ١: ٣)

طبق هذا المفهوم على النهضة الكنسية وعمل الله فيها.

٢ ـ "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناؤون" (مز ١٢٧ :١)

لماذا فشل بعض المصلحون فى الإصلاح فى ضوء هذا النص الكتابى ؟

تدريب :

إختر فترة تاريخية معينة مما قرأت عنها فى هذا الفصل.

قم بعمل جدول من عمودين ضع فى الجانب الأيمن العوامل التى أدت إلى ظهور النهضة وفى الجانب الأيسر العوامل التى عرقلت النهضة.

النهضة (الفترة من ـ إلى)	
عوامل مساعدة	عوامل معطلة

الفصل العاشر
التعليم منذ الطفولة
نشأة مدارس الأحد

فهرس تحليلى

– نشأت حركة مدارس الأحد أول ما نشأت فى إنجلترا بفضل إمرأة تقية تسمى «حنة بال» ١٧٦٩ م التى كانت تجمع الأطفال المشردين لتعليمهم الدين المسيحى والقراءة والكتابة. وبعد عشرة سنوات بدأ «روبرت ريكس» فى نشر هذه الفكرة كل أحد. إلى أن إنتقلت إلى أمريكا وتمتعت بإنطلاقة كبيرة.

– وفى مصر بدأت مدارس الأحد فى أسيوط، ثم إنتقلت إلى القاهرة حيث تبناها حبيب جرجس وتلاميذه.

– وقد صحب حركة مدارس الأحد نهضة موازية فى عدة مجالات مثل تدريس الدين بالمدارس والنهضة الرهبانية والعمل الإجتماعى والمعاهد الدراسية المتخصصة وخدمة المهجر.

الفصل العاشر
التعليم منذ الطفولة
نشأة مدارس الأحد

فكر معنا

تحدثنا حتى الآن عن بدايات النهضة منذ البابا كليمنضس الرابع، وكيف أثرت المدارس القبطية والأجنبية في التنوير، كذلك رأينا كيف حاولت بعض الإرساليات تثقيف كهنة الأقباط، وكيف قام الأقباط بنفسهم بهذا العمل عن طريق إفتتاح الإكليريكية ونشأة الوعظ في الكنائس، كذلك دخلت الطباعة إلى الكنيسة مما شجع حركة طباعة الكتب وإحياء التراث للمحافظة على الهوية القومية.

والآن يجب أن نتحدث عن واسطة هامة من وسائط الإصلاح وإعداد القيادات، وهي حركة مدارس الأحد، وقد كان رائدها الأول في مصر الأرشيذياكون حبيب جرجس، وسوف نعرض بإختصار لنشأة مدارس الأحد في إنجلترا وأمريكا ثم في بلادنا العزيزة، حتى يعتبر الخادم المعاصر نفسه إمتداداً للتاريخ الكنسي المقدس، وعضواً في جيش المسيح الذي أعده الله لجذب النفوس.

أول مدارس أحد في العالم

إمرأة وراء فكرة عظيمة :

المعروف أن مدارس الأحد نشأت رسمياً في إنجلترا عام ١٧٨٠ على يد روبرت ريكس Ropert Raikes إلا أن قبل هذا التاريخ بعشر سنوات كانت هناك إمرأة فاضلة تدعى حنة بال Hennah Ball وكانت تعمل مربية أطفال ومديرة منزل بأحد المنازل بإنجلترا، وفي عام ١٦٧١ بدأت في تعليم الأطفال عن المسيح، وكانت تجتمع بهم يوم الأحد والإثنين. وقد كتب في خطاب لها أرسلته إلى چون وسلي، الواعظ الشهير ومؤسس طائفة المثال المسيحي، وكانت تصف في خطابها هؤلاء الأطفال "أنهم فئة قليلة بدائية، لكن يبدو أنهم قابلون للتعلم" وقد وجد المؤرخون في صفحة من جريدة بتاريخ ٣ يونيو ١٧٧٠ هذه السطور لحنة بال:

«إني أرغب في أن أقضي بقية عمري في سيرة أقرب إلى الله، وفي أعمال المحبة لإخوتي الخلائق – فأطعم الجياع وأكسو

العـراة وأعلم بعض أفـراد الجـيل الناشيء مبادىء الديانة».

النشأة الرسمية لمدارس الأحد

١٧٨٠

بدأت حـركـة مـدارس الأحـد فى إنجلترا عام ١٧٨٠م. وكانت عبارة عن فصـول يجتمع فيـها الأطفال الفقراء والأيتـام غيـر المتعلمين، ليتلقوا فـيـها دروس القـراءة والكتـابةوالحـسـاب بالإضـافـة إلى دروس الكتـاب المقـدس وكـــان لابد أن يتم هذا يوم الأحـــد (بصـفته يوم العطلة للطبقات العـاملة) وكـان المقـصـود منهـا إعـداد هؤلاء الأطفال لحياة مسيحية حقيقية.

وإزدهرت حـركـة مـدارس الأحـد بإنتقالها إلى الولايات المتحدة كما تنتقل الشتلة إلى تربة خصـبة، وسرعان مـا إنتقلت إلى المدن الشرقية فى فيلادلفيا ونيويورك وبوسطن، فأسست الجمعيات المحبة للخير مدارس الفقراء على غرار النظام البريطانى .

وفى عـــام ١٨٢٤ اتسـعت هذه الحركة حتى كونت مايسمى «بإتحـاد مـدارس الأحـد الأمـريكى» ومـركـزه الرئيسى فى فيـلادلفيا، وإنطلاقا من هذا الإتحـاد كقـاعـدة امتـدت حـركـة مدارس الأحد للتخم الغربى، بإستعمال برامج موسعة لتأسيس مدارس الأحد فى كل وادى الميسيسبى. وسواء فى المدن أو فى الأطراف كـانت مـدارس الأحـد تقـدم المعـارف الأولية: القـراءة الكتابة وكتابة الحروف الهجائية وبعض التداريب الدينية، ولهذا كانوا متقدمين على سواهم فى المدارس العامة.

وكان الهدف الأول الذى وضعه (إتحاد مدارس الأحد) الأمريكى يتلخص فى أحداث عملية "التجديد" التى بدونها لايصبح المسيحى مؤمناً. ورأى القائمون بالعمل آنذاك أنه من الأفضل مخاطبة الأطفال وحثهم على التغير الروحى حتى إذا كبروا يكونوا قد أخذوا "الخلاص" فى سن مبكرة.

ولكن حركة مدارس الأحد، والنجاح الذى حققه إتحاد مدارس الأحد بعد ذلك، واجه تطوراً هاماً أحدثه شخص شهير يدعى هوراس باشنيل Horace Bushnele. وقد وضع هذا المربى كتاباً عام ١٨٤٧ تحدى فيه فكرة تجديد الأطفال، بوصفها منافية لسيكولوچية الطفل، الذى لايعرف الخطيئة، بل ومنافية أيضاً لتعاليم الكتاب المقدس نفسه. وإن كان باشنيل نفسه بروتستانتيا متدينا يؤمن بضرورة التجديد إلا أنه كان يرى أن مرحلة الطفولة ليست مناسبة لتدريس هذه العقيدة. وأخيراً استطاع باشنيل أن يخلص حركة مدارس الأحد من التركيز الزائد على فكرة التجديد جاعلاً هدفها التنشئة المسيحية الفاضلة.

وحتى عام ١٨٧٢ كان الأطفال يجتمعون كلهم معاً بصرف النظر عن الفارق العمرى بينهم، وفى هذا الوقت نشأ ما يسمى "بحركة التربية الدينية" فى بعض الكنائس البروتستانتية المتحررة Liberal (وهم أقل *البروتستانت تمسكا بسلطة الكتاب* المقدس والتقاليد). وهكذا اقترنت حركة مدارس الأحد منذ نشأتها بالكنيسة البروتستانتية، وكان أحياناً ينظر إليها نظرات الشك على أنها حركة علمانية (أى ليست كهنوتية) تحررية.

ولكن مما يذكر بالشكر لحركة التربية المسيحية أنها بدأت منذ عام ١٨٧٢ فى فصل الأطفال حسب مراحلهم العمرية، بعد أن كانوا يجتمعون سوياً فى أعمار مختلفة.

ونشأت فى نفس الوقت جمعية الشبان المسيحية Y.M.C.A واتخذت لها

"المثلث" شعاراً لأنها تهدف إلى التربية الروحية والنفسية والجسدية، كذلك نشأ على غرارها جمعية الشابات المسيحية Y.W.C.A. في الولايات المتحدة، وانتشرت فروع الجمعية في كل أنحاء العالم. كما نشأت مدرسة الكتاب المقدس الصيفية Vocational Bible School (V.B.S.) كذلك نشأت حركة الشبيبة بإنجلترا Youth Movement وسافر من المصريين (باسيلي بطرس) إلى إنجلترا ليشاهد هذه الحركة، ولتأخذ مصر دورها في النهضة التربوية الدينية بعد قليل.

نشأة مدارس الأحد في مصر

لنشأة مدارس الأحد في مصر تاريخ طويل، قام قداسة البابا شنوده الثالث حفظه الله بتحضير كتاب، بجمعه من رواده الأوائل وحفظ هذا التاريخ من الإندثار، ونأمل أن ينشر قريباً، وسنورد هنا بعض الملاحظات السريعة التي تُعَرف الخادم بتاريخ نمو التربية المسيحية في بلادنا العزيزة :

١ - لم يستجب المصريون كثيراً للإرساليات التي قام بها الإنجليز ولم يتغلغل نشاط كنيستهم الأسقفية إلى أعماق التربية المصرية. فلعل المصريين نظروا إلى الأسقفيين نظرة الإرتياب بإعتبار إنتمائهم لكنيسة المستعمر الإنجليزي.

٢ - وصل القس "يوحنا هوج" الأمريكي إلى أسيوط، ونجحت عظاته جداً حتى كانت الخيمة تنصب لتسع عشرة آلاف من الحاضرين، وأنشئت هناك مدرسة الأمريكان وملجأ ليليان تراشر، كذلك نشأت مدارس الأحد لأول مرة في أسيوط عن طريق الإرساليات الأمريكية.

- في سنة ١٩٣١ نشأت جمعية جنود المسيح الأرثوذكسية، وكان هدفها إحداث نهضة مضادة لنشاط الأجانب، وكانت وسيلتها هي الوعظ ومدارس الأحد، وهكذا أشتهرت أسيوط بأنها أول مركز لنشاط مدارس الأحد في

مصر، إنتقلت بعدها إلى القاهرة، ومنها إلى جميع الفروع بقيادة حبيب جرجس. وكانت أشهر فروع مدارس الأحد فى جزيرة بدران بكنيسة مارجرجس،وفى مصر القديمة،والجيزة،وكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا،والعذراء بالفجالة، وحارة السقايين.

– فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٦٢ أختير الأنبا شنوده "قداسة البابا حالياً" أسقفاً للإكليريكية والمعاهد الدينية والتربية الكنسية، وبعد ذلك تشكلت اللجنة العليا لمدارس الأحد، لوضع البرامج والمناهج المطورة، ولازالت تواصل مجهودها بشأن إكمال المنهج الموحد.

وكان من الرواد الأوائل لمدارس الأحد نظير جيد (قداسة البابا شنوده الثالث)، ظريف عبد الله (القمص بولس بولس)، نجيب زكرى بطرس، إدوار بنيامين، فارس عبد السيد، لويس زكرى، الدكتور راغب عبد النور، د/ميخائيل بسالى (حارة السقايين)، القمص صليب سوريال، وعبد المسيح بشارة نيافة (الأنبا أثناسيوس)، وأمين نصر (نيافة الأنبا أرسانيوس)، وسمير سكر (نيافة الأنبا باخوميوس).

ثم تلى هؤلاء جيل آخر يصغرهم ببضعة سنوات منهم :

– شوقى فهيم (جزيرة بدران)
– كمال حليم (والد المؤلف)
– كمال حبيب (نيافة الأنبا بيمن المتنيح)
– د. طلعت حنين
– منير جرجس
– سليمان نسيم
– د. هنرى الخولى
– القمص أنطونيوس أمين
– منير عياد (مارمينا بشبرا)
– جميل نجيب (مارمينا بشبرا)
– لبيب الراهب
– ميلاد حنا

- يوحنا الراهب
- وليم سليمان
- شوقى توفيق
- رمسيس نجيب
- د. نصحى عبد الشهيد
- يسى حنا
- عزت فوزى (الأنبا أنطونيوس بشبرا) - وغيرهم .....

- وفى عام ١٩٦٥ إجتمعت لجنة من ممثلى الكنائس الشرقية: القبطية، الأثيوبية، السريانية، الهندية، الأرمنية ووضعت برامج عن الطفولة وحتى المرحلة الثانوية بإسم منهج الكنائس الشرقية، وقد اقتبست منه لجنة وضع المناهج من بنى سويف وملوى.

وإننا نعتبر عملنا هذا (كتاب من يجدنى؟) وباقى السلسلة التربوية عملاً تكميلياً يبنى على أساس مجهودات الرواد الأوائل، الذين سلمونا الشعلة بعد أن حفروا فى الصخر، ولكنهم لم يحصدوا الرياح ولاحرثوا فى البحر، لأن مدارس الأحد اليوم تعتبر الدعامة الأساسية للتربية المسيحية، ولاتنافسها مؤسسة أخرى على هذه المكانة سوى الأسرة المسيحية.

من الفرد إلى الجماعة:

ما بعد حبيب جرجس حتى يومنا الحالى:

عوامل أخرى ساعدت على حدوث النهضة فى القرنين التاسع عشر والعشرين:

كانت مدارس الأحد والكلية الإكليريكية دعامتى النهضة الكنسية ولكن كان هناك عوامل أخرى ساعدت على النمو فى العمل الروحى والكنسى، وكان هناك تفرعات ومؤسسات تخصصية أوجدتها النظرة الشمولية للخدمة وللإنسان ككل.

فهناك الخدمات التى ترعى الجوانب الإنسانية والإجتماعية والصحية وهى تقوم بدور تعليمى فى مواقف عملية، لتبين إهتمام الكنيسة

بالإنسان فى كل مواقف حياته المادية والثقافية والبيئية والروحية.

وهناك المؤسسات التعليمية المتخصصة فى جوانب المعرفة والدراسات العليا وحفظ التراث.

وهناك النهضة المعمارية التى تحتضن الخدمات التعليمية وتنشطها، وهناك النهضة الرهبانية والكهنوتية التى تلت حركة مدارس الأحد وأثرتها فى نفس الوقت.

ولانكون قد وقعنا فى فخ الإستطراد إن أفرادنا بضع صفحات لذكر بعض من جوانب النشاط التعليمى والتكميلى، مبينين أثره فى النمو الروحى الفكرى والثقافى للكنيسة المعاصرة، وهذا ما سوف نفعله فى هذه الصفحات.

ولكن قبل كل شىء نقول أن دور هذه المؤسسات لايُغفل فى تطوير وتنشيط وتكميل التعليم الدينى. إلا أننا لن نذكر الصعوبات التى واجهتها كل مؤسسة، والعقبات التى تعترض أو إعترضت طريقها. ولن نقيّم سرعة نموها ومعدلات تقدمها، لأن دراستنا هذه وصفية تاريخية تسجيلية، وليست أساساً للتقييم أو النقد، أو حتى دعوة للإصلاح، وإنما هدفنا من هذا السرد أن نعرف كيف وصلنا إلى هنا ؟ وأين نحن الآن وماذا نريد أن نفعل؟

القافلة تسير :

عوامل ساعدت على حدوث النهضة فى القرنين التاسع عشر والعشرين :

إن الملاحظة الجديرة بالذكر أن معظم الأنشطة التى سوف نوردها جاءت بمجهودات فردية أو عفوية، ولكن الكنيسة تبنتها وشجعتها.

وأقصد بهذا أنه لم تكن هناك خطة إصلاحية عامة Master Plan تتسم بالشمولية، على غرار الخطة الخمسية ومحاولات إصلاح المسار الإقتصادى والسياسى فى الدولة. وهذا يعطينا أملاً بأن جهود المخلصين لاتضيع، حتى ولو كانت وليدة الظروف والإحتياجات

والإمكانيات القليلة، فالرب مستعد أن يعمل بالقليل أو بالكثير.

وقد عاصرت بنفسي عديداً من هذه الأنشطة، وسمعت شهود عيان يتحدثون عنها فآثرت أن أنقلها للقارىء المعاصر، حتى لاتُفقد حلقات السلسلة الذهبية التي تربطنا بالماضي، وتمتد بنا إلى المستقبل.

ولكنني في سردي هذا لا أدعي أنني قمت بعمل شامل، فكثير من المشاهير والمجاهدين لم أذكرهم، إما لجهلي بهم، أو لضعف في ذاكرتي، أو لعدم إكتمال هذا البحث.

ولعلي أستميح القارىء عذرا في أن كتابنا هذا ليس مخصصاً بجملته للتأريخ لمدارس الأحد والأنشطة الكنسية، إنما هو مخصص لتطور التعليم عبر عصور عديدة.

فلم نذكر مثلاً عن البابا كيرلس أبو الإصلاح أنه مات في ظروف غامضة (يقول البعض أنه مات مسموماً) لأننا ذكرنا فقط دوره في التعليم والتنوير، وأغفلنا باقي جوانب حياته وموته.

وأمل أن يصدر قداسة البابا شنوده الثالث، حفظه الله، سجلاً تفصيلياً قد قام قداسته بإعداده بإسهاب عن تاريخ مدارس الأحد بأقلام مؤسسيها الأوائل (الذي يعتبر قداسته أبرزهم).

كذلك لدى أمل أن تكون الأنشطة التي سوف نذكرها محل إهتمام الكنيسة والشعب والأفراد والهيئات، حتى نسير بشيء من التنظيم، من نجاح إلى نجاح، وفق خطة الله المقدسة وقصده المبارك.

الرب يعمل عبر الأجيال :

نعرض فى الصفحات القادمة، كما أشرنا لبعض الأنشطة التكميلية التى صاحبت نمو مدارس التربية الكنسية وأزرتها أو نشأت عنها، وهى على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر، مرتبة تاريخياً من الأقدم إلى الأحدث :

١ – تدريس الدين المسيحى فى المدارس.
٢ – جمعية أصدقاء الكتاب المقدس.
٣ – المعاهد الدراسية المتخصصة والبعثات.
٤ – النهضة الرهبانية.
٥ – رسامات الأساقفة والكهنة والمكرسين.
٦ – دور النشر والكتاب القبطى.
٧ – وسائل الإعلام.
٨ – خدمة المهجر وأفريقيا.
٩ – النهضة المعمارية.
١٠ – العمل الإجتماعى والتنمية.
١١ – خدمة الشباب.
١٢ – دور العلمانى والمرأة.
١٣ – العمل المسكونى والحوار الوطنى.

١ – تدريس الدين المسيحى بالمدارس:

كان سعد زغلول قد أقر تدريس الدين المسيحى لأولاد القبط بالمدارس الحكومية، إلا أن تدريسه ظل يتأرجح وفى عام ١٩٤٨ عاود البابا يوساب مطالبة وزير التربية بحق القبط فى أن يتعلموا دينهم، بخطاب أرسله إليه رأساً وقد إستجاب الوزير آنذاك إلى طلبه، على أن إستجابة الوزير إنتهت بسقوط الوزارة، فعاود قداسة البابا بمساندة الغيورين المطالبة به من جديد، ونتيجة لإستمرار الجهاد فى هذا المجال تم لهم النجاح نهائياً، وأصبح الدين المسيحى أحد المواد التى يمتحن فيها أولادنا، والتى توضع لها المقررات والكتب المدرسية، وكان لحبيب جرجس جهد بارز فى هذا الموضوع، وتابع جهوده فريق من المؤلفين من جميع الطوائف.

و حبذا لو إهتمت الكنيسة بمناهج الدين المسيحى بالمدارس وساهمت فى تطويره وتدريسه، وإعداد

المدرسين والمتطوعين له، وخاصة أن برنامج الدين المسيحي يخص جميع التلاميذ بعكس مدارس الأحد التي يحضرها بعض الأبناء دون البعض الآخر. كذلك فإن وجود الكتاب المدرسي في يد التلميذ أو الطالب بالمجان هو نعمة أخرى لاتستطيع التربية الكنسية أن توفرها بدون إعتمادات ضخمة.

ونأمل أن يأتي اليوم الذي يتاح لمجموعة من التربويين من مختلف الكنائس المساهمة مع أساتذة وخبراء الوزارة في دفع عملية التطوير والتخطيط المشترك للمناهج القادمة.

٢ - جمعية أصدقاء الكتاب المقدس :

بخلاف الجمعيات الأخرى التي أخذت الطابع الإجتماعي ومساعدة الأيتام والفقراء،فإن رواد جمعية أصدقاء الكتاب كان لهم أهداف تعليمية واضحة. وقد أسهموا في نشر حركة الترجمة والتأليف والوعظ وبناء الكنائس والمصايف، وحركة مدارس الأحد، وكان من روادها الأوائل:حافظ داود (القمص مرقس داود)- وإبراهيم بشارة - ونجيب بطرس - وميلاد غرباوى - وأنور نسيم - وقيصر نجيب - ومختار فائق - ود. شفيق عبد الملك وآخرين.

وقد كان لنشاط هذه الجمعية أثر فعال في التنوير والتثقيف الروحي في وقت ندر فيه المؤلفون والمترجمون.

٣ - المعاهد الدراسية المتخصصة والبعثات :

حين عين الدكتور وهيب عطا الله (نيافة الأنبا أغريفوريوس) وكيلاً للكلية الإكليريكية عام ١٩٤٠ جعل القسم الصباحي يقبل طلبة التوجيهية (ثانوية عامة) دون سواها، كذلك كان أول من ساهم في إفتتاح القسم المسائي الجامعي عام ١٩٤٥، وكان من أوائل خريجيه قداسة البابا شنوده الثالث (نظير جيد).وقد إهتم قداسته بنفسه بالتعليم الديني حين أصبح أسقفاً

انتقلت من الحلم إلى الحقيقة لتخلّد تاريخ وحضارة القبط كما تخلد همة هذا الرجل وزوجته العظيمين.

كذلك تم في عهد قداسة البابا شنوده الثالث إفتتاح إكليريكيات الأقاليم والمهجر، ومعهد الرعاية ضمن معاهد أخرى متخصصة. وانضمت المرأة في سلك الدراسات الدينية بل وفي هيئة التدريس بهذه المعاهد.

معهد الدراسات القبطية

الدكتور عزيز سوريال عطية

أنجبت مصر عبقرية عالمية هو الدكتور عزيز سوريال عطية صاحب فكرة تأسيس معهد الدراسات القبطية ومديره الأول. على أن هجرته إلى الخارج لم تجعل هذا المعهد يتوقف عن رسالته، حتى وإن تعثرت أحياناً. فالكنيسة قد آمنت بالتخصص ولايوجد عالِم في جميع المواد الدينية ، أما د. عزيز فقد رأس قسماً للدراسات القبطية، بجامعة سولت ليك سيتي بولاية يوتا بأمريكا، وقام هو وزوجته بإصدار دائرة المعارف القبطية، التي للتعليم، ثم بطريركاً ورئيساً للكلية الإكليريكية والمعاهد المتخصصة.

كذلك لمع من أساتذة هذا المعهد سامي جبره، وزاهر رياض ومراد كامل وأيوب فرج وكلهم من العلماء المتخصصين.

البعثات :

سافر بعض الدارسين إلى الخارج يهدف الدراسات العليا، ولكن الدفعات الأولى عاد منها نصف الدارسين فقط، ووجد بعضهم صعوبات في التأقلم بعد العودة ، فمنهم من استمر في العطاء بدون أهداف شخصية، ومنهم من ترك عقيدته أو هاجم كنيسته، مما أدى للبعثات أن تتوقف قليلاً أو تكون مجال شك المهتمين بالتعليم.

ولكن الذين قدّموا عطاءاً متميزاً من المبعوثين كانوا قدوة صالحة، ودافعاً للمزيد من الدارسين لتقريب الفوارق بين الشرق والغرب، ومواصلة الجهد

لإتاحة المعلومات المتخصصة لقارئى العربية وطالبى العلم، وكان شعارهم أن العلم وحده قد ينفخ، ولكن المحبة تبنى. فالعلم يجب أن يزيد إتضاع العلماء، لأنهم أول من يعرف أنهم لايعرفون كل شىء.

ونذكر هنا أسماء بعض المبعوثين الأوائل وهم: وهيب عطا الله، وإيزاك فانوس، وراغب مفتاح، وهيب جورجى، بديع يونان، مرقس بولس، موريس تواضروس، رشدى حنا، جورج حبيب، أميل ماهر، موريس أسعد، الأنبا بيمن المتنيح، الأنبا صموئيل المتنيح. أما الجيل التالى فمنهم عياد هنرى، ونيافة الأنبا أنطونيوس مرقس، القمص أشعياء ميخائيل، القمص ميخائيل إنوار، القس أثناسيوس كامل فرج، القمص متياس فريد، والمؤلف، مجدى وهبة، جوزيف فلتس، وناجى إسحق، وهيب قزمان وآخرين.

وهناك إثنى عشر دارساً باليونان وألمانيا. ومرة أخرى عاد بعضهم وبقى البعض بالخارج وعليهم أن يواصلوا العطاء بروح التلمذة، ليس فقط بروح الأستاذية.

أما عند إخوتنا من الطوائف الأخرى فالمجال مفتوح للدارسة بالخارج وقد أعطى هذا الإنفتاح نافذة أخرى على العلوم الدينية بالغرب بما فى ذلك من مزايا وعيوب.

المؤسسات المتخصصة فى حفظ التراث :

نذكر منها جمعية الآثار القبطية (تأسست عام ١٩٣٤ ومعهد ديديموس للمرتلين، وقسم الموسيقى بمعهد الدراسات القبطية الذى يرأسه الدكتور راغب مفتاح، وكذلك قسم الفن القبطى بمعهد الدراسات ويرأسه د. ايزاك فانوس، وجمعية الأنبا شنوده بلوس أنجلوس لحفظ التراث القبطى، وسلسلة التراث العربى المسيحى، وأقدم النصوص الليتورچية بلبنان.

كذلك فإن هناك المتحف القبطى (أنشأ ١٩٠٨) الذى يضم مكتبة كان من أهم أمنائها العالم الأستاذ يسى عبد المسيح، كذلك فهناك عدة مراكز لنشر وترجمة تراث الآباء، وقد ساهمت هذه المؤسسات فى حفظ ونشر التراث المسيحى والقومية المصرية بقدر ما أتاحته قدرتهما المبنية على جهود أفراد مخلصين.

٤ ـ النهضة الرهبانية :

دخل العديد من رواد مدارس الأحد الأوائل سلك الرهبنة وتطورها حتى أصبحت رهبنه اليوم نموذجاً معاصراً للروحانية المسيحية، ومثالاً عملياً للعمل الروحى والجماعى بروح الشركة والنشاط.

كذلك فتحت بعض الأديرة أبوابها للزوار، دون الإخلال بنظام الرهبنة الأصلى، وكان هذا درساً مؤثراً فى إضافة الزائرين، وجذبهم بالمحبة العملية لحياة التقوى والإيمان.

أما الدور الثقافى لرهبان وراهبات اليوم فهو مستمر فى حفظ التراث وتحديث الفكر الكنسى ليناسب العصر، وممارسة العبادة اليومية بدقة. وحبذا لو إمتد هذا الدور لمزيد من التخصص والتعميق والمعرفة باللغات القديمة والحديثة، والتوسع فى إصدار المطبوعات الجيدة، مع عدم إهمال للنذور الرهبانية الرئيسية كالتجرد والخلوة والتأمل.

٥ – رسامة أساقفة وكهنة ومكرسين:

بإمتداد العمل الروحى تم تقسيم الإيبارشيات إلى وحدات لمزيد من الرعاية، كما تم رسامة الأساقفة المستنيرين والكهنة المثقفين والعديد من المكرسين والمكرسات، الذين أثروا الخدمة بفكرهم ونشاطهم، وإن كان إعداد هؤلاء القادة يحتاج إلى المزيد من

الجهد والوقت والمصادر، إلا أن ثقافتهم وخبراتهم العلمانية، وتقواهم الروحية الشخصية تؤهلهم للبحث والتدريس فى المجالات الدينية أكثر ممن سبقوهم من القيادات.

٦ ـ دور النشر والكتاب القبطى:

كانت المؤلفات فى الحقبة السابقة قليلة ولكن أثرها كان كبيراً. ومن المؤلفين الأوائل نذكر القمص يوحنا سلامة (اللآلىء النفيسة) والقمص ميخائيل مينا (علم اللاهوت) والأسقف أيسذيروس (الخريدة النفيسة) ومنّسى يوحنا، وحبيب جرجس،وبانوب عبده (كنوز النعمة)، ونجيب جرجس،والقمص منقريوس عوض الله.

ونشأ بعدهم جيل من عظماء المؤلفين مثل قداسة البابا شنوده الثالث، والأنبا يوأنس المتنيح، والأنبا بيمن المتنيح، ونيافة الأنبا موسى ، ونيافة الأنبا بيشوى، والقمص تادرس يعقوب، والأب متى المسكين، ورمسيس نجيب، والدكتورة إيرس المصرى ودراغب عبد النور، والقمص مرقص داود وآخرين.

أما الآن فقد زاد عدد المؤلفين وتنوعت إصداراتهم، وإن كانت الجودة تنقص بعض المؤلفات، إلا إن حركة التأليف قد إتسعت قاعدتها، وكذلك الترجمة والنشر. وتعددت دور النشر التى تخرج كتاباً جيداً ، منها معهد الفرنسسكان بالمعادى ودار الثقافة وعديد من الدور الاخرى . ولكن بعضاً منها لايهتم بتشجيع المؤلف مما يختزل دورها إلى دار للطباعة والتوزيع وليس داراً لتبنى الأفكار ونشر الثقافة أو التراث.

وحبذا لو وُجدت الهيئات التى تساعد على نشر المعرفة بأسعار زهيدة، وجودة عالية، دون أن يكون على المؤلفين أو القراء عبء زائد.

وقامت بعض الدور بإستيراد الكتب الكتابية والأجنبية الجيدة (مثل IPL) ٩٥ ش ٩ بالمعادى)لتعطى قليلاً من الإنفتاح المطلوب لتشجيع البحث والمطالعة بمصر.

إما دار الكتاب المقدس فلها إسهام واضح في نشر كلمة الله لقرّاء العربية، بطبعات مدعمة وبوفرة هائلة، على مدى السنين والأجيال.

ونذكر كذلك المجلات القبطية المتنوعة، وجريدة وطني، ومجلة الكرازة، والكرازة بالإنجليزية، ورسالة الشباب الكنسي، وكلها قنوات للفكر الكنسي المعاصر. وقد ذكرنا هذه المؤسسات آملين أن يأتي الوقت ليكون لها دور منظم واعي في قيادة التطوير والتقدم في كنيستنا الحبيبة مثلما قامت في الماضي بدور فعال في هذه المجالات.

٧ ـ وسائل الإعلام :

من الطرق التربوية التي نمت حديثاً إستخدام وسائل الإعلام في الخدمة الدينية، وقد جاء تطورها ملاحقاً للتطور في العالم، ولكنه متخلف عنها بعض الشيء.

فالوسائل التعليمية تحتاج إلى جهد وفن، وفكر وتفرّغ، وموارد مالية ضخمة. وإن كان الإتجاه الحديث ينمو نحو إنتاج الوسائل التعليمية المبسطة للغاية. إلا أنها لازالت تحتاج إلى إبتكار وموهبة ومجهود، وليس معنى ذلك أن الإعلام لم يقم بدوره في التربية الكنسية، فهناك الأفلام والشرائح والأشرطة والعظات واللوحات الوبرية والڤيديو التي يزداد إنتاجها ويتحسن مستواها قليلاً قليلاً، وهناك وبرامج البحث في آيات الكتاب المقدس على الكمبيوتر، أو شبكة المعلومات الدولية (Inter Net) وشبكة الإتصال بين أعضاء الطائفة القبطية (Inter - Copt) ودورات التدريب على الكمبيوتر،وكلها متاحة بالكنائس التي تتابع التطور وتحاول الإستفادة من معطيات العصر الحديث. وقد أدخلت دائرة المعارف القبطية كاملة على الشبكة الدولية، لتسهل للمشتركين البحث دون عناء،كذلك يوجد بمصر أربعة مراكز للميكروفيش والميكروفيلم تحتوى كنوز التراث الديني في

الكاتدرائية،ودير مارمينا،وإيبارشية شبين القناطر، وطرف المؤلف.

٨ ـ خدمة المهجر وأفريقيا :

ويتساءل القارىء لماذا ذكرنا هذه النقطة ونحن نعرض لعلامات النهضة التعليمية وآفاقها المتسعة؟

والإجابة بأن خبرات كنيستنا ومهاجرينا في الخارج قد أدت إلى إخصاب للفكر الكنسي، وخاصة لقلة البعثات الدراسية ـ فإن كهنتنا وخدامنا في المهجر قد أخذوا خبرات واسعة، وكذلك فإن العلمانيين مستعدون لمساعدة الكنيسة الأم بعلومهم وتخصصاتهم وإمكانياتهم، كذلك فإن الكنيسة تحاول أن توفر لهؤلاء مايساعدهم على الحفاظ على الهوية والعمق الروحي في بلاد المهجر.

ولازال المجال مفتوح لمزيد من التقدم في هذا المجال وفيما يمكن أن نسميه الإخصاب المزدوج للثقافات Cross _ Fertilistion.

٩ ـ النهضة المعمارية :

إن شكل الكنيسة يوحي بالعبادة والخشوع، وقد تطورت كنائسنا فنياً ومعمارياً وأصبح العديد منها صورة ناطقة للإبداع والوقار اللائق ببيت الله، كما أن لكل كنيسة بنيت قصة كفاح يحكي عمل الله مع الجماعة ويحكي همة الكهنة ولجان الكنائس وسخاء الأقباط في العطاء ، أما الأديرة فقد صارت صروحا شامخة تتحدى جفاف الصحراء وصعوبة البيئة .

وإننا نخص بالذكر النهضة المعمارية الحادثة في إنشاء مبان الخدمات الملحقة بمعظم الكنائس، فكم أتاحت هذه المباني للشعب فرصاً تعليمية بلا حصر، وإن كانت قد إمتصت جهود بعض الكهنة في الإشراف عليها،مما يشق عليهم ويقلل من جهدهم التعليمي والرعوي.

كذلك أنشئت مراكز التدريب والمصايف، وبيوت المغتربين، والنوادي، وكلها تتبنى برامج التدريب وإعداد القيادات وتنمية الشخصية المسيحية.

١٠ - العمل الإجتماعى والتنمية:

عندما تنيح الأنبا صموئيل (أكتوبر ١٩٨١) كان قد أسس فكرتى إنشاء أسقفية للخدمات الإجتماعية، وبداية كنائس المهجر. ولكن لم يخطر على بال أحد كيف ستنمو هاتان الظاهرتان بسرعة جبارة. وكما تحدثنا عن المهجر نتحدث بإختصار عن العمل الإجتماعى والتنمية كواجب قومى وكنسى، كما أنها وصية كتابية. وهناك قول مأثور "أن هناك من الناس من كان جائعاً لدرجة أن الله لايمكن أن يظهر له إلا فى شكل رغيف خبز" فنحن نقدم المسيح فى شكل زجاجة من الدواء لمريض، أو كساء لعريان، أو حرفة لعاطل أو جهاز تعويض لمعوق ....إلخ وكل هذه تعتبر أنشطة تعليمية فعالة لا غنى عنها إن أردنا لديانتنا ألا تكون باطلة.

ولايتسع المكان لذكر كل الأنشطة الإجتماعية والتنموية التى تقوم بها الكنيسة القبطية، والكنائس الشقيقة بمصر، وخاصة الهيئة القبطية الإنجيلية، وكاريتاس، سواء فى مجال: محو الأمية - مراكز التنمية - التوعية الصحية - العلاج - المستشفيات والمصحات - المسنين - برامج العمال - تنمية الموارد البشرية - التدريب المهنى - تعليم اللغات - المشروعات الإقتصادية - لجان الطفولة والمرأة - المعوقين - واللاجئين. إنه عمل يدعو للإعجاب فى سيمفونية رائعة قوامها الحب والتفانى. لعل هذه المظلة تمتد لتشمل بالرعاية كل الشعب القبطى المحب للمسيح، وإن أمكن لكل المصريين.

١١ - خدمة الشباب :

من المفيد أن يكون هناك نشاط عام على مستوى الكرازة المرقسية (القطر المصرى) يختص بفئة عمرية أو بقضيّة تعليمية محددة، وكانت فكرة أسقفية للشباب خطوة ناجحة فى مجال التخصص العمرى الذى يتخطى الحدود الجغرافية. (حبذا لو أنشئ مثلها للطفل...إلخ.

وتهتم أسقفية الشباب بالأسرات الجامعية،وكان أول مؤسس لها هو الدكتور/شفيق عبد الملك أستاذ التشريح بجامعة عين شمس.

كما تهتم بأنشطة الشباب مثل المسابقات ودرس الكتاب والحركة الكشفية وتدريب خدام للشباب والأنشطة الصيفية وقوافل الخدمة الريفية فى الوجه البحرى والقبلى، كذلك بمطبوعات خاصة بالشباب، وندوات للتوعية الوطنية، وتنمية مهارات تكوين الأسرة والعمل والمستقبل، والإدارة والقيادة، والحياة الكنسية .

١٢ - دور العلمانى والمرأة :

يحتاج دور العلمانى فى الكنيسة إلى تدعيم وإلى توجيه، فالعلمانى يجب أن يعمل فى تعاون مع رجال الكهنوت دون تعال أو خنوع، كذلك فإن الشعب عليه أن يقبل دور العلمانى، المخلص والمتدرب، الذى يقوم بمساعدة الكاهن أو الأسقف.

وقد نما دور العلمانى فى عصرنا هذا بقدر كاف، ونذكر من علامات هذا النمو المجلس الملّى، ونمو دور المرأة، ووجود معاونين علمانيين للكهنة فى خدمات الإدارة والسكرتارية والمالية والخدمة الأسرية والإجتماعية.

ولازالت هذه الأدوار فى إحتياج إلى أن تمتد كماً وكيفاً،خاصة مع تزايد الشعب وتعقد مشكلاته وإحتياج الكنيسة للكهنة والعلمانيين معاً.

واضرب مثلاً واحداً لهذا هو إحتياج الكاهن للطبيب النفسى لمواجهة حالات الإدمان أو الإكتئاب التى تزداد ضحاياها الآن.

فليئت اليوم الذى يعتبر العلمانيون أنفسهم "الكنيسة"، وليس مجرد "الرعية" أو "المخدومين" .

أما دور المرأة فالأفضل لى ألا أكتب دفاعاً عنه، لأن المرأة هى التى يجب أن تعى دورها بنفسها وتقوم بمسؤليتها، وتطالب بحقوقها، وتقدم

عطاءها للكنيسة والأسرة والمجتمع بصورة تناسب عصرها الذهبي الحادث الآن.

١٣ - الحوار المسكونى :

الحوار ضرورة عصرية،وقد تضطر الكنيسة للخروج عن صمتها أحياناً كثيرة، ولهذا فإن قنوات الحوار لابد أن تظل مفتوحة ومتزايدة الإتساع، سواء بين الطوائف المسيحية، أو على صعيد الشرق الأوسط، أو بين المسيحيين وغير المسيحيين.

وتقوم الرئاسة الدينية والصحافة وأسقفية الشباب ومجلس كنائس الشرق الأوسط ولجنة الحوار المسكونى بالمجمع المقدس بأسقفية الخدمات وغيرها بدور هام فى هذا المجال الذى يحتاج إلى تدعيم وتنشيط وتدريب.

نظرة كتابية :

إقرأ الإصحاح ٣٧ من سفر حزقيال، طبق ما ورد فى هذا الفصل(١٠) على الوحى الإلهى فى هذا الإصحاح.

تدريب :

١ - قسم مراحل النهضة المعاصرة إلى:
- النهضة تأخذ قوة دفع.
- مالم يتم تحقيقه بعد.
أكتب فى كل مرحلة الإنجازات التى تمت أو التى يؤمل إتمامها.

٢- فكر فى المرحلة التالية للخدمة الدينية فى مصر، أو فى إيبارشيتك، أو كنيستك المحلية أو أسرتك .هذه الأفكار تساعدك على صياغة ما تحتاج إليه:
- الإتقان.
- الإمتداد.
- الإبداع ... الخ.

٣ - قارن بين *العصر الحالى* وبين كنيسة الرسل كما ورد وصفها فى سفر الأعمال من حيث :
- الإخلاص للرسالة.
- عدد الخدام و المخدومين.
- أسلوب الخدمة.
- التحديات.
- النتائج .... إلخ.

الفصل الحادى عشر

ماذا نريد ان نعمل

التعليم بالتكوين وليس بالتلقين

التعليم فى القرن الواحد والعشرين

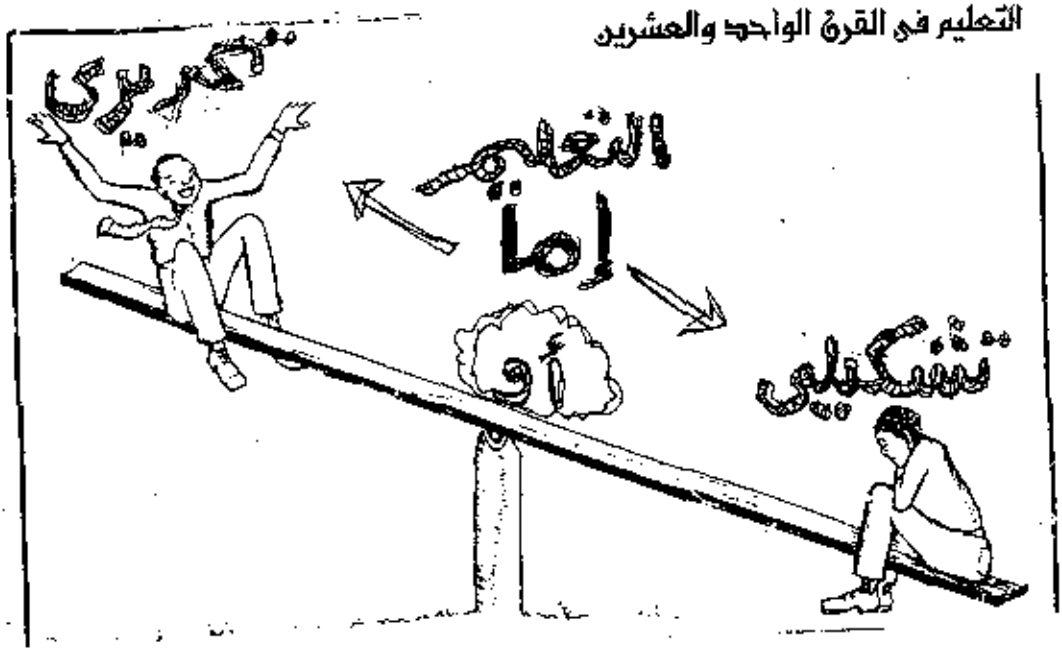

فهرس تحليلى

- التعليم بالتكوين أسلوب يهتم به المحدثون لأنه يعتمد على إكتساب الخبرة والتدريب والمشاركة.

- التكوين يعني إشراك المخدومين فى الوصول إلى بعض نقاط الدرس بمساعدة المرشد، كما يعنى إتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أسئلتهم وآرائهم بصورة أكبر، أثناء الدرس، وطول مدته، وليس فقط فى النهاية.

والتكوين يمس العاطفة والإرادة وليس العقل فقط، ويحتاج إلى إعطاء شيء من حرية التفكير والتعبير وإتاحة الوقت للمناقشات والصمت للتأمل قبل الإجابة.

- يجب أن يسير التكوين فى ثلاثة محاور هى إثارة الإنتباه ثم الحوار ثم التشجيع المناسب.

- هناك عدة طرق للتعليم بالتكوين منها عرض صورة وحوار أو عمل تدريب أو لعبة تعليمية أو ورشة عمل إبتكارية أو تقييم موقف أو محاولة تحليل مشكلة وسوف نقدم لها نماذجاً فى هذا الفصل.

الفصل الحادى عشر

ماذا نريد ان نعمل

التعليم بالتكوين وليس بالتلقين

التعليم فى القرن الواحد والعشرين

فكر معنا

١ ـ عرف التدريب.

٢ ـ كيف يتعلم الكبار؟ وماذا يميز الطرق التى يتعلمون بها عن الطرق التى يتعلم بها الصغار.

٣ ـ أذكر أنواع التعليم التى قسمنا بدراستها فى هذا الكتاب. أى هذه الإتجاهات فى رأيك أكثر مناسبة ؟

٤ ـ فى الصورة الموجودة فى بداية هذا الفصل رمز للتعليم الذى يحرر الشخصية من القيود، والتعليم بالتشكيل الذى يشكل الفرد، اشرح ذلك.

٥ ـ يقول البعض إذا وجدت عبداً نائماً فاتركه يحلم بالحرية ، أما أنا فأقول لابل أيقظه ودعه يعمل لأجل الحرية. أى الرأيين تختار فى مجال تحرير الفكر.

إن هذا الفصل ـ عزيزى القارىء من حيث أسلوبه ومحتواه يختلف قليلاً عما سبقه من فصول.

فهو يحتاج منك إلى مشاركة أكبر حتى تصل بنفسك ـ بمساعدة كاتب هذه السطور ـ إلى الأفكار التى تنوى إيضاحها. سوف تجد بعض الحلول للمسائل والمشكلات التى يطرحها الفصل، ولكن ليس قبل أن تدعك تفكر بنفسك. قد تجد هذا مجهداً ، ولكنه ليس فى الحقيقة كذلك.

فنحن نقوم بعملية الإستنتاج والتوقع بطريقة دائمة حتى ونحن نقرأ أى فصل آخر من الفصول، أو نستمع إلى أى قصة غير منتهية. فالعقل البشرى لايكف عن التفكير ولايتوقف عن الترقب، والعاطفة دائماً تنفعل وتتأثر بما يجرى حولها.

والطريقة التى سوف نتبعها فى هذا الفصل نسميها أسلوب القرن الواحد والعشرين. فهى تدع ما بداخلك أن يخرج أولاً ، ثم تبنى عليه أو

تعدله، أو تحوله إلى مهارة عملية، ودور المعلم أو الكاتب هو أن يساعدك على أن تكتشف بنفسك وتطور نفسك.

هل أنت مستعد؟

إذن إنطلق !

أسعدنى الحظ لألتقى فى صيف ١٩٩٦ بنيافة الأنبا موسى أسقف الشباب، وسمعته يردد جملة طريفة عن التعلم وهى :

"أن أفضل درس تقوله

هو الذى لاتقوله"

وكان نيافته يقصد أن أفضل طرق التدريس هى الطرق التى يكتشف فيها المتعلم بنفسه المعلومات والإتجاهات والمهارات المطلوبة منه بمساعدة المدرس، وأن على الخادم أن يؤجىء مايريد أن يقوله قليلاً حتى يسمع مايريد المخدوم أن يقوله أولاً، وينطلق من أرضية الخبرات التى إنطبعت فى هذا المخدوم منذ الصغر ليبنى عليها أو يثبتها أو يعدلها.

والآن دعنا ندخل فى حوار عبر هذه الصفحات، تكتشف فيه بنفسك شيئاً عن طرق التكوين.

التعليم بالتكوين :

أمامك صورتان تبينان نوعين من أنواع النمو الذى يرمز إلى التعليم

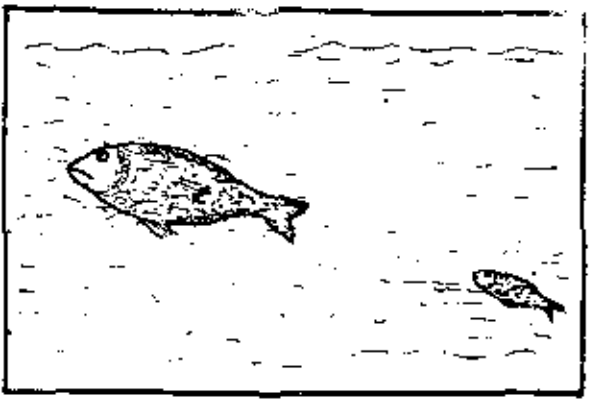

ماذا ترى فى هذه الصورة ؟

ماذا حدث للسمكة الصغيرة حتى كبرت؟

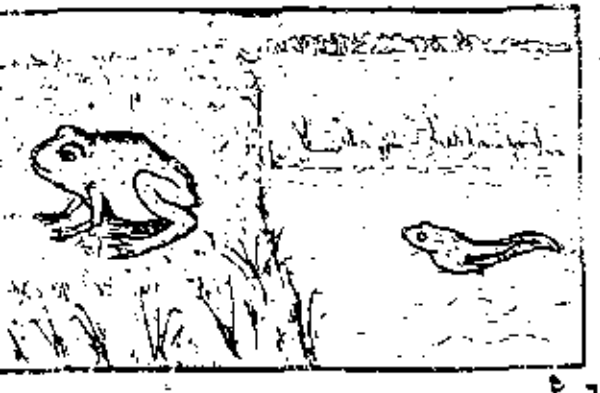

والآن ماذا ترى فى هذه الصورة؟

ماذا حدث للضفدعة الصغيرة (أبوذنيبه) حتى كبرت؟

ـ سؤال ؟

كيف تعرّف النمو؟

مرشد للإجابة

هذه الأفكار تساعدك على إجابة السؤال السابق:

ـ *النمو فيه تحور وتطور.*

ـ *الضفدعة تستطيع أن تعيش فى بيئة جديدة، وقد تكوّن لها أعضاء جديدة، كما أنها تستطيع أن تستخدم صوتها .*

ـ *هكذا فالمتعلم لديه قدرة علي التأقلم، وقد أتقن مهارات جديدة كما أنه قادر على الأداء بالأداء.*

التعليم بالتلقين :

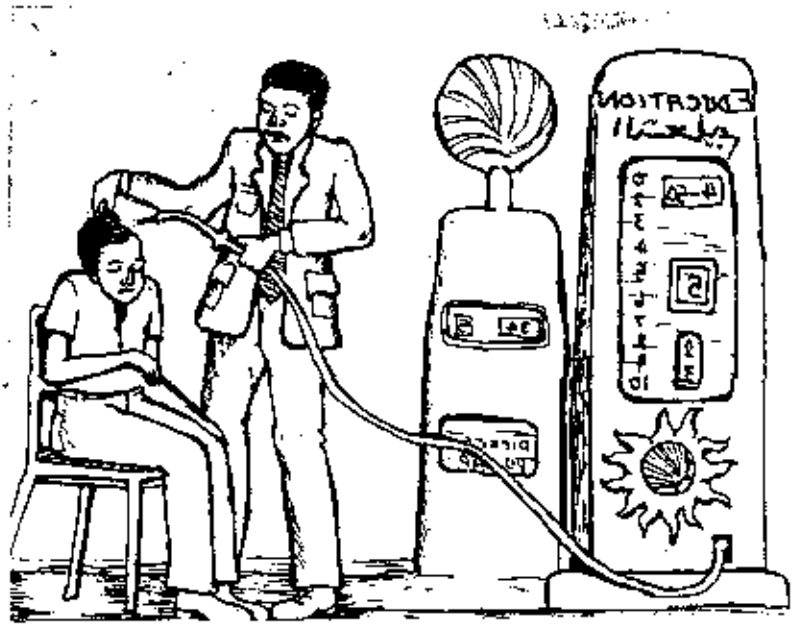

والآن ماذا ترى في هذه الصورة؟ تشير هذه الصورة إلى طرق التعليم التقليدى، ما هو الفارق بين التعليم بالتلقين والتعليم بالتكوين من حيث دور المعلم ودور التلميذ، ومن حيث كمية المعلومات و العائد التعليمى؟

مرشد للإجابة

تمثل الصورة السابقة عملية حشو الذهن بالمعرفة، أو غسيل المخ، أو مايمكن أن نسميه التعليم البنكى، حيث يعتبر المتعلم خزانة للمعلومات التى يتلقنها ويحفظها عن ظهر قلب، أو يمارسها دون فهم، أو إدراك كامل. والجدول التالى يوضح الفارق بين نوعين من التعليم نقلا عن (باولو فريرى المربى البرازيلى صاحب نظرية التعليم بالتحرير، أو لاهوت التحرير

Liberation Theology)

جدول : الفارق بين التعليم بالتلقين والتعليم بالتكوين

التعليم بالتلقين	ـ التعليم بالتكوين
ـ تعليم تقليدى. ـ تعليم بنكى. ـ يهتم بإعطاء مفاهيم. ـ ينظر فيه للمعلم على أنه حاصل على كل المعلومات الهامة. ـ يعتبر الدارسون وعاءاً فارغاً يملأ أو صفحة بيضاء يكتب عليها، أوعجينة تشكل، وينظر إليهم على أنهم عاجزون على الوصول إلى النتائج بدون المرشد. ـ المدرس عادة ما يحاضر. ـ يكون التلاميذ سلبيين.	ـ تعليم تطويرى. ـ تعليم تفاعلى. ـ يهتم بإعطاء خبرات (مفاهيم ـ إتجاهات ـ مهارات). ـ يقوم المنسق بوضع الإطار العام وعرض المشكلات للتفكير والحوار. ـ يقوم الدارسون بالمشاركة بالوصف والتحليل والإقتراح وصنع القرار والتخطيط. يضع المنسق أسئلة مثل: لماذا ـ كيف ـ وما هى النتائج؟ ـ يصبح المشاركون إيجابيين.

التعليم بالتدريب :

هناك تعريفات مختلفة للتعليم، وفيما يلى بعض الأفكار والأمثلة التى تقرّب فكرة التعليم بالتكوين :

التعليم خبرة :

فالولد الذى مدّ يده ليمسك بمقبض القدر المليء بالماء المغلى فاحترق، قد تعلم نتيجة هذا الإختبار أن الآنية الساخنة تسبب الاحتراق والألم، والذى إشتم يوماً رائحة الصابون أو الزهرة ، فإن هذه الرائحة الزكية تدخل من خلال حواسه لتكوّن خبرة يتذكرها كلما شاهد أو فكر فى الشيء ذى الرائحة.

ولذلك فنحن نريد للمتعلم أن يكوّن بنفسه الخبرة، التى يقوم بتعميمها وتطبيقها فى الحياة العملية.

وخير وسيلة لذلك هو نقل هذه الخبرة داخل الفصل نفسه، وهذا ما يسمى التعليم بالتدريب أو التكوين، وفيه لانعطى مفاهيماً أو معلومات وحسب، بل نعطى أيضاً إتجاهات ومهارات حتى نتأكد من حدوث التعليم.

تدريب :

فيما يلى لائحة ببعض الأمور المألوفة التى نتعلمها، وضح أمام كل عبارة كيف تعلمتها :

ما تعلمته	كيف تعلمته
خطورة التيار الكهربائى	غرزت دبوساً فى مدخل التيار
جدول الضرب	.....
كتابة الخط	.....
قيادة الدراجة	.....
كراهية بعض الأطعمة	.....
الخياطة	.....
كراهية بعض الناس	.....
الصلاة	.....
إستعمال دليل التليفون	.....
الطهى	.....
العقائد الدينية	.....
قيمة المال	.....
قيادة السيارة	.....
إستخدام الألفباء	.....

الجواب عن هذا التدريب يقع فى أن التعليم العقلى وحده قد لايكفى، إذ يلزم التأثير على العاطفة والإرادة، وهذا يكون أكثر فاعلية عند التعليم بالتدريب.

سُئل أحد مشاهير المعلمين :

ما هى أسوأ طريقة فى التعليم؟ فأجاب: «إنها الطريقة التى يتكرر إستخدامها دون تغيير»، فعلى الخادم إذن إستخدام الطرق التقليدية أو الحديثة العقلية أو العاطفية أو الحركية، حسب هدف الدرس ومستوى المخدوم، لكى يصل إلى النتائج المطلوبة.

مثال : لاحظ أحد الآباء أن إبنه يقوم بتلوين كل صور كتاب التلوين باللون الأسود، فعرض الأب المشكلة على أحد المربيين الذى طلب الحديث مع الطفل، فأجاب الطفل أنه ليس لدى سوى لون واحد!

وإعتقد أن بعض المدرسين يكررون أسلوباً بعينه (كأسلوب المحاضرة مثلاً) لأنهم لايعرفون أسلوباً غيره.

مبدآن هامان فى التكوين:

المبدأ الأول :

لتكن قيادة الفصل قيادة إيجابية بعيدة عن السيطرة.

على أن هذا المبدأ يجب التحذير من التمادى فيه، بمعنى ألا يترك الفصل دون إنضباط، إنما من الهام إتاحة الفرصة للمتعلم للتعبير عن آرائه وتجاربه وأسئلته وشكوكه.

ويجب أن يتم التعليم بدون روح التعالى التى تشعر المخدوم بالروتينية.

إن الأسلوب الأنجح فى عملية التعليم، حين يقوم المعلم بدور المرشد لا المتسلط، فيشير إلى الطريق، ويضع المتعلم على الدرب الصحيح، يرشده عندما يضل ويوجهه عند متفرق الطرق، ويشعره بالرضى فى نهاية المطاف عندما يبلغ الهدف المنشود. لكن ثمة أموراً يفترض بالمرشد أن يتجنبها. فمثلاً، عليه أن يتجنب قوله للغريب: "أنا أعرف كل معالم هذه المدينة، وأنت لاتعرف عنها شيئاً، لذلك أبق أنت ههنا

وأنا أقوم بما تريد أن تعمله.» ففى إعتقادك، كم يفيد هذا الغريب من معالم المدينة من خلال مثل هذا الأسلوب؟

كذلك على المرشد أن يتجنب قوله للغريب: "إغمض الآن عينيك وإمسك بذراعى وتوكل علىّ وإطمئن، وأنا آتى بك إلى الهدف."

بالطبع، يعرف القارىء مغزى هذا القول. فالمعلم لايقول لتلاميذه: "أنا أعرف الكتاب المقدس تمام المعرفة قياساً بمعرفتك الضئيلة، لذلك أجلس وأصغ لأنقل إليك هذه المعرفة."

المبدأ الثانى :

<u>ليعط المعلم تلاميذه وقتاً كافياً للتعلم لكن ليتجنب الملل.</u>

مرة أخرى فإن إعطاء الوقت الكافى لايجب التمادى فيه، بمعنى ألا يظل الدرس كله دائراً حول مناقشة مطولة فى نقطة واحدة دون سواها.

ولكن لابد للمعلم من الصبر حتى يبدأ المتعلم فى التفكير بنفسه ولنفسه. وقد صنع السيد المسيح هذا فى مثال السامرى الصالح، فلم يجب على السؤال مباشرة بحقيقة عقلية قائلاً :

"كل إنسان هو قريبك"،

بل أعطى المثل،ثم رد عليه بسؤال مفتوح يثير التفكير والتأمل، وهو فى نفس الوقت مضمون الإجابة، قائلاً:

"فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص؟» لو١٠: ٣٦

مثال :

طُلب من ماجد وچيهان أن يُدَرِسا درساً فى موضوع العبادة بالعودة إلى الإصحاح السادس من سفر إشعياء. فقدم ماجد محاضرة محضّرة بكل دقة تضمنت النقاط التالية:

١ ـ رؤيا الله (٦: ١ ـ ٤)

٢ ـ الإعتراف بالخطية (٦:٥)

٣ ـ التطهير من الخطية (٦:٦ و ٧)

٤ ـ الدعوة إلى الخدمة (٦ : ٨)

٥ ـ الإستجابة للدعوة (٦ : ٨)

وبعد تقديم الدرس، قال بعض أفراد الفصل للأستاذ ماجد أنهم جَنوا فائدة جزيلة من الدرس.

أما چيهان فسلكت سبيلاً آخر. إذ طلبت إلى فتيات فصلها أن يدرسن إشعياء ٦، منتبهات بكل تركيز إلى عناصر هذا الإختبار غير العادى الذى كان للنبى فى مجال العبادة. وقد عملت الفتيات فى حلقات قوام كل منها ثلاث، وكان فى متناولهن بضعة كتب تفسير تتناول الإصحاح المذكور، وبعد ثلث ساعة من الدراسة، طلبت چيهان منهن أن يعرضن ما حصّلنه، وكتبت ما قدمنه على السبورة، ثم راحت تجمع العنوان "عناصر إختبار عبادة"

وإليك ما كتبت :

١ ـ تنطلق العبادة من الشعور بحضور الله وتبدأ بالحمد والتسبيح.

٢ ـ إدراك حضور الله يؤدى إلى الإعتراف بالخطية.

٣ ـ الإعتراف بالخطية ينتج عنه التمتع بغفران الله لها.

٤ ـ العابد يستشعر دعوة الله.

٥ ـ العبادة الصحيحة تؤدى إلى تلبية دعوة الله.

أخيراً عادت الفتيات إلى العمل ضمن حلقاتهن الثلاثية، فوضعن برامج لفترات عبادة تتضمن بعض المزامير، وقراءات معينة من الكتاب،وألحان وترانيم محددة، وذلك على نسق التصميم المشار إليه أعلاه.

كلا الفصلين درسا الدرس عينه، وقد تناولا أيضاً النقاط عينها. ولكن الحصتين كانتا مختلفتين. إذ إن ماجد ركّز على التلقين، بينما ركزت چيهان على إكتشاف الحقائق. وقد دَرَس ماجد فصل الكتاب وعرض ما إستخلصه أمام الفصل، وچيهان أيضاً درّست النص الكتابى، ولكن السبيل الذى إختارته هو حمل التلميذات على إكتشاف معانى النص بأنفسهن.

ورب *سائل يقول* :

إن الطريقة التى إستخدمتها المدرسة تأخذ وقتاً أطول، وأن الإنتظار

حتى يبدأ التلاميذ فى التفكير يبدو كأنه يستغرق دهراً. نجيب بأن إحساسك بالوقت أثناء الصمت قد يكون مبالغاً فيه.

حاول أن تصمت خمس دقائق فقط، جرب ذلك بنفسك الآن بإستخدام الساعة. إن زمن الحصة يحتمل ٥ دقائق للتفكير، ونقول أن وقتاً يقضيه تلاميذك فى التفكير فى معانى الكتاب المقدس لايجب أن يعتبر وقتاً ضائعاً، ولكن عليك بالصبر حتى يقوم التلاميذ بعملية التفكير.

وهذه الطريقة التكوينية التى استخدمتها المدرِّسة كثيراً ماتكون سهلة على التلاميذ، حتى وإن كانت صعبة على المدرس، لأنه لم يعتاد عليها.

خلاصة :

قمنا حتى الآن بتعريف فكرة التعليم بالتكوين، الذى يقوم على التفاعل بين ما يعرفه ويشعر به المخدوم، وبين أهداف الدرس، بمساعدة المنسق.

فإن المعلم هو من يساعد التلاميذ على التعلم.

والتكوين له مزايا عديدة تفوق التلقين وهى :

١ ـ إيجابية المخدوم.
٢ ـ عدم الملل.
٣ ـ زيادة ثقة المخدوم بقدراته.
٤ ـ نقل الخبرات وإخصابها.
٥ ـ يؤثر التكوين على العاطفة والفعل والإرادة معاً.
٦ ـ يزيد الإسترجاع (لايُنسى).
٧ ـ يحترم الخبرات السابقة فيعدلها أو يبنى عليها.
٨ ـ يصلح لتعليم الكبار.
٩ ـ يزيد الإبداع والإبتكار.

أما عن عيوب هذه الطريقة فهى :

ـ تحتاج وقتاً فى التحضير.
ـ تحتاج إلى التدريب على نقطة واحدة فى المرة.

- تحتاج لمهارة فى القيادة لئلا يحدث شغب أو فوضى.
- ليس لدينا الخادم المدرب عليها.
- لاتصلح فى المناسبات الرسمية.

فهل نعتمد على التكوين فقط ؟

الواقع أننا لانستطيع أن نتعلم الجرى قبل المشى. فالخادم يجب أن يتقن الطرق التقليدية كالمحاضرة والقصة والمقال،قبل أن يحاول إستخدام الطرق الأكثر إبتكاراً.

ثم إن عليه أن يقرر أى الطرق سيستخدم بحسب المناسبة ونوعية المخدومين وهدف الدرس.

إذن

فالطرق التقليدية لاتلغى الحديثة، والطرق الحديثة لاتلغى الطرق التقليدية.

فالخدمة تحتاج منا أن نستخدم كل وسيلة ووسيلة لجذب النفوس.

مثل صينى

إذهب إلى الناس

تحدث معهم

حبهم

تعلم منهم

إبدأ بما يعرفونه

ابن على ما لديهم

حتى عندما يكتمل العمل

يقول الناس:

إننا عملنا ذلك

بأيدينا.

اقوال ماثورة عن التكوين

ساعدهم على إكتشاف جوانب حياتهم الروحية والمادية التى تحتاج إلى تغيير، وعلى تعريف مشكلاتهم ومعرفة أسبابها، ثم إيجاد طرق عمليه لتحسين الموقف التعليمى ككل. فالتعليم هو «بحث جماعى لحل المشكلات» (بمعنى أنه يشترك فيه المعلم والمتعلم).

باولو فريرى

إن دور المربى هو أن يقدم للناس، فى صورة تحدى، نفس القضايا التى قدموها هم فى صورة مشوشة.

ماو تس تونج

إن المعلم نبى يقدر أن يوقظ روح الكائن البشرى فى إطار حياته العملية، وهو يؤكد أن الإنسان كائن يستطيع أن يتجاوز ذاته ويتقدم إلى الأمام وينظر إلى المستقبل.

وأن نظرته للماضى يجب فقط أن تعلمه من هو حتى يستطيع أن يقبل مستقبله بحكمة .

باولو فريرى تعليم المقهورين Pedogogy of the Oppressors 57.

قبل كل شىء سيتحمس الناس للقضايا التى تمسهم، وللأمور التى تهمهم، قبل القضايا المفروضة عليهم، على المعلمين قبل البدء بوضع البرنامج أن يقوموا بعمل مسح لجميع الأمور التى يكون لدى المخدومين فيها مشاعر زائدة : حب - أمل - إثارة - خوف - قلق - غضب. وبعد عمل قائمة بهذه القضايا التوليدية، يجب إعتبار هذه الموضوعات أو المشكلات ذات أهمية خاصة إذ أنها تعد الموضوعات الساخنة وهى التى لها القدرة على تفجير طاقات الجماعة.

باولو فريرى

نشاط عملى فى التعليم - لشرح فكرة التكوين

يقوم به المعلم وشريك له (نقلا عن:الكتاب وأهداف التعليم أ. كولمان)

إرسم نسخة من المسألة التالية أو إصنع صورة لها على آلة التصوير، قص الأشكال متتبعاً الخطوط المتقطعة وضع القطع فى ظرف.

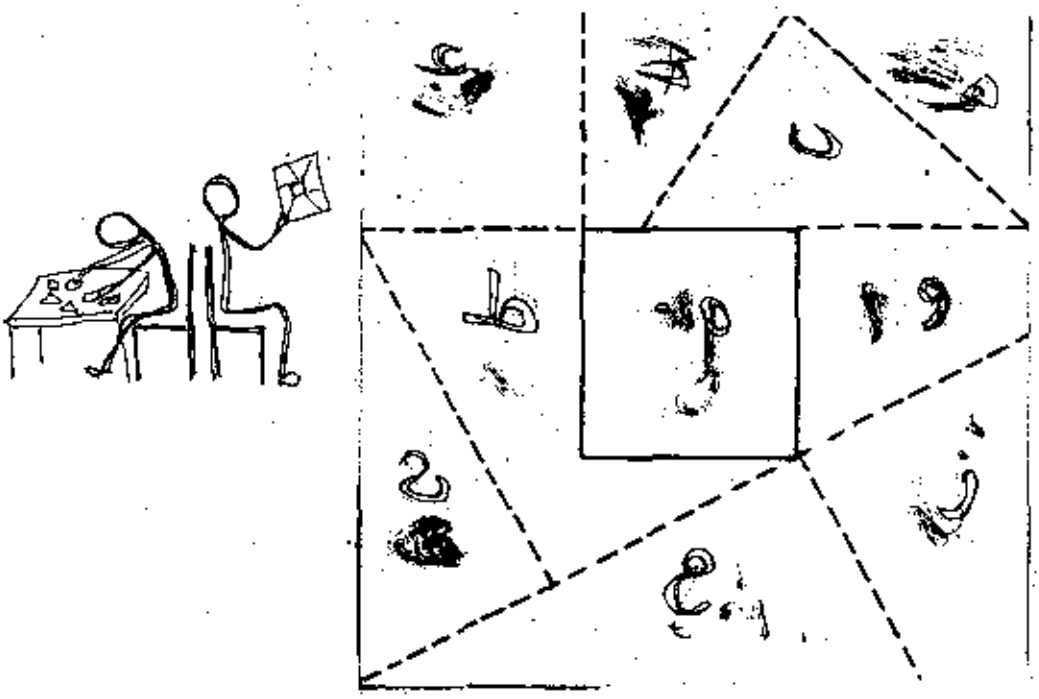

أعط شريكك الظرف وضع منضدة أمامه، ثم إجلس أنت على مقربة منه ولكن ليكن ظهرك مقابلاً لظهره. ضع نسخة كاملة من صورة الأشكال أمامك، ودون أن تلتفت إلى شريكك لقّنه كيفية تركيب الأشكال المنفصلة. لاتلتفت إليه ولاتتدخل للمساعدة بل إسرد عليه المعلومات، مثل:

ضع المربع أ فى المنتصف، وفى أعلاه المثلث ب ... إلخ بعد أن يركب شريكك القطع، أو بعد أن يبدى إخفاقه فى تركيبها أره الشكل الكامل.

والآن تأمل فى ما قمت به فى هذا التمرين، فكر فى إجابة الأسئلة التالية :

١ ـ هل أحسست بدافع لتمد يدك وتضبط القطع التى كان شريكك يحاول تركيبها؟

٢ ـ أليس من الأسهل فى رأيك أن تركب قطع المسألة بنفسك؟ ولكن لو فعلت ذلك هل تستطيع القول إن شريكك قد تعلم حقاً كيفية تركيبها؟

٣ ـ هب أن معلماً للدروس الروحية حضّر شرحاً أو تفسيراً لمقطع من الكتاب المقدس، وجاء به إلى الفصل ولقنه لتلاميذه، فهل نستطيع القول إن أفراد الفصل قد تعلموا تفسير هذا المقطع الكتابى بأنفسهم؟

٤ – عندما قمت بالتمرين وظهرك يقابل ظهر شريكك لم يكن بإستطاعتك أن ترى مدى فهمه لتوجيهاتك. لكن ألا تشبه هذه الحالة معلماً يلقى درساً من دون أن ينتظر تجاوب التلاميذ؟

٥ – عندما كنت تلقن شريكك فى التمرين تعليماتك عن كيفية تركيب قطع المسألة،كنت تقوم فعلاً بضرب من ضروب التعليم. لكن هب أن هذا الشريك تسلل من الغرفة، وأنت معطيه ظهرك، ألا تكمّل عملية التعليم والغرفة قد أصبحت خالية من السامعين؟ ألا ينطبق هذا الوضع أيضاً على تلاميذ قد تسللوا بأفكارهم خارج الفصل، فأصبحوا يحلمون أحلام اليقظة والمعلم يشرح خلواً من السامعين؟

٦ – أى الأمرين أسهل: أن تساعد تلميذاً على تحصيل تفسيره لمقطع كتابى بنفسه، أم أن تلقنه تفسيرك؟ وأيهما فى حاجة إلى مهارة أكثر: أن تلقى الدرس المعد أم أن توجه التلاميذ لإكتشاف الحقائق بأنفسهم؟

نشاط عملي لشرح فكرة التكوين :

دور المعلم فى التكوين :

على المعلم التكوينى يقع عبء :

١ ـ إيجاد الجو المواتى للتعلم.

٢ ـ التخطيط لأنشطة التعليم وتحضيرها.

٣ ـ ثم قيادة حصة التدريس وتوجيهها . وهو بهذا يحاول أن يرجئ المعلومات التى يريد إعطائها قليلاً حتى يثير ذهن التلاميذ ويحمسهم ويشوقهم للإشتراك فى الدرس والتفاعل معه . ونستطيع أن نحدد خطوات عملية التكوين كالآتى:

١ ـ التشويق :

إن إثارة الحماسة فى ذهن الدارسين موضوع هام لبدء الدرس ويجب أن يقوم المدرس بالبدء بالأنشطة المبتكرة :

كعرض صورة أو رواية حدث أو إثارة قضية أو حل مسألة أو إستخبار.

٢ – الحوار :

على أن إثارة الإنتباه للدرس، على الرغم من أهميته قد لايستمر طويلاً، فعلى المدرس البدء فوراً فى عمل حوار توليدى مع الدارسين، بهدف مساعدتهم فى مناقشة موجّهة وليست مفتوحة، للوصول إلى هدف الدرس أو الإقتراب منه.

٣ – التشجيع :

وتنتهى دورة التعليم الذاتى التى بدأت بالتشويق واستمرت فى الحوار)بتشجيع مناسب لعمر وأداء الدارسين ، وهكذا تبدأ دورة ثانية ويمكن يصمم الدرس كالآتى:

نماذج للتدريس بالتكوين

(أ) صورة وتعليق

من منهما على حق؟

إعرض الصورة السابقة على مجموعة من الدارسين

إجر حواراً حول المراهق وأسرته، إسترشد بالأسئلة التالية :

ماذا ترى فى *الصورة*؟

ماذا تفعل كل شخصية فى الصورة؟

هل من حق الشاب أن يحدد تسريحة شعره؟

ما هى حدود حرية الشاب أو الفتاة؟

ماذا تظن يكون شعور الوالدين فى هذه الحالة؟

هل من حق *الوالدين* أن يشعرا بهذا الشعور؟

ما هى حدود سلطة الوالدين؟

هل الوالدان على حق أم الشاب؟

(٢) تدريب وتعليق

هل تخدعنا المظاهر؟

- يصلح هذا التدريب لعدد كبير من الحاضرين

- يطلب المرشد من الحاضرين الإلتفات، كل إلى الشخص الجالس عن يمينه.

- بدون الحديث، يطلب المدرب من كل عضو أن يكتب ثلاثة إهتمامات يظن أن الشخص الذى عن يمينه يهتم بها.

- يطلب المدرب من الحاضرين أن يتحدثوا كل واحد إلى الشخص الذى عن يساره وبالدور يدلون بإهتماماتهم الحقيقية.

- يستمع كل شخص أولاً إلى الشخص الذى عن يمينه ، ثم يلتفت إلى اليسار ليدلى بإهتماماته .

وإليك هذا المثال :

إفترض أن الجالسين كانوا على نحو هذا الترتيب :

سامى وضع توقعاً لإهتمامات سلوى كالآتى : الرياضة - الموسيقى - الموضة.

سلوى وضعت توقعاتها لإهتمامات منى كالآتى : الصلاة - الخدمة - القراءة.

بدأت منى فى عرض إهتماماتها الحقيقية لسلوى فكانت: الألحان، الموسيقى، الخدمة . كتبت سلوى إهتمامات منى ثم أدارت رأسها يساراً لتعطى سامى قائمة بإهتماماتها الحقيقية: فجاءت الموضة، القراءة الموسيقى.

بعد أداء التدريب: إسأل الدارسين هذا السؤال الهام هل تخدعنا المظاهر؟ ، ولأى مدى؟

(٣) لعبة وتعليق :

وجهتا النظر :

للخلف أم للأمام

يعتمد هذا التدريب على لعب أدوار يهدف به المنسق أن يستنتج الدارسون بأنفسهم فكرة معينة.

خطوات التدريب :

١ ـ هذه اللقطة تحتاج إلى دقيقة واحدة للإعداد وثلاثة من المتطوعين.

٢ ـ إسأل شخصين أن يجلسا في مواجهة أحدهما الآخر على أن يواجه أحدهما الباب والآخر يعطى ظهره له (إن كان هناك أكثر من باب واحد فإختر شيئاً آخراً غير الباب بحيث يكون هناك واحد فقط من هذا النوع).

٣ ـ إسأل كلا الممثلين أين الباب؟ بحيث يجيبنا بالإشارة وبالكلام في وقت واحد.

٤ ـ يجيب أحدهما: للأمام، والآخر: للخلف.

٥ ـ يكرر السؤال: أين الباب؟

الإجابة: للأمام ـ للخلف.

إسأل الأسئلة التالية :

ـ من منهما على صواب؟

ـ ما هو الهدف من هذا اللقطة ؟

ـ ما هو تطبيقها على حياتنا المعاصرة؟

ـ ما هي العوامل التي تحد رؤيتنا:

«الثقافة ـ البيئة ـ الطبقة ـ التعليم ـ الجنس (رجل إمرأة) »

ـ ما هو قيمة هذا التدريب فى معاملتنا مع بعضنا البعض كفريق؟

(٤) نشاط تعليمي:

إختبر نظرتك للمخدومين

١ ـ إعط الدارسين (من الخدام أو أولياء الأمور) صفحة من الورق.

٢ ـ إسأل الحاضرين أن يفكروا فى أحد المراهقين الذين يعرفونهم.

٣ ـ أطلب من الحاضرين أن يكتبوا صفات المراهق حسب مايرونها فى كلمات محددة.

٤ ـ إجمع النتائج بدون إمضاءات.

٥ ـ ضع جميع الصفات على لوح من الورق.

٦ ـ إبدأ بتصنيف هذه الإجابات بوضع علامات كالآتي:

\+ صفة إيجابية

ـ صفة سلبية

م (متعادل) صفة تقع بين الإثنين

٧ ـ قم بعمل مجموع الصفات لتعرف موقف الدارسين من المراهق.

٨ ـ هذا النشاط لا يأتى بنتائج جيدة إذا عرف الدارسون مسبقاً أنهم سوف يقيّمون الصفات بحسب كونها سلبية أو إيجابية أو متعادلة.

٩ ـ قم بعمل مناقشة حول موقفنا من المراهقين.

(٥) ورشة عمل عن الإبتكار:

أكبر عدد من الصلبان فى زمن محدد

١ ـ أطلب من الحاضرين رسم أكبر عدد من الصلبان (أو الزهور) المختلفة الأشكال فى زمن محدد. حاول أن يصل العدد إلى عشرة، قم بجمع جميع الأشكال.

أجر حواراً حول كيف أن رأى الجماعة وإسهامهم يفوق إسهام الفرد.

إليك بعض نتائج هذه الورشة :

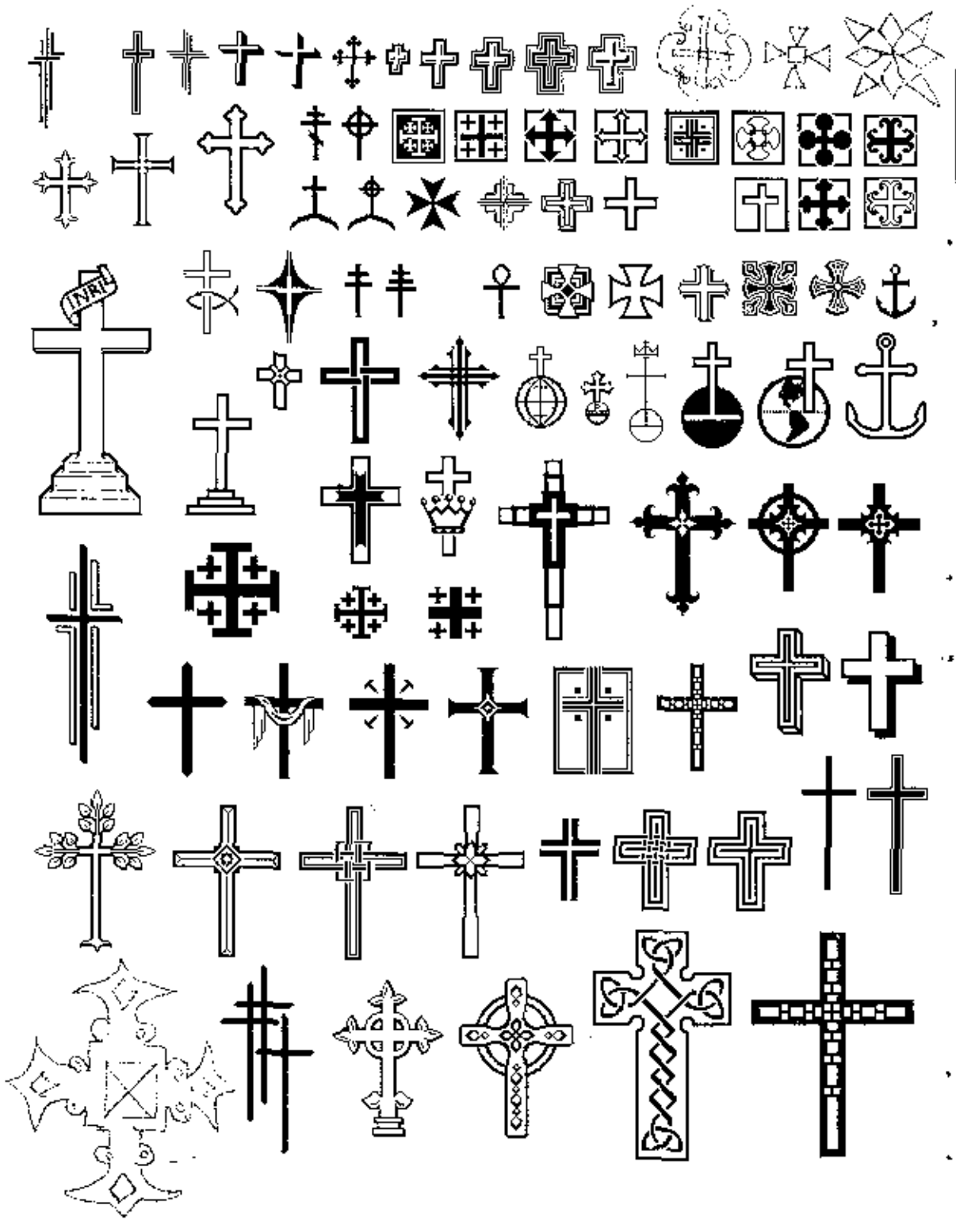
INRI

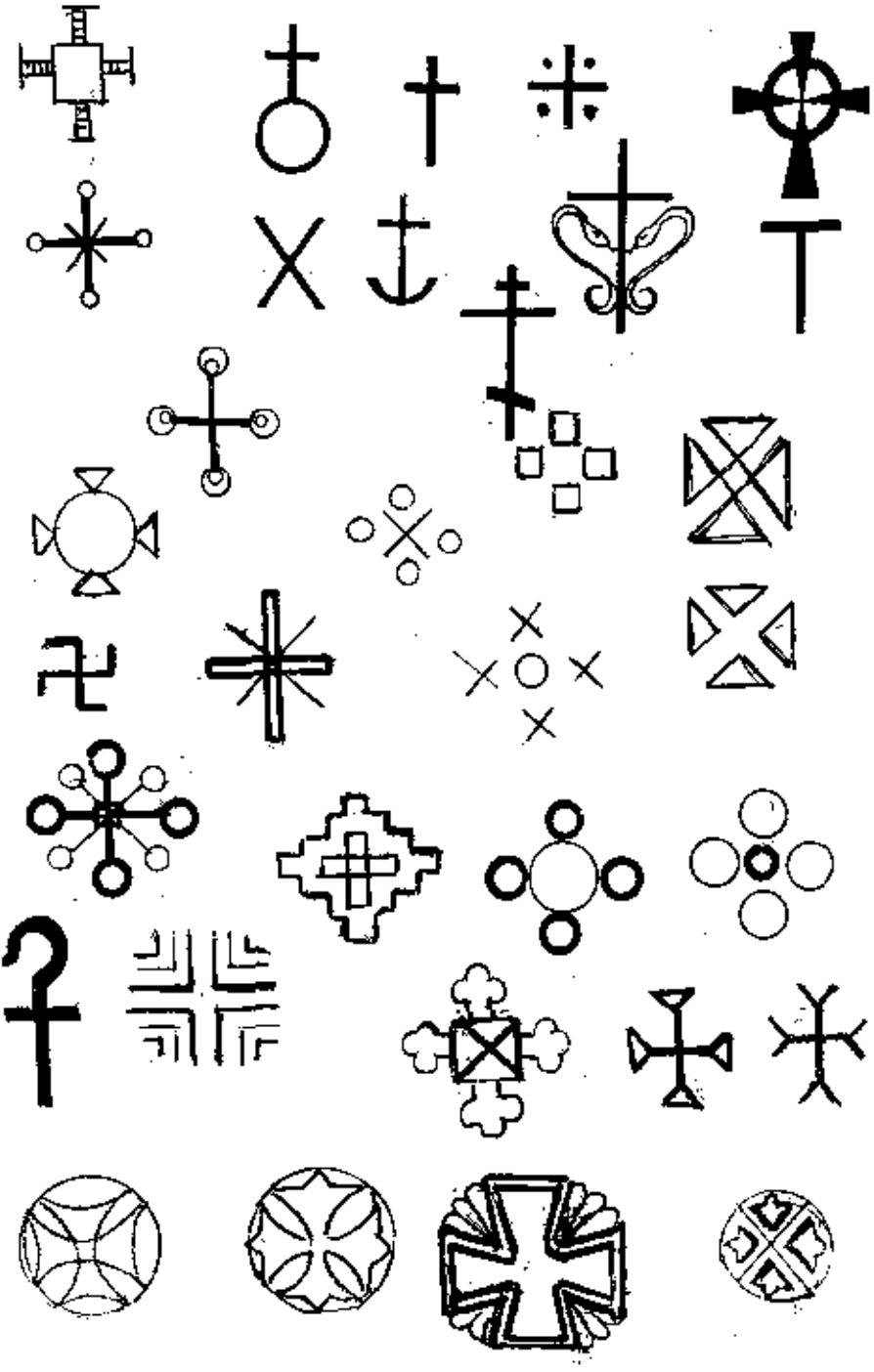

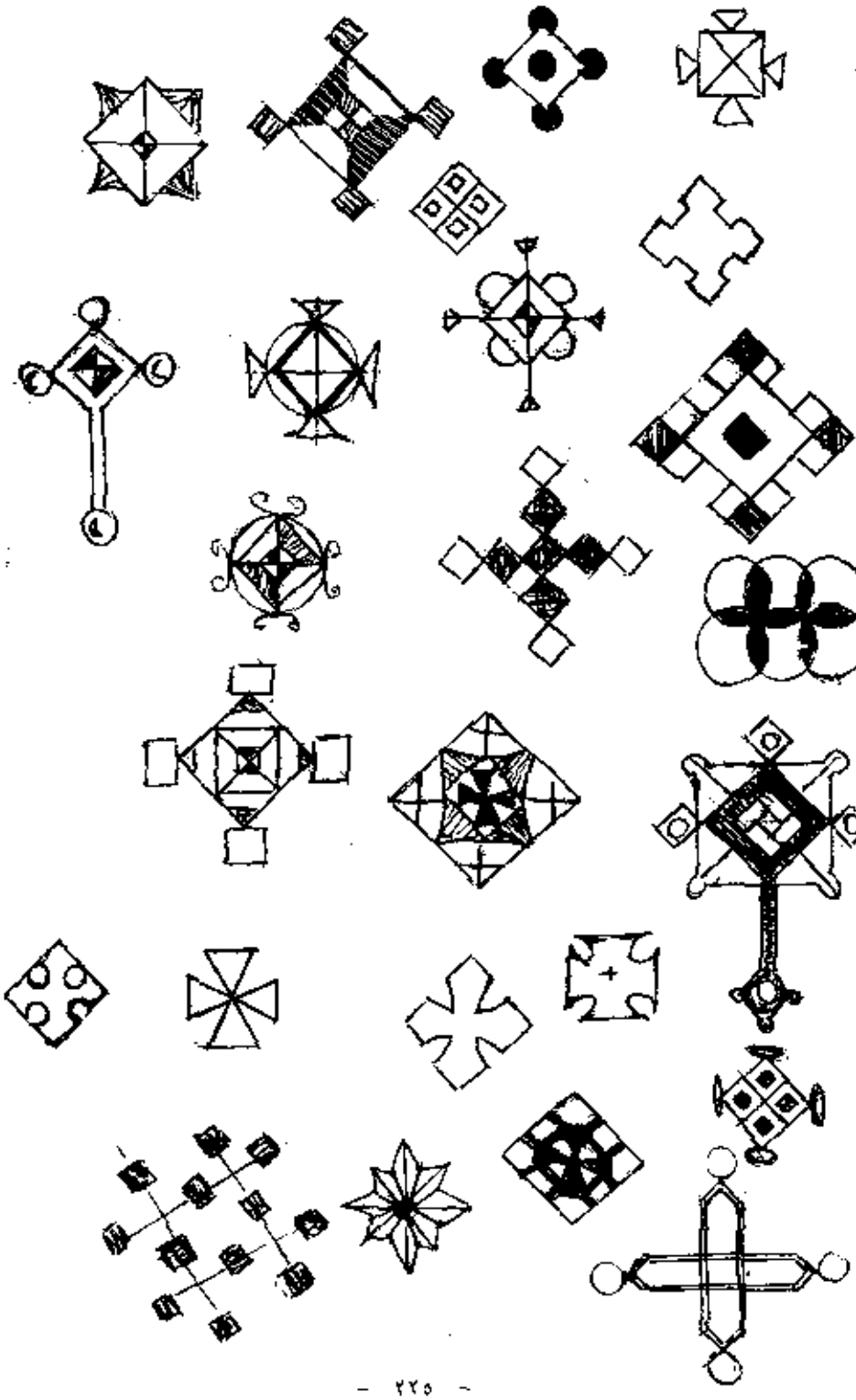

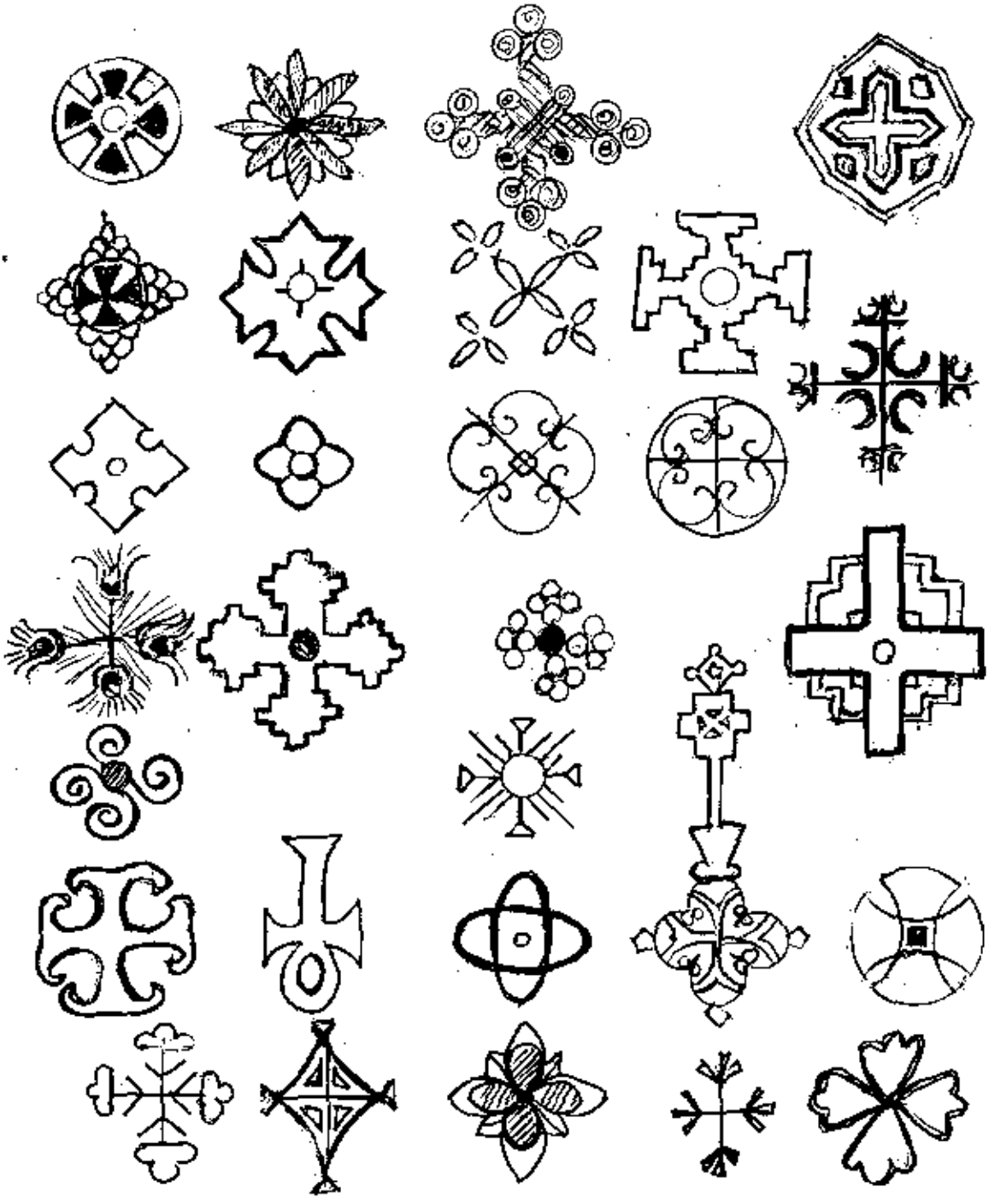

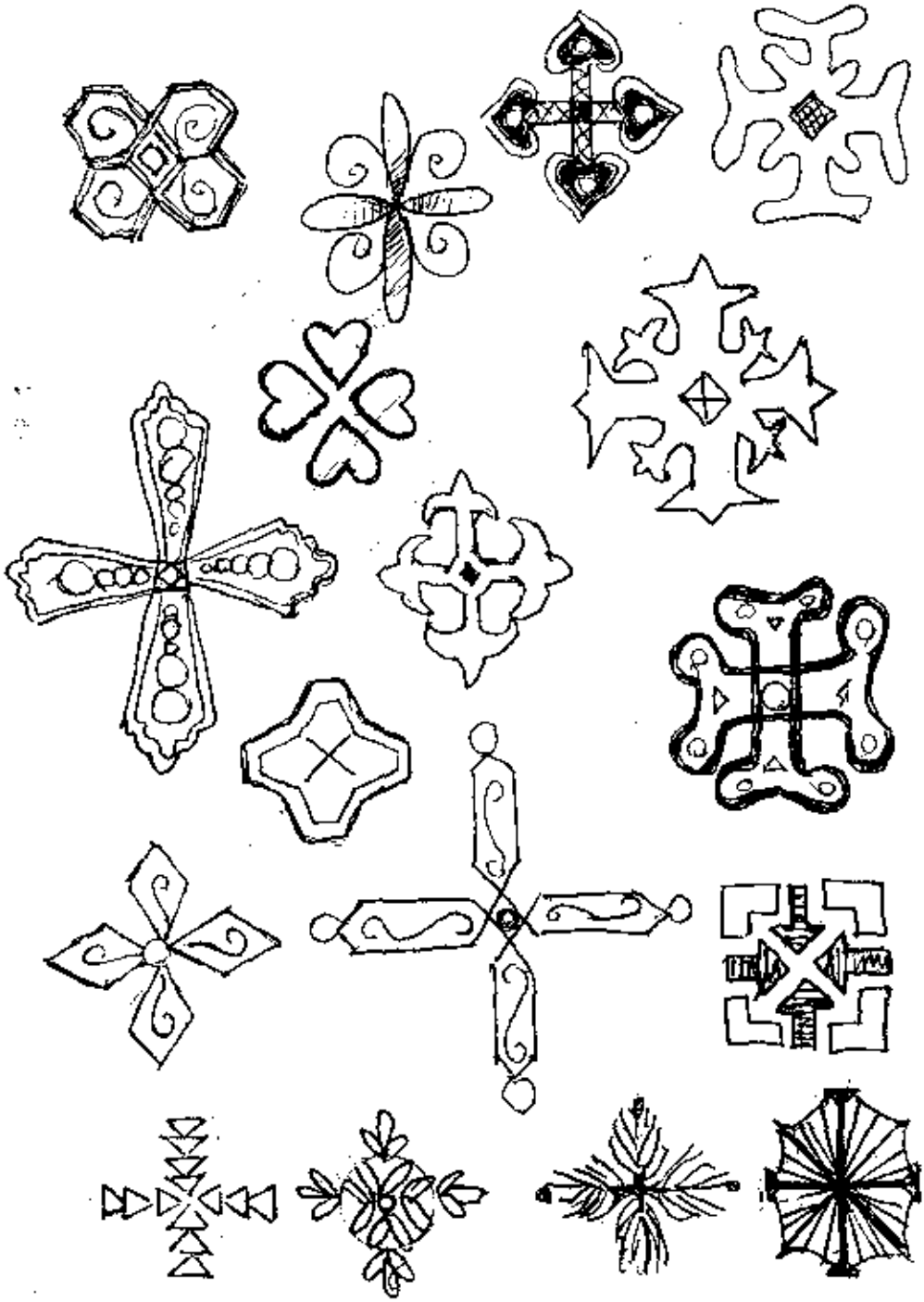

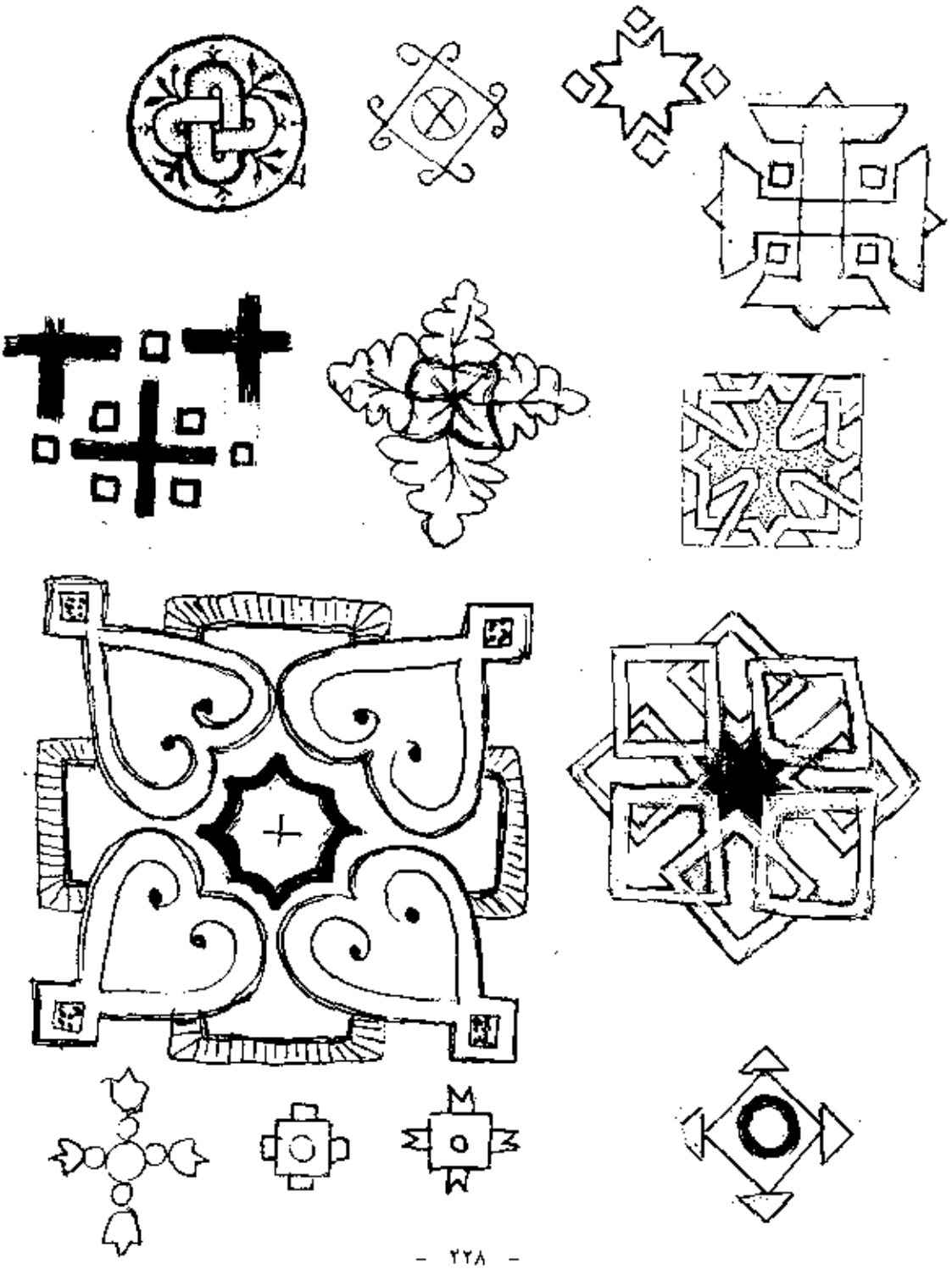

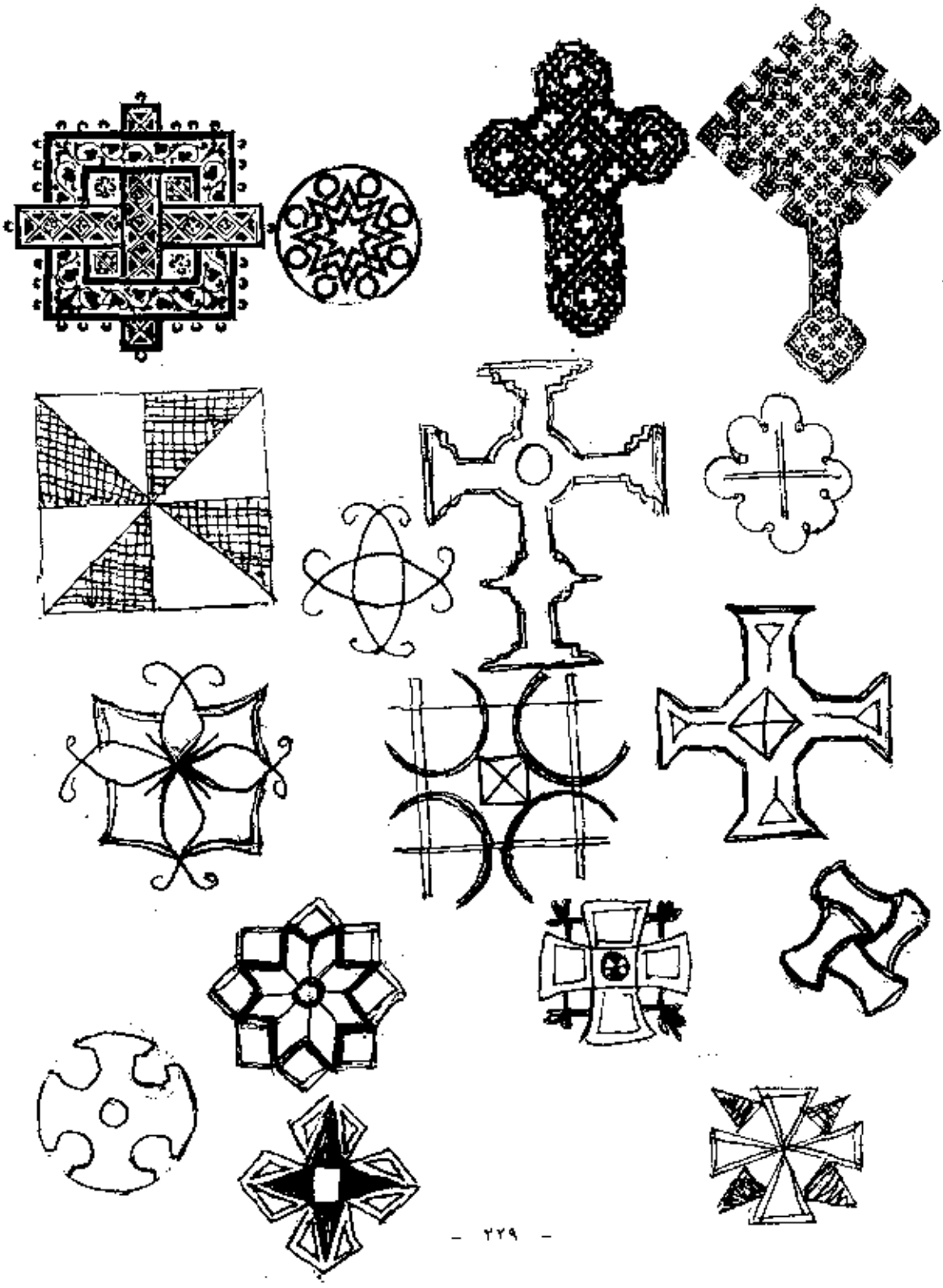

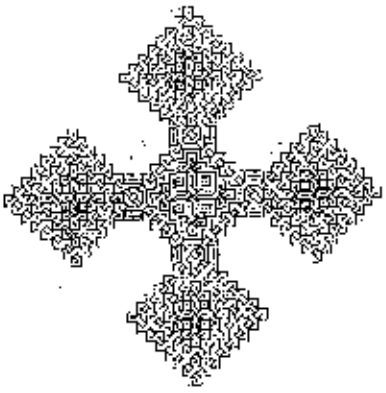

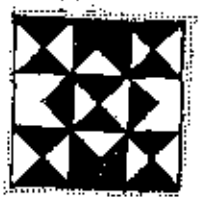

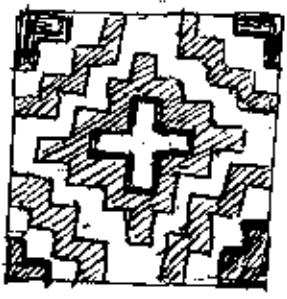

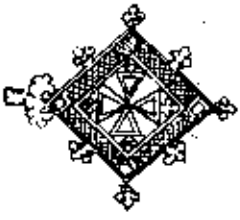

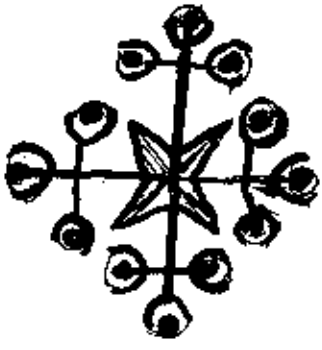

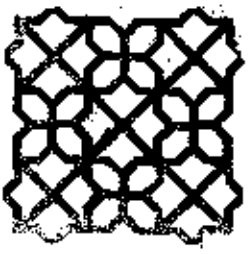

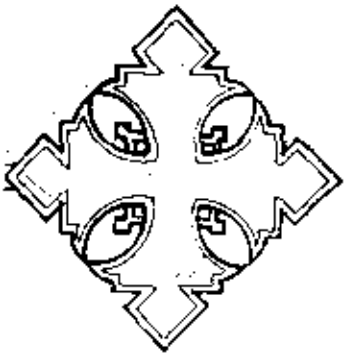

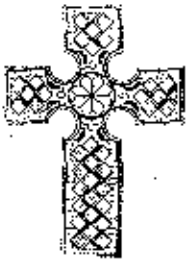

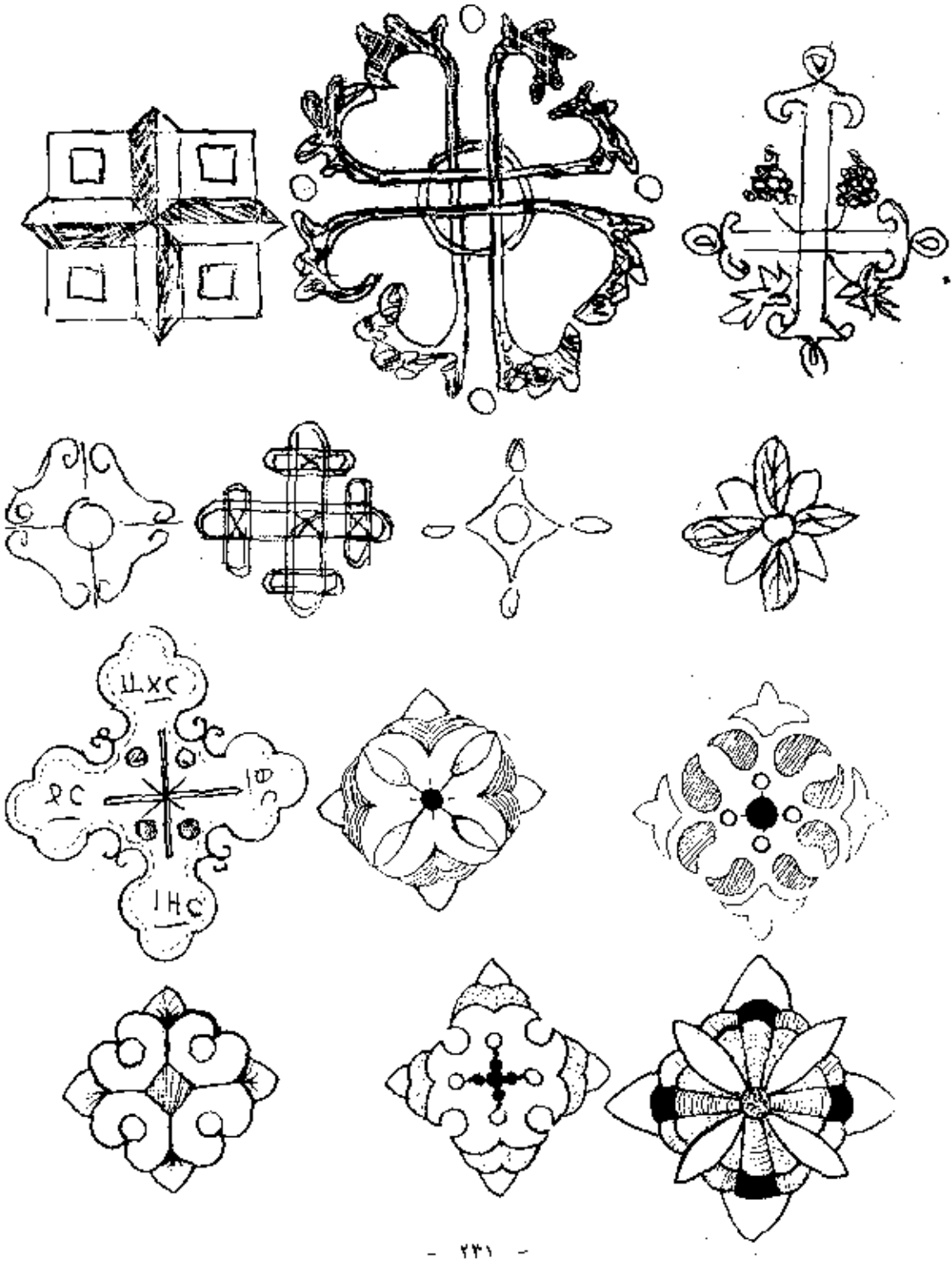

١ ـ فى مربع ب قام أحد الدارسين الذى يتمتع بمهارة فنية بتكملة الشكل كما هو.

٢ ـ فى مربع جـ قام دارس آخر بإدارة الشكل حول نفسه وقد أكمله لينشىء الشكل التالى. وهذا يدل على جدارة إبتكارية جعلته يقوم بالتصوّر المتميز بالأصالة تضاف إلى قدرته الفنية.

ملاحظة :

إن الإبتكار يختلف قليلاً عن الذكاء، فهناك أذكياء غير مبتكرين ونحن نريد غرس الإبداع عند المخدومين حتى يستطيعوا حل مشكلاتهم بأنفسهم، والوصول إلى حلول جديدة للمسائل والمشاكل المعروضة عليهم.

الإبتكار يسير جنباً مع جنب مع طرق التكوين ، لأن المتلقين به القليل من الإبتكار .. فإن كنا نريد أن نعلم المخدومين مهارات الإبداع والإبتكار والأصالة، فإننا نحن أنفسنا يجب أن نبتكر دروساً مشوقة، تخرج عن المألوف، وتتميز بالجدة والإثارة.

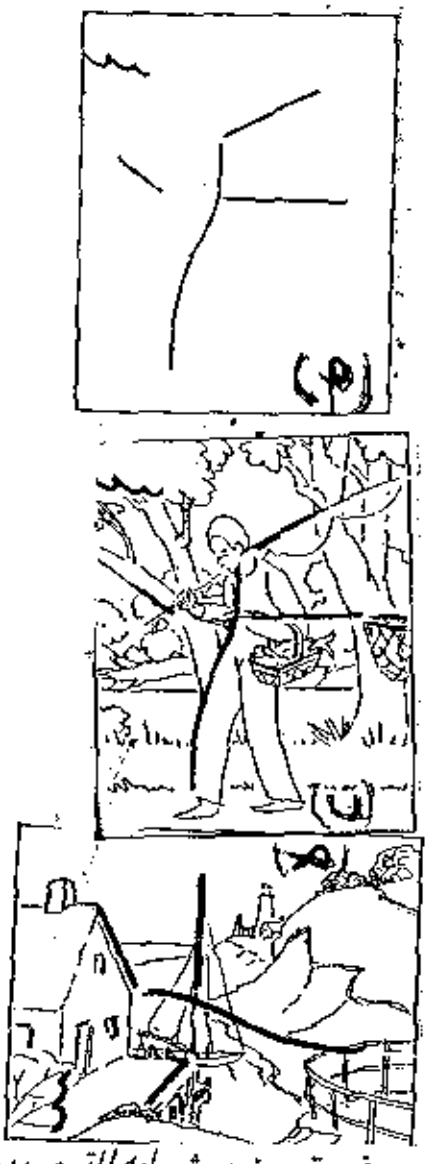

وفى تمرين مشابه للتمرين السابق، ولكنه يتميز بدرجة أعلى من الإتقان، قدم المدرس هذه الخطوط الموجودة فى مربع(أ) للتنشيط وطلب من الدارسين إكمال الشكل.

(7) نشاط تعليمي:

تحليل مشكلة

الأسباب	(١) المشكلة	(٢) ماذا يزيدها (صعوبات)	(٣) ماذا يساعد على حلها (إمكانيات)	(٤) خطوات الحل

خطوات التحليل :

- أطلب من الحاضرين أن يذكروا أهم مشكلة تضغط عليهم فى الوقت الحاضر - أكتبها فى العمود رقم ١ ، من الجدول التالى.

- فى حالة وجود عدة مشكلات قم بكتابة قائمة لها ثم اصنع جدولاً لكل واحدة على حدة على فرخ من الورق أو سبورة.

- فى العمود رقم (٢) أكتب قائمة بالأشياء التى تساعد على وجود المشكلة (أو الصعوبات) التى تمنع الحل.

- فى العمود رقم (٣) أكتب قائمة بالأشياء التى تساعد على الحل (الإمكانيات المتاحة). ربما نلاحظ فى كثير من الأحيان أن قائمة الإمكانيات أكثر مما نتصور، وأنها أكثر من الصعوبات.

- ضع مع مجموعتك خطوات عملية للحل. يمكن إضافة عموداً آخراً يختص بأسباب المشكلة، (وإن كان هذا يحتاج إلى وقت أطول للدراسة.)

(٧) إشراك الدارسين فى التخطيط

حوار هادف

١ ـ أعط كل دارس صفحة بيضاء وقلم.

٢ ـ أطلب من المشاركين أن يقسموا الصفحة الأولى إلى عمودين.

وفى خمس جمل فى العمود الأيمن يكتب المشارك حالته الحاضرة (أو حالة المخدومين أو الجماعة ... الخ) ثم فى العمود الثانى وفى خمس جمل أيضاً ماذا تريد لنفسك أو للمخدومين بعد خمس سنوات ؟

وصف للواقع المعاش اليوم	ماذا أريد أن يكون بعد ٥ سنوات ؟

أجر الحوار التالى

١ ـ هل الفرق بين الصورتين كبير ؟

٢ ـ هل من الصعب أن تصل إلى الصورة التى ترمى اليها ؟

٣ ـ ما هى التغيرات التى تتوق إليها حتى يحدث التطوير ؟

نظرة كتابية :

أفكار للتأمل

المعلم عامل مع الله

«ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي» (١ كو ٣ : ٧، ٩)

لاتعمل بدون روح الله :

تأمل فى عمل الروح القدس فى الخدمة، من قراءتك لإنجيل يو١٤، ١٦.

تداريب :

١ ـ إقرأ فصولاً من كتاب :
"*الكتاب ومبادىء التعليم*" لمؤلفه لوشيان أ. كولمان (وقد إقتبسنا منه بعض أجزاء من هذا الكتاب). الناشر دار النشر المعمدانية بيروت.

٢ ـ قارن بين *الطريقة الإستقرائية* (الأسئلة السقراطية) المذكورة فى الفصل الأول، وبين طرق التكوين الحديثة. هل يصح تقسيم الطرق التربوية *إلى* قديم وحديث؟.

٣ ـ أذكر أوجه التشابه بين التعليم بالتكوين والتعليم بالممارسة (الفصل الثالث) وكذلك التعلم بالقدوة.

٤ ـ فى التداريب الباقية نحاول الربط بين أجزاء هذه السلسلة التربوية التى بين يديك (حضن الآب) لإكتمال الفائدة وعدم التكرار.

فى كتاب سابق للمؤلف بعنوان من يفهمنى؟ عن المراهق من ١٣ ـ ١٨ سنة قمنا بعمل وحدة دروس تكوينية عن الصداقة فى ٤٠ صفحة فى الفصل الثامن من ص ٢٣٧ إلى ص ٢٨١ حبذا لو حاولت تجريبها فى فصلك أو بين أبنائك أو قمت بعمل دروس بطرق مماثلة.

٥ ـ كذلك تجد فى نفس الكتاب السابق (ص ١٠٣ـ ١٠٥) بعض الأفكار عن الإبداع تضاف على ماورد فى هذا الفصل. وهناك مقال عن الإبداع فى كتاب بناء الإنسان (تحت الطبع).
حاول القيام ببعض الأنشطة الإبتكارية التى تنمى الإبداع والأصالة والإبتكار عند تلاميذك.

٦ ـ تصفح كتاب الكلمة فى التربية المسيحية (٧٥ طريقة للوعظ والتدريس اللفظى) للمؤلف، تلاحظ وجود خلاصة لأسماء الطرق فى نهاية الكتاب، قم بعمل قائمتين: على رأس واحدة أكتب طرق تلقين، وعلى الثانية أكتب طرق تكوين، ثم قم بتصنيف طرق التدريس اللفظية تحت القائمتين.

خاتمة

من هنا نبدأ

أحلام هل تتحقق ؟

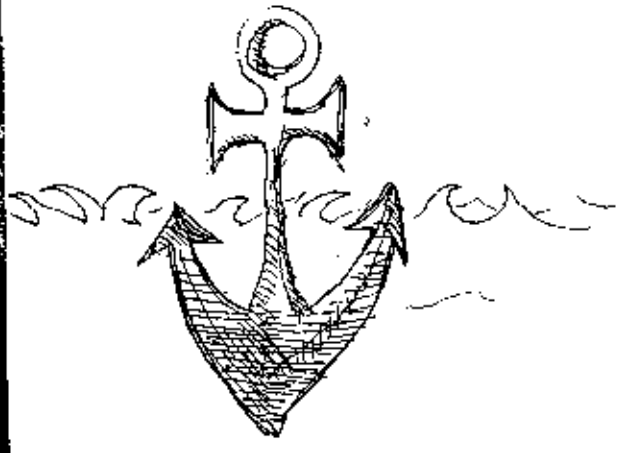

فهرس تحليلي

- لدى حلم أطلب من الله تحقيقه فهل تشاركني حلمي ؟

- إنه حلم يختص بتطوير شامل كمياً وكيفياً للخدمة الدينية.

ولست أقول أنه إصلاح بل تطوير لأن الماضي لم يكُن سيئاً، ولكن المستقبل يجب أن يكون أفضل

- وكل مشروع يبدأ بحلم، برغبة، بأمنية، بصلاة، ثم يتدرج إلى وضع أهداف وبرامج عملية.

- هناك صعوبات لابد أن نقابلنا ولكنها لايجب أن تثنينا عن عزمنا.

- من مبادىء التطوير التي يجب أن نراعيها التدرج والمثابرة والتفرغ والتخصص والإتقان والمعاصرة والتيسير والتجريب وروح الفريق والتنظيم والإمكانيات والبدء.

خاتمة

من هنا نبدأ

أحلام هل تتحقق ؟

فكر معنا

١ ـ *يرمز للرجاء بالهلب أو المرساة لأنها تسبق السفينة إلى بر الأمان. ولكن فى الصورة السابقة تجد أن المرساة تحتوى أيضاً على صليب، فكر معنا فى هذا المفهوم.*

٢ ـ *ما هو الفرق بين التربية وبين التعليم.*

٣ ـ *ماهى عيوب التعليم فى بلادنا؟*

٤ ـ *هل توجد نفس هذه العيوب فى النظام التعليمى بمدارس الأحد؟ ولأى درجة؟*

٥ ـ *ماذا تعتقد أنه يجب أن يكون العمل؟*

٦ *ما هى أهداف التربية الكنسية فى مجتمعك المحلى للفترة القادمة؟*

٧ – *كيف يمكنك مع زملائك تحقيق هذه الأهداف؟*

بدأ هذا الكتاب بعرض تاريخى، كان محوره حياة السيد المسيح والآباء الرسل ونموذجهم فى التربية المتكاملة.

ثم مررنا فى رحلة عبر أقوال الآباء ومواقفهم الرعوية حتى وصلنا إلى عصرنا الحالى، ونحن نقول (إن شعباً لايعرف الماضى ليس له أيضاً مستقبل)

وهذا الفصل هو نظرة مستقبلية، لاتقوم على الخيال بل على الواقع، على ماض عريق وتراث عميق الجذور.

رأيت حلماً

دعونى أشارككم حلمى الذى أراه فى صحوى وفى نومى:

حلمى، أغلى ما أملك، هو هدفى وأملى، هو عملى، هو طعامى وشرابى، شعرى ونثرى، لحنى وألوانى، شمسى وقمرى، ورحلة عمرى.

رأيت فى حلمى الكنيسة وقد صارت أرقى نظام تعليمى فى مصر، وقد جنّد لها المخلصون جل جهودهم وعشور جيوبهم، فصارت مزينة ومهيئة بأكثر الوسائل التعليمية تأثيراً، وأروع الأماكن جاذبية.

ورأيت الأطفال يقبلون عليها ويخرجون منها، وفى أيديهم أوراق الأنشطة التى قاموا بشغف بعملها بأنفسهم داخل الفصل، يسرعون بالعودة إلى بيوتهم، يشاركون أسرهم ما يعملونه، ويطلبون منهم المساعدة فى النشاط المنزلى، وبلذة وشوق،لايصبرون حتى يترك الوالدان ما بأيديهم، يبدأون فى تمثيل القصص التى تعلموها، وتلوين الأوراق التى تسلموها، يلتفون حول أشرطة مسجلة بها ترانيم وقصص خاصة بهم، يقضون الوقت فى سعادة غامرة، يطلبون من الأسرة السماح لهم بممارسة باقى النشاط الأسبوعى: دروس التقوية فى الشتاء، النادى الصيفى والرحلات، جماعات النشاط .

رأيت،فى حلماً أرضاً متسعة بها كل مايسمح للطفل بالتخيل، رأيت فى حلمى مدينة مصغرة للطفل بحجم يناسبهم، يدخل فيها الطفل، ويقوم الطفل بالتمثيل والمشاهدة، فيشق موسى والشعب البحر الأحمر، ثم يدخل الطفل المزود، ويقدم الهدايا ويرى الأصنام تتساقط عند مجيء المسيح مع الأسرة المقدسة إلى مصر، ثم يصعد إلى الجلجثة ويدخل القبر الفارغ،يرى الأكفان وعليها آثار الدماء، يحتفل بعد ذلك بالقيامة، وسط الرعود والبروق. يحمل شارات وصلباناً، ويسير فى موكب الظفر خلف المسيح المنتصر.

أما الشباب فرأيتهم يشاركون فى التخطيط، يقيّمون إحتياجاتهم وإمكانياتهم، يجتمعون فى حلقات بحث حول الكتاب المقدس، ويقودهم شاب أو فتاة ، وقد عرفوا أن إجتماعهم هو ملك لهم، لايسمحون أن يقضوا فيه الوقت عبثاً ، ولايسمحون أن تفرض عليهم آراء الأقدمين. نزوات الشباب تراودهم، ولكن لاتتحكم فيهم، يختلطون بالشباب فى المدرسة الثانوية، فى الجامعة والمعهد ولكن شيئاً هاماً يميزهم: النضوج المبكر، ونقاوة الفكر. تعودوا إتخاذ القرار، بل صنع القرار،

يواجهون مشاكلهم بإرادة من حديد، الآفاق متسعة أمامهم، مهما ضاق بهم الواقع. يتسابقون على الأنشطة الهادفة: الكمبيوتر، الصِّرف، اللغات، *الدراسات الدينية، الرياضة، الخلوات*، يتعاونون مع مسؤلين، فى تجاوب وصراحة، يعبّرون عن آرائهم بجرأة وحرية. الإنضباط والصراحة يسيران معاً فى حياتهم، ينظرون نحو الهدف خطوة واحدة كل يوم، بعزم وسعادة وتفاؤل.

إشتركت كنائس كل حى من جميع الطوائف، وفرّت ملاعب متسعة للشباب، رأيت مدربين قائمين على تعليمهم الرياضة بجدية، ورأيت الشباب يتحولون من مشجعين للرياضة إلى ممارسين لها. أما المعسكرات الشاطئية فهى متاحة لهم بالمجان، أو بسعر زهيد. ويقوم الشباب بالطهى بأنفسهم ثم يجتمعون على الطعام، وينصرفون للرياضة والسباحة، بروح رياضية عالية تنشأ (خناقة) ولكن المشرف يسرع بحلها ويستمر اللعب.

فى الصباح الباكر جلسة هادئة للتأمل والتسبيح، وقت الغروب مخصص للكتاب المقدس، وفحص النفس، يكتبون المذكرات وهم متطلعون إلى الأفق *البعيد*، ويعودون بقوة أعظم.

ورأيت فى حلمى جميع الفئات: المسنين والعمال والقرويين والمعوقين وقد صممت لهم البرامج الخاصة، التى لاتقل كمّاً أو كيفاً عن خدمة مدارس الأحد.

يقوم المسؤلون بتدريس المدرسين لمدة عام، يتفرغ المدرسون بعدها لخدمة هذه الأنشطة المتخصصة.

التربية الكنسية لاتنتهى عند سن الجامعة، بل تمتد بخدماتها للأسرة فى مراحلها المختلفة حتى نهاية العمر.

تجتمع الأسر أسبوعياً، يقودهم علمانى مدرب، يبدأون فى مشاركة فصل كتابى، ثم مشكلات يومية بحماس، يصلّون بعمق، يتفقون على نزهة مشتركة، وحضور جماعى للمناسبات الكنسية.

جلت فى حلمى بأماكن مزدحمة مكتظة السكان، فى المطرية وشبرا والزيتون وبيجام، فرأيت العمل منظماً، تمتلئ الكنائس ثم تفرغ، وتأتى السيارات لتحمل القادمين مجاناً لحضور القداسات والإجتماعات.

ورأيت برامج للتوعية الصحية والوطنية والتنمية الإجتماعية والإقتصادية تسير جنباً إلى جنب مع برامج الحرفيين والمثقفين.

دخلت حجرة مجهزة بالكمبيوتر يحوى أسماء وعناوين ومعلومات عن أفراد الرعية، فى دقة وسرية تامة، حُددت أسماء الخدام على خرائط ذات ألوان مميزة لكل قسم، يقومون بزيارات منتظمة، يتابعهم مسئول متفرغ، يقوم بالعون بسرعة وكفاءة.

جلت فى حلمى بالمحافظات، فى الإسكندرية ودمنهور، فى بنى سويف، والمنيا، وبورسعيد، فوجئت بأفكار جديدة وأنشطة متجددة تنمو وتتزايد، يتبادلون الخبرات فيما بينهم بإنتظام، يشاركون الإمكانيات، وفى أسيوط ونقادة، وسوهاج وأسوان، إتخذت الخدمة طابعها الخاص، إنها تمتاز بالحماس والجدية والتماسك والترابط بين أفراد الشعب، والمحبة للخدام. لم أجد تميزاً بين غنى وفقير، أمى ومثقف، رجل وإمرأة، والخدمات قد تم تجريبها وإختيارها بدقة لتخدم البيئات المحلية والفرعية وتناسب الثقافات المختلفة.

ثم رأيت دور نشر مزودة بأرقى ماكينات الطبع، تقوم بطباعة المؤلفات والدروس والصور والإصدارات بأسعار خاصة لصالح الخدمة، وتعنى بنشر التراث المسيحى وحفظه من الضياع، مع دراسات تطبيقية معاصرة تناسب روح القرن الذى نعيش فيه، وإحتياجات الإنسان الحديث. كذلك تعددت النشرات والمجلات الملونة والهادفة، تحمل الخبر والرأى والتحقيق الصحفى .

لقد أصبحت للتربية الكنسية مركز الصدارة فى خدمة الكنيسة قيادة وشعباً ، ولم يعد دورها يقتصر على

الصغار، فهي ترعى المخطوبين وحديثي الزواج والمسنين والأرامل والمجندين والفئات الخاصة .

ثم رأيت في حلمي مراكز متخصصة للإستشارات الأسرية، تقوم بالتوعية في مجال التعامل والعلاقات المسيحية ، تحل المشكلات في مهدها قبل أن تتفاقم وتهدد الأسرة بالتوتر والأفراد بالضياع أو اللجوء للحلول الخاطئة.

أما الإعلام الكنسي فقد بُذل فيه جهد كبير لكي يكون على المستوى الإنتاجي المتخصص فنياً وفكرياً ودينياً وروحياً. فهناك العروض المؤثرة والتسجيلات المتقنة والمصنفات الممتعة المتجددة للطفل وللكبار المثقف وغير المثقف.

أفلام قصيرة تعرض في دقائق معدودة للحوار، كذلك فهناك الأشرطة التعليمية بهدف التدريب على مهارات معينة، أما العظات والموضوعات الدراسية فوجدتها معدة مسبقاً في البومات فاخرة .

ودخلت في حلمي مكتبات عامة يمتنع فيها الحديث، ويسودها الشغف بالقراءة، وتحتوى على أقسام للأطفال وسماعات للأذن للإستمتاع بالأشرطة والتسجيلات، وشبكات ودوائر المعرفة وبنوك المعلومات.

أما دور الحضانة الكنسية فوجدت فيها في حلمي مُشرفة لكل سبعة أطفال، وحجرات مليئة بالألعاب والرسوم والوسائل التعليمية، وفناء به حمام سباحة للأطفال، ومراجيح وصناديق الرمال، وحجرات للرسم والعرائس، وكم تمنيت لو عادت طفولتي مرة أخرى .

تخصصت بعض الأديرة والمراكز الثقافية والجماعات المتعلمة في عمل تطوير وتعميق للدراسات التربوية والبرامج التعليمية، لمختلف الأعمار والمستويات، أتاحت هذه المراكز بعثات

ودورات تدريبية شاملة الإقامة والتسهيلات، وأتاحت الأساتذة والمراجع الخارجية بمختلف اللغات، شاملة مراجع من العالم الثالث كالهند وكينيا والبرازيل، حتى تقف على الخبرات المعاصرة في التطوير.

أما الكلية الإكليريكية فقد إهتمت بتدريب الكاهن و المكرس على هذه المهارات تدريباً عملياً، ولم يسمح لهم بالتخرج قبل قضاء فترة من التدريب وصقل المواهب، كذلك عُملت دورات تدريبية تنشيطية للخريجين للتعمّق والتخصص والدراسة المتصلة.

رصدت الكنائس والإيبارشيات ٢٥٪ من ميزانيتها لهذه المهمة التعليمية الخطيرة، كما ساهمت بعض الكنائس والأفراد بمبالغ أخرى.

أما الهيئات المهتمة بالطفولة والشباب والمرأة والعمال والمعوقين والتنمية فلها أسهمها ومستشاروها وخدامها، يعملون جنباً إلى جنب مع واضعي البرامج والجمعيات والكنائس.

أصبح لكنيستنا مركز خاص بين الكنائس فى العالم، فبالإضافة إلى قِدمها وعراقتها، فإنها تقوم بدور رائد فى الحوار المسكونى وتبادل الخبرات لخدمة الإنسان المعاصر، ولها حضور فى كافة المجتمعات والمؤتمرات الدولية، من أجل تقديم رسالة المسيح للكل.

وأنا لازلت أحلم وأحلم..

وحلمى يعذبنى ويلذذنى !!

أيهما أولاً ؟

التدريب القادم

عزيزى القارىء

يساعدك على إعادة صياغة الحلم (أهداف التربية المسيحية) فى الفترة القادمة بحسب أهميتها.

الخطوات :

١ – إرسم شجرة ذات جذور وساق وأفرع وثمار.

٢ – حدد المجالات التى وردت فى الحلم.

٣ – هذه المجالات التى ورد ذكرها فى الحلم مطلوب تقسيمها حسب

أهميتها وأولويتها في نظرك، ضع الجـــذور أولاً، ثم أهم الأنشطة في الساق، ثم الأنشطة الأكثر تطوراً في الفروع، ضع الأهداف العامة في الثمار.

ذكرنا في الحلم :

الإعلام الكنسي.

وسائل الإيضاح.

برامج توعية صحية إجتماعية.

دور النشر.

حفظ التراث.

التنمية.

الرهبنة.

العمل المسكوني.

دراسات عليا.

الصحافة الكنسية.

إستشارات أسرية.

محو الأمية.

نشاط فني.

أندية وأرض معسكرات.

دورات تدريبية.

إجتماعات تربية أسرية.

خدمة الفئات الخاصة.

الكلية الإكليريكية.

المكتبات.

الثمار (الأهداف)

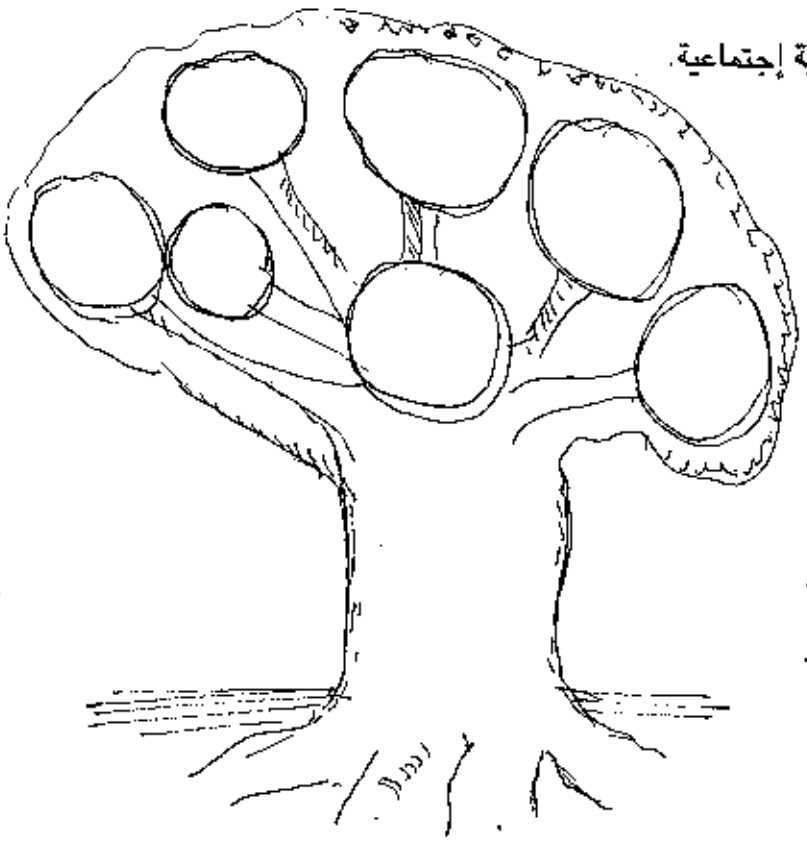

هل قصرت يد الرب عن أن تخلص؟

إن أى حلم يحتاج من أجل تحقيقه إلى تكاتف الجهود وتكثيف المحاولات.

ولكن لنا أن نسأل قبل مناقشة هذا الجزء، هل قصرت يد الرب على أن تخلّص؟ أليس الرب قادر أن يعمل بنا وفينا، كما عمل فى موسى ويشوع والرسل وإستخدمهم لتحقيق ما أراده لشعبه من خلاص ونماء، فإن لم يبنى الرب البيت فباطلا تعب البناءون، وأكاد أن أقول أن الحلم قد بدأ بالفعل فى التحقق. وإن كنا لانرضى للتربية الكنسية أن تقف فى منتصف الطريق، ولسنا نريد للنتائج أن تأتى باهتة أو مبتورة، أو للإنجازات أن تكون لمجرد ملء فراغات، أو إراحة الضمائر، فنحن نريد الجودة والإتقان والفاعلية. نريد للحياة الدينية أن تتغلغل للواقع اليومى "لكل إنسان ولكل الإنسان" فى جميع مجالات الحياة. نريد للعالم أن يصير كنيسة، وللكنيسة أن تغزو كل العالم، حتى تمتلىء السفينة، وتمتد الحظيرة، وتتفرع الكرمة، ليستظل تحتها كل الشعوب والفئات .

هذا ممكن، ولكن !

هناك كلمة عن عقبات التطوير:

لكل عمل عظيم صعوبة تعترضه، فالتطوير عملية شاقة فى معظم الأحيان، فالناس يحبون ما يعرفونه ويخشون ما يجهلونه.

ولكى نساعدك على التفكير والتخطيط نورد بعض عقبات التطوير التى تواجه بعض الكنائس، يمكنك أن تحذف من هذه القائمة أو تزيد عليها، لكى تقوم بعمل قائمة واقعية للعقبات التى تواجهك.

ولكن تذكّر أن العقبات يجب أن تزيدك تحفزاً وإصراراً، وصلاة وجهاداً، فالعقبة تشبه حجراً، ونحن نستطيع أن نقف فوق الحجر فلا نعثر به، بل على العكس فإنه يزيد من إمكانياتنا،

ويساعدنا على عبور مياه المستنقعات، أما إذا إصطدمنا بالحجر فإننا نتعثر ونقف ونسقط. وهناك من يقوم بتجميع كل الحجارة المتناثرة عبر الطريق ويضيعها أمامه بطريقة تدعو إلى اليأس، ولهؤلاء نقول:

إن الصعوبات موجودة ولكنها كالحجارة المتناثرة عبر الطريق، تستطيع دائماً أن تمر من وسطها!

أهم عقبات التطوير :

١ـ عدم الشعور بالمشكلة (كل شيء على مايرام).

٢ ـ الخوف من التغيير (شر أعرفه أفضل من خير لا أعرفه).

٣ ـ الخوف من السلطة (لئلا يظن القادة أننا متمردون).

٤ ـ الخوف من التسيب (لئلا تصبح الأمور تهريجاً).

٥ ـ عدم معرفة طرق التطوير (كيف أقوم بالتغير؟).

٦ ـ عدم وجود إمكانيات (يدى قصيرة).

٧ ـ عدم الثقة فى النفس وضعف الإيمان (من أنا حتى أعمل ؟).

٨ ـ الضغوط الخارجية (العمل يثير من هم حولى).

مبادىء وإقتراحات هامة للتطوير

هذه المبادىء يجب أن تراعيها عند القيام بالتطوير :

١ ـ التدرج :

لايجب أن يلغى الجديد القديم لئلا يكون التطوير طفرة أو ثورة، فكلمة تطوير بالإنجليزية Evolution أما الثورة فيشار إليها بكلمة Revolution ويكون فيها التغير عنيفاً فجائياً مفتعلاً بما فى هذه الطريقة الأخيرة من عيوب.

٢ ـ المثابرة :

فالذى يقوم بالتطوير لايجب عليه أن يعمل ستة أشهر ثم يتوقف، بل عليه أن يقوم بعملية مستمرة حتى يجنى ثمارها بعد حين. فالتطوير إذن يحتاج إلى جهود مكثفة.

٣ ـ التفرغ :

بدون بذل الوقت الكافى لعملية التطوير، وإيجاد أشخاص وهيئات متفرغة له ، فإنه يسير بطيئاً. فإن الناس تحب أن تستقر على روتين معين قد ألفته، لأنه أسهل على الخادم أن يعظ بنفس الطريقة من أن يجدد نفسه بإستمرار.

٤ ـ التخصص :

ماذا تريد أن تطوره بالضبط؟ هل هى خدمة معينة؟ أو هل تريد إن تبث فكرة محددة ؟ أو تخدم فئة بعينها؟ إن التخصص هام حتى لايضيع التطوير فى زحام الأهداف غير المحددة، فنحن إذن نحتاج إلى تكريس داخل التكريس.

٥ – الإتقان :

يعيب التعليم المصرى كونه تعليماً للجماعات الكبيرة، فالفصول والمدرجات مكتظة بالتلاميذ، والمدرسون مثقلون وغير قادرين،وأحياناً غير راغبين،على العطاء الفياض، والتحضير يتم فى عجالة وبدون إمكانيات. وفى كنيستنا نحن نحتاج إلى الإتقان والجودة، حتى تأتى التربية الكنسية متميزة بالإهتمام الفردى، والتنوع والجهد المبذول لإعطاء العملية التعليمية طابعاً جدياً متميزاً.

٦ – المعاصرة :

ينبغى أن نراعى روح العصر فى خدمتنا الروحية والإجتماعية والثقافية، فما كنا نقبوله ونفعله فى الستينات لايصلح فى عام ٢٠٠٠. وإن كان الإيمان والعقيدة والكتاب المقدس والمبادىء الروحية هى واحدة، وثابتة عبر الدهور، إلا أن الصياغة تتغيّر، وعلينا أن نقدم خدمتنا فى أسلوب جديد شيق، كذلك يجب أن نراعى أن مشكلات العصر تتغير من جيل إلى جيل، ويجب أن تواكب الكنيسة روح العصر دون التضحية بتراثها وأصالتها.

٧ ـ التمصير :

لابد للخطة المتبّعة لتطوير التعليم الدينى أن تكون مصرية صميمة، لاتتسم بالتقليد من الغرب أو الشرق، وحبذا لو تم التعرف على خبرات الآخرين فى الدول المسيحية بالغرب ودول العالم الثالث كالبرازيل والهند وكينيا فى التطوير، ولكن ينبغى أن تأتى الخطة النهائية نابعة من إحتياجاتنا وقيمنا المحلية.

٨ – التجريب :

على الخطة الموضوعة أن تكون واقعية عملية، مناسبة لقدرات الدارسين والخدام، ويجب أن يتم تجريبها قبل طباعتها وتعديلها، ثم تطويرها كل خمس ـ سنوات، ويجب أن يكون التجريب على مستويات وأعمار وبيئات مختلفة. فنراعى الفروق الفردية والفروق الجنسية،والفئات الخاصة، والعمر، والبيئات المختلفة (مدينة ـ قرية، أقليات ـ صعيد ـ دلتا).

٩ ـ روح الفريق :

إن قمت بعمل ما فى تخصصك، فعليك أن تثق بالآخرين ليقوموا بباقى الأعمال فى مجالات النهضة والإصلاح الأخرى، فأنت لاتملك كل المواهب،

وأنت لاتملك كل الوقت،

وأنت لاتملك كل الجهد، الذى تحتاجه للتطوير، فنحن نحتاج إلى

العمل الجماعى وروح الفريق وليس روح الصراع أو التنافس.

١٠ ـ التنظيم :

يكتفى البعض من التطوير ببدايات عفوية غير منسقة، ولكن التطوير لكى يستمر فهو يحتاج إلى إدارة ونظام يضمن له الإستمرار، حتى عند تغيّر الأشخاص.

١١ ـ الإمكانيات :

الإمكانيات من حيث المادة والأماكن والإمكانيات البشرية والمراجع والخبراء .... إلخ. كلها تؤثر فى نجاح عملية النهضة المطلوبة.

١٢ ـ البدء :

الوقت مقصر والأيام شريرة، وعلينا أن نفعل شيئاً قبل فوات الأوان وغروب شمس الحياة ومجيء الرب الوشيك.

نظرة كتابية :

فى كل من أشعياء ١١

وسفر الرؤيا

نبؤة وحلم،

ورؤيا لصورة مثالية لحكم الرب ،

والغلبة على الشيطان والشر،

ونمو الكنيسة حتى تصبح سماءاً على الأرض أو أرضاً فى السماء.

ما هى عناصر هذه الرؤيا ؟

تدريب :

ـ أعد كتابة الحلم متخيلاً رؤيا مثالية لكنيستك المحلية.

ـ شارك آخرين فى حلمك.

ـ حاول عمل برنامج واقعى للبدء فى تنفيذ أحلامك.

ـ إستعن بالروح القدس، فى صلاة عميقة، لكى يقدس أهدافك وخطواتك ويرشدك فى خدمتك إلى الخطوة التالية.

من الشعر الروحى لقداسة البابا شنودة الثالث

هذه الكرمة يامولاى

هذه الكرمة يامولاى من غرس يمينك
نبتت من شوكة كانت على طرف جبينك
ورواها دمك القانى وسيل من جفونك
ورعاها حبك الصافى وذاقت من حنينك
فنمت فى جنة الإيمان تحيا فى يقينك
ومضت تحمل للأقباط من أثمار دينك

* * *

غير أن الريح يامولاى قد طاحت بغصنٍ
شردت طيره فى الكرمة من ركن لركن
طار لايشدو ولكن شاكياً من ذا التجنى
أنت يامن قلت من يمسسكموا قد مس عينى
فرّح الأطيار فى الكرمة وامح كل حزن
وأصلح الأمر فهذا الغصن من أقوى غصونك
هذه الكرمة يامولاى من غرس يمينك

* * *

ليس لى ياخالقى الجبار أن أفهم قصدك
فغبى أنا ياقدوس والحكمة عندك
غير أنا قد تركنا من لنا يارب بعدك؟!
ليس إلا وعدك الماضى فهل تذكر وعدك؟
أنت لاتنساه مهما نسّى الكرام عهدك
كيف تنسى أبرآم مختارك أو يعقوب عبدك؟
كيف تنسى الحب والإشفاق أو ماضى حنينك؟
هذه الكرمة يامولاى من غرس يمينك

* * *

نحن منقوشون فى كفك لانخشى إضطراباً
نحن أخطأنا ولكن سوف لانفنى عقاباً
هوذا الرحمة تنصب من الآب إنصباباً
كلما نغلق بابا تفتح الرحمة بابا
آه يا مولاى يامن عرف الخل شراباً
شعبك المسكين ياقدوس قد قاسى العذابا
أنظر الكرمة بعد الخصب قد أمست خراباً
وأشفق اليوم عليها فهى لاتحيا بدونك
هذه الكرمة يامولاى من غرس يمينك

* * *

صلاة :

وأنـــت يا كـــرمـــة أبـــى
أنـــت حلـمـــى ،
أنـــت حـــبـــى ،
وأنـــت حـــضـنـــى
فـضـمـيـنـــى،
وأرســـلـيـنـــى،
فـــأروى غُـــروسك الجـــدد،
بدماء فى عروقى ، أبى أودعها...
بعرق ودموع، شوقى إليك ألهبها...
ومياه فاضت من قلبـــى،
لا أســـتطيع أن أحاصـــرها،
يا كرمـــة أبـــى

المراجع :

- قداسة البابا شنوده الثالث: إنطلاق الروح ١٩٥٧
- الراهب زخارياس الأنطوني: كيرلس الرابع أبو الإصلاح ١٩٩٤
- كتاب المربى للقديس إكليمندس الإسكندرى ، سلسلة آباء الكنيسة فيلوباترون ١٩٩٤
- الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة دار الثقافة .

يسوع المعلم الأعظم. ج م. بريس

- الكرازة المثلى.
- ل. كولمان : الكتاب ومبادىء التعليم / دار النشر والمعمدانية
- القمص تادرس يعقوب :

القديس يوحنا ذهبى الفم،

القديس كيرلس الأورشليمى.

- مجلة مدارس الأحد ، الأعداد الخاصة.
- د . ملاك عازر: المسيح كخادم.

- تربية الأطفال فى تعليم القديس يوحنا ذهبى الفم.

دار مجلة مرقس ١٩٩٣

Micheal Green, Evanglism in the Early church, U.S.A., 1989

Metropolitan Georges (Khadr) Basil the great: Bishop and Pastor, n st. Vladimir Quarlarly vol 29 No. 1, 1985

ove Jonathan Fedurck, the Church and the Charisma of Leadership in Basil of Coesarea, Toronto 1979

- Elias G Malsagouras, the Early church fathers as Educators U.S.A. 1977

Robert D. Sider, the Gospel & its proclamation, Message of the fathers of the church, U.S.A. 1983

- Thomas Carolle, Preaching the word, Message of the fathers of the church.
- A.B.Bruce, the Treaning of the Twelve.

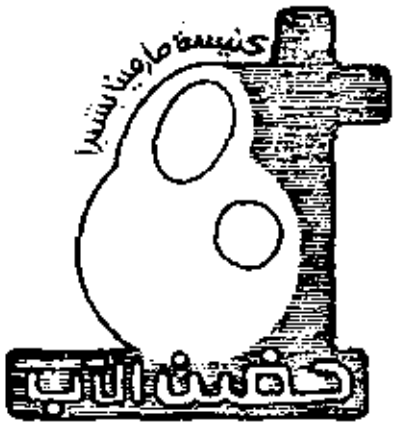

حضن الآب

+ هي مجموعة تربوية تهدف إلى تنشئة شخصية مسيحية معاصرة .
+ تخاطب الطفل والفتى والشاب وأيضا المربى لهؤلاء .
+ ذلك بالكتاب والصورة واللعبة ووسيلة الإيضاح وشرائط التسجيل والفيلم .
+ تصدرها كنيسة مارمينا بشبرا . . وهى ترحب بكل اقتراح ومساعدة فى هذا المجال .

هذا الكتاب

الكنيسة مؤسسة تعليمية تربى أبناءها لتؤهلهم للملكوت وهذا الكتاب يأخذك فى رحلة شيقة بداية من سقراط حتى القرن ٢١ ، ليدرس أساليب التربية المختلفة عبر العصور : عند اليهود والرب يسوع وآباء الكنيسة الكبار ، ثم يقوم نظرة مستقبلية ما يجب أن تكون عليه التربية الدينية فى الكنيسة والأسرة إنها أحلام فهل تتحقق ؟

يطلب من أسقفية الشباب بالأنبا رويس وكنيسة مارمينا بشبرا .